

ديوان

ابن خفاجه

شرحہ وضبط، نصوصہ وقدمہ
الدكتور عارف الطباع



ديوان
ابن خفاجته

جميع حقوق الطبع والصف والإخراج محفوظة
لدار القلم للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها أحمد أكرم الطبع
بيروت - لبنان - ص. ب. ٣٨٧٤

دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٤ / ٨٣٤٩٧٣ - ٦٠٣٠١٣ - ص. ب. ٣٨٧٤
فاكس: ٦٠٣٠١٣ كود: ٠٠٩٦١١



ابن خفاجة

بقلم: الدكتور عمر الطباع

بعد ربع قرن من نهاية العهد الأموي في الأندلس [١٣٨ - ٤٢٢ هـ) = (٧٥٠ - ١٠٣٠ م)]، قام عهد جديد، هو ثالث عهود الحكم العربي في أسبانيا الإسلامية عرف بعهد ملوك الطوائف، الذي امتدّ نحواً من خمسة قرون [٤٠٣ - ٨٩٧ هـ) = (١٠١٢ - ١٤٩٣ م)]، زال في نهايتها نفوذ العرب السياسي في هاتيك الربع، لتظلّ مشرقة فيها أضواء شموهم الفكرية والأدبية.

في هذا العهد من عهود الأندلس المعروف أيضاً بعهد الإمارات أو الدويلات ولد ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله. وكانت ولادته سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)، في جزيرة شَقْر^(١)، الواقعة شرقي البلاد. وشَقْر في الحقيقة بلدة ساحلية بين شاطبة وبلنسية، أطلق عليها الجغرافيون اسم الجزيرة، على نحو ما فعلوا بالقياس إلى شبه جزيرة أيبيريا حين أطلقوا عليها اسم الجزيرة لإحاطة الماء بها من أكثر جهاتها.

وإذا كان لموطن الولادة والنشأة تأثير في تكوين الشخصية، ولا سيما الجانب الذهني منها، فليس لنا أن ننكر أثر «شَقْر» مسقط رأس ابن خفاجة في نزعته الأدبية وخياله الشعري بخاصة، فقد كانت كما وصفها ياقوت «أنزّه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماء»، ذكرها ابن عائشة الأندلسي فقال:

ألا خَلِيَانِي والصَّبَا والقوافيَا أَرَدَّدُهَا شَجْوَا فَأَجْهَشُ بَاكِيَا
وقد بان حلو العيش إلا تَعَلَّةً يُحَدِّثُنِي عنها الأمانِي خَالِيَا

فيا بردَ ذاكَ الماءِ هل منكَ قطرةٌ
 وهيهاتَ حالتَ دونَ شَقْرِ وعهدِها
 ليالٍ وأيامٌ تنحالُ لياليها
 فيا راكبا مستعملَ الخطو قاصداً
 الأُجْحُ بشَقْرِ رائحاً ومُغادياً
 وقِفْ حيثَ سالَ النَّهْرُ ينسابُ أرقماً
 وهبَ نسيماً الإيكَ ينفثُ راقياً

وإذا كانت شَقْرٌ قد نفحت ابن خفاجة بنفحات الإلهام الفني الأولى، فبلنسية بشطآنها وخمائلها وأنهارها وما ينبت في كورها من الزعفران، كانت أبعد أثراً في وثبات خياله، كيف لا وهي إحدى مسارج نشأته وصباه، ومجلى ناظره، ولطالما سعى إلى رياضها ولاذ بظلالها فرأى فيها بروداً موشاةً من الحسن والبهاء حرّكت في ذاته مكانم السحر والفتنة، وهي المكانم التي ألهمت أبا العباس أحمد بن الزقاق قوله:

كَأَنَّ بِلنْسِيَةَ كعابُ
 إذا جتَّها ستَّرتَ وجَّهها
 وملبسها الشَّنْدَسُ الأُخْضَرُ
 بأكمامها، فهي لا تظَهَرُ
 أو قوله:

بِلنْسِيَةَ جَنَّةٌ عالِيَةٌ
 عيون الرحيق مع السلسبي
 ظلال القُطُوف بها دائِيَةٌ
 لي، وعين الحياة بها جارية

هذه الملامس من الجمال في طبيعة أرض النشأة الأولى التي انتشى بها ابن خفاجة، تستطيع أن تطالع سطورها وصفحاتها في شعره الوصفي، وهو أوسع فصول سفره الشعري وأبوابه، ومن هذه الخيوط ومن ريتا تلك الخطرات، تحوّل وجدان ابن خفاجة إلى ميدان أكثر عمقاً وانفساحاً حين تغنى بالأندلس فقال:

إِنَّ لِلجَنَّةِ بِالأنْدَلَسِ
 فسنا صُبْحَتِها من شَنَبِ
 مُجْتَلَى حُسنِ وريِّنا نَفَسِ
 ودجى ليلتِها من لَعَسِ
 صِحتُ واشوقي إلى الأنْدَلَسِ
 وإذا ما هبَّت الرِيحُ صِباً

عاصر ابن خفاجة الدولة العامرية في بلنسية وكانت في إبان ازدهارها عند ولادته (٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م) ورافقها أربعة عقود قبل زوالها سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)

لكنه لم يتصل بملوكها، ولا بملوك الطوائف في مدن الأندلس وحواسرها الشهيرة كمثل غرناطة وقرطبة وإشبيلية، لا لخمول في الشاعرية أو انعدام الشهرة بل لمزاج رومني غلب عليه وشده إلى أرجاء الطبيعة التي هام بها هيام عاشق متيم، كان يصبو إلى لوحاتها في وداعة الربيع، كما يصبو إليها في مجامر صيفها وصقيع شتائها. لكن هذا الشغف البالغ بهياكل الجمال المشرّبة في جنبات الأندلس، والتي كان يراها في الأنجاد والوهاد، وفي الجداول والأنهار، وفي المروج السندسية والقمم الخاشعة الذاهبة في أجواء الفضاء... كل هذا لم يحل بينه وبين روابط الودّ والإخاء مع العديد من قادة البلاد وأمرائها الذين نالوا غير قليل من مدائحه ومراثيه الصادقة، ومن هؤلاء الأمير أبي إسحاق حين تقلّد كورة إشبيلية، والوزير محمد بن عبد الله بن ربيعة، وأبي الحسن بن الربيع صاحب قرطبة والوزير أبي محمد طاهر بن عامر.

هذا الجنوح إلى الأجواء الحاملة، وانجذاب فؤاد الشاعر إلى عوالم المرأة والطبيعة ومجالس المدام، هما التعليلان اللذان نفسّر بهما اعتبار ابن خفاجة في عداد الطبقة الثانية من شعراء الأندلس بعد ابن زيدون بخاصة. لقد تأثر المؤرخون الأندلسيون بالاعتبارات ذاتها التي سادت عمل المؤرخين المشاركة حين انطلقوا في تحديد مراتب الشعراء من منطلقات سياسية لا أدبية ولا فنية فاتخذوا سيرة الشاعر في البلاط وقدرته على نيل الحظوة عند السلاطين والملوك المعيار الأعلى للشاعرية، وعلى هذا الأساس قدّموا البحثري على ابن الرومي، كما قدّموا في الأندلس ابن زيدون على ابن خفاجة. وعندما تحرّر النقد حديثاً من تلك التبعية للبلاط، رأينا ابن الرومي يتربّع على عرش الشاعرية الفذة، فكان السبب - الذي حال دون تألق نجمه في عصره - هو عينه الذي أعاد إليه الاعتبار في عصرنا. وقل مثل ذلك في ابن خفاجة.



في الاعتبارات المتقدّمة نرى ابن خفاجة المدّاح والرّائي أقلّ وزناً وشأناً من ابن خفاجة الوصّاف والغزّيل، ووصفه متعدّد الألوان والايقاعات، وغزله رقيق صادق المشاعر والأحاسيس ولا سيّما حين يعانق دنيا المرأة من خلال عالم الطبيعة أو يصف الطبيعة في ضوء مفاتن المرأة، دون أن يغفل ما تمدّه به نشوة الخمرة من الصور واللمحات العاطفية التي تشهد له برهافة الحس والذوق الرفيع، كمثل قوله:

ألم يسقيني سلافة ريقه
فقلت مراد النفس من أحوانة
ووجه تخال الخال في صحن خده
وطورا يحيني بأس عذار
شممت عليها نفحة لعرار
فتاة مسك فوق جذوة نار



في ديوان ابن خفاجة قيثارة متعددة الأوتار، متعددة الأصباغ والألوان، تلتقي في مقطوعاتها لا سيما الوصفية الخاطفة الأخيلة الحلوة والفكر البديعة، وتتماس صورها بأفواف من اللفظ الجامع بين الرصانة والطرافة، فإذا نحن مع معطيات من الأصالة والإبداع، ففي جانب حبك شعري متين يجعل القصيدة بنية محكمة وطيدة العمد، ومن ناحية وشي يضيف على هذا البناء نممة حلوة تداعب منا الحواس وتدغدغ مشاعرنا وتستهوينا الأذهان والمدارك.



إننا إذ نضع بين أيدي القراء هذه الطبعة الجديدة من ديوان ابن خفاجة - في إطار منهجيتنا التي حافظنا على أسسها في إصدار دواوين المشاهير من شعراء العرب، ومن أهمها دقة الضبط وعدم الاجتزاء في الشروح - ندعو هؤلاء القراء إلى ولوج آفاق ابن خفاجة الوصفية المشبعة بالروح الرومنسية، البعيدة عن حدائق الصنعة والزخرفة الشكلية المتكلفة، لأنها مفرقة في رياض الحسن، حيث الأيك والطيور والجدول الثرثار، والبان قدود والأغصان قامات هيفاء، وكماثم الزهر قسامات حلوة ومفاتن غيد رافلات بالصبا مضمّمات بالطيوب.

٦ آب ١٩٩٤ م
٢ جمادى الأولى
١٤١٥ هـ.

قافية الألف

(١)

خُذْهَا إِلَيْكَ

أهدى ممدوحه مقطوعة من شعره وافتنن في وصف محاسنها

- خُذْهَا إِلَيْكَ، وَإِنَّهَا لَنْضِيرَةٌ، طَرَأَتْ عَلَيْكَ قَلِيلَةَ النَّظَرَاءِ^(١)
 حَمَلْتِ، وَحَسْبُكَ بَهْجَةٌ مِنْ نَفْحَةٍ، عَبَقَ الْعَرُوسِ وَخَجَلَةَ الْعَذْرَاءِ^(٢)
 مِنْ كُلِّ وَارِسَةِ الْقَمِيصِ، كَأَنَّمَا نَشَأَتْ تُعَلُّ بِرِيقَةِ الصَّفَرَاءِ^(٣)
 نَجَمَتْ تَرُوقُ بِهَا نَجُومٌ، حَسْبَهَا، بِالْأَيْكَةِ الْخَضْرَاءِ، مِنْ خَضْرَاءِ
 وَأَتَتْكَ تُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ طَلْقَةً، وَتَنُوبٌ مِنْ لُطْفِ عَنِ السُّفَرَاءِ^(٤)
 يَنْدَى بِهَا وَجْهُ النَّدِيِّ، وَرَبِّمَا بَسَطْتَ، هُنَاكَ، أَسِرَّةَ السَّرَّاءِ^(٥)
 فَاسْتَضْحَكَتِ، وَجْهَ الدُّجَى، مَقْطُوعَةٌ جَمَلْتَ جَمَالَ الْغُرَّةِ الْغَرَّاءِ^(٦)

(١) نضيرة: من النضارة وهي الحسن والجمال - قليلة النظراء: نادرة المثال.

(٢) عبق العروس: رائحتها - خجلة العذراء: حياؤها وخفرتها.

(٣) الوارس من الثياب: الأحمر - عل: شرب ثانية - الصفراء: الخمرة.

(٤) تسفر: تكشف - الوجوه الطلقة: الضاحكة.

(٥) الأسرة: المضاجع، جمع سرير، والأسرة أيضاً: الخطوط التي يرسمها الجبين، جمع سرار - السراء: السرور، نقيض الضراء.

(٦) الدجى: ظلام الليل - الغرة: شعر مقدمة الرأس - الغراء: البيضاء.

(٢)

أَبْرَقَ بِهَجَةٍ

قال ابن خفاجة يصف خاتماً بديع الحسن

وَدَجَا، فَأَطْلَعَ، فِي الظَّلَامِ، ضِيَاءً^(١)

تَسْتَوْقِفُ الرَّائِي لَهَا، حِرْبَاءً^(٢)

كَفَّتْ تَكُونُ عَلَى السَّمَاحِ سَمَاءً^(٣)

نَفْسَ الحَكِيمِ، وَضَاجِعَ العَذْرَاءِ

حَتَّى تَرِقَّ لَهَا، فَتَجْرِي مَاءً^(٤)

عَنْ مُقْلَةٍ، بَهَتَتْ لَهَا، كَحَلَاءٍ^(٥)

وَمُرَقَّرَقِ الإفْرِنْدِ أَبْرَقَ بِهَجَةٍ،

كَسَفَتْ بِهِ، لِلشَّمْسِ، حَسَنًا، آيَةً

وَتَخْتَمَّتْ، مِنْ فَصِّهِ بَعْمَامَةٍ،

قَدْ صَيَّغَ صَيَّغَةَ حِكْمَةٍ، أَصْبَى لَهَا

مَا إِنْ تَرِفُّ لَهَا بِنَفْسَجَةٍ بِهِ،

وَكَأَنَّمَا نَظَرْتَ بِهِ، يَوْمَ النَّوَى،

(٣)

طَيْفُ أَلْمِ

قال يصف الليل والدراري وطيف الحبيب الزائر.

طَيْفُ أَلْمٍ لِطَيْبَةِ الوَعْسَاءِ^(٦)

وَشَرِبْتُ مِنْ رِيْقٍ وَمِنْ صَهْبَاءٍ^(٧)

وَرِدَاءٍ لَيْلٍ بَاتَ، فِيهِ مُعَانِقِي،

فَجَمَعْتُ بَيْنَ رُضَائِهِ وَشَرَابِهِ،

(١) المرقق: المتلألئ اسم مفعول من رقرق أي تلالأ، وترقرق الماء: جرى رقرقاً أي هادئاً غير مندفع.

(٢) تستوقف: تحمله على الوقوف، والعبارة كناية عن الإثارة والاستهواء - الحرباء: ضرب من الزحافات تتلون في الشمس.

(٣) الفص: أصل الأمر جمع فصوص، والفص: السن من الثوم، والفص أيضاً: قلب الخاتم وما يركب في الخاتم من حجارة ثمينة، والجمع فصوص وفصاص.

(٤) البنفسجة: استعارة للفص الذي هو بلون البنفسج أي قلب الخاتم - يقول: إن الكف التي تزينت بهذا الخاتم تجري ماء أي سخاء وكرما.

(٥) النوى: البعد والفراق - المقلة: العين - الكحلاء: العين الشديدة السواد.

(٦) رداء الليل: ظلامه الحالِك - الوعساء: الأرض المرتفعة اللينة، وقوله: طيبة يريد المحبوبة الشبيهة بالظبية.

(٧) الرضاب: الريق، أي ريق المحبوبة التي زاره طيفها - الصهباء: الخمرة، والمراد رضاب=

- ولثَمْتُ، في ظَلَمَاءِ لَيْلَةٍ وَفِرَةٍ،
والليلُ مُشَمَّطُ الدَّوَابِّ، كَبْرَةٍ،
ثم انثنى، والشُّكْرُ يَسْحَبُ فَرَعَهُ،
تَنَدَى فِيهِ أَفْحَوَانَةٌ أُجْرَعُ،
وَتَمِيسُ، في أَثْوَابِهِ، رِيحَانَةٌ،
نَفَّاحَةٌ الْأَنْفَاسِ، إِلَّا أَنَّهَُا،
فَلَوَيْتُ مَعِطْفَهَا اعْتِنَاقًا، حَسْبُهَا
وَالفَجْرُ يَنْظُرُ، من وراءِ غَمَامَةٍ،
فَرغِبْتُ عن نُورِ الصَّبَاحِ لِنُورَةٍ،
- شَفَقًا، هناك، لَوَجْنَةٍ حَمْرَاءِ^(١)
خَرِفْتُ يَدْبُ عَلَى عَصَا الجَوَازِ^(٢)
وَيَجْرُ، من طَرَبٍ، فَضُولَ رِدَاءِ^(٣)
قَد غَازَلْتَهَا الشَّمْسُ غِبَّ سَمَاءِ^(٤)
كَرَعْتَ عَلَى ظَمًا بِجَدُولِ مَاءِ^(٥)
حَدَرَ النَّوَى، خَفَّاقَةٌ الْأَفْيَاءِ^(٦)
فِيهِ، بِقَطْرِ الدَّمْعِ، من أَنْوَاءِ^(٧)
عَن مُقْلَةٍ كُحِلَّتْ بِهَا زَرْقَاءِ^(٨)
أَغْرَى لَهَا بَيْنَفْسَجِ الظُّلْمَاءِ^(٩)

= المحبوبة الذي يشير نشوته فكأنه يذوق مُداماً وريقاً.

- (١) اللثم: التقبيل - الوفرة: صفة الليلة الظلماء، أي الشديدة الحلكة - الشفق: بقايا احمرار الشمس في الأفق بعد المغيب - الوجنة: الخد المشبه لحمته بالشفق.
- (٢) الدَّوَابِّ: جمع ذُؤَابَة، ضفيرة الشعر، شبه سدول الظلام بصفائر الشعر الأسود، والليل المشمَّط الدَّوَابِّ: الذي يخالط سواده بياض - يدب: يمشي كالطفل على يديه ورجليه - الجوزاء: من أبراج السماء، وعصا الجوزاء من كواكب هذا البرج.
- (٣) انثنى: مال، وتعطف بقامته - الفرع: الشعر - فضول الرداء: ذبوله.
- (٤) الأفحوانة: واحدة نبتة الأفحوان وهي من رياحين الربيع: زهرها أكمامه كالأسنان - الأجرع: الأرض الرملية - غازلتها: داعبتها - غب سماء: أي بعد هطول المطر.
- (٥) تَمِيسُ: تتمايل - الريحانة: النبتة الفواحة - الظمأ: العطش - كرعت بجدول ماء: كناية عن الاخضلال بقطرات الندى.
- (٦) نَفَّاحَةٌ (فَعَالَةٌ): شديدة النفع، أي ترسل رائحتها الفائحة قوية - النَّوَى: البعد - الْأَفْيَاءِ: جمع فيء: الظل، والفيء أصلاً ما كان شمساً فينسخه الظل أي يزيله.
- (٧) لَوَيْتُ: ثنيت - الْأَنْوَاءِ: الأمطار، جمع نوء.
- (٨) المقلّة: العين.
- (٩) رَغِبَ عَنِ الشَّيْءِ: تركه، ورغِبَ فِيهِ: أَرَادَهُ - التُّورَةُ: الزهرة البيضاء - بِنَفْسَجِ الظُّلْمَاءِ: استعارة.

(٤)

مُفْتَرَّةٌ عَنِ لَوْلُؤٍ

ابن خفاجة يصف مجلس لهو في أحضان الرياض
وَمَجَرٌّ ذَيْلِ غَمَامَةٍ قَدْ نَمَّقَتْ، وَشَيِّ الرَّبِيعِ بِهِ، يَدُ الْأَنْوَاءِ^(١)
أَلْقَيْتُ أَرْحُلَنَا، هُنَاكَ، بِقُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ مِنْ سَرْحَةٍ غَنَاءٍ^(٢)
وَقَسَمْتُ طَرْفَ الْعَيْنِ بَيْنَ رِبَاوَةٍ مُخْضِرَّةٍ، وَقَرَارَةٍ زَرْقَاءٍ^(٣)
وَشَرِبْتُهَا عَذْرَاءً، تَحْسِبُ أَنَّهَا مَعْصُورَةٌ مِنْ وَجْتِي عَذْرَاءٍ^(٤)
حَمْرَاءُ صَافِيَةٌ، تَطِيبُ بِنَفْسِهَا وَغِنَائِهَا وَخِلَائِقِ التُّدْمَاءِ
خُذَهَا، كَمَا طَلَعْتَ عَلَيْكَ عَرَارَةً، مُفْتَرَّةً عَنِ لَوْلُؤِ الْأَنْدَاءِ^(٥)

(٥)

لِلَّهِ نَهْرٌ

يصف نهراً ينساب في البطحاء محفوفاً بأبراد من فتنة الأرض
والأغصان.
لِلَّهِ نَهْرٌ، سَالَ فِي بَطْحَاءٍ، أَشْهَى وَرُوداً مِنْ لَمَى الْحَسَنَاءِ^(٦)
مَتَعَطَّفٌ مِثْلَ السُّوَارِ، كَأَنَّهُ، وَالزَّهْرُ يَكْنُفُهُ، مَجَرٌّ سَمَاءٍ^(٧)

- (١) الغمامة: السحابة - نمقت: نقشت وزينت والتميق: تزيين الشيء لتحسينه - وشي الربيع: كناية عن رياحينه وأزهاره المختلفة الألوان - الأنواء: الأمطار.
(٢) ألقى رحله في المكان: حلّ به - القبّة المضروبة: جمع قباب، وهي أصلاً الخيام العالية الخاصة بكبار القوم - السّرحة: الشجرة العالية - الغناء: الشجرة الكثيفة الأفنان.
(٣) الرباوة: الربوة، المرتفع، قرارة المكان: أرضه، وقرارة الوادي: أسفله.
(٤) العذراء (هنا): الخمرة الخالصة - وجتني مثنى وجنة: الخد، والعذراء: الفتاة البكر، وقد جانس الشاعر بين اللفظتين وكل واحدة ذات دلالة خاصة، وهذا الجناس تام.
(٥) العرارة: هي نبتة البهار الطيبة الرائحة.
(٦) البطحاء: مسيل الماء الواسع جمع بطائح - لمى الحسناء: كناية عن سمرة شفتيها.
(٧) متعطف: أي يجري مثنياً وينساب متعرجاً كالسّوار - يكنفه: يحيط به - مجرّ: أي مجرّة، وهي مجموعة من النجوم.

قد رَقَّ، حتى ظَنَّ قُرْصاً مُفْرَغاً
وغدَّتْ تُحْفٌ به الغصونُ، كأنَّها
ولطالما عاطيتُ فيه مُدامةٌ
والريحُ تعبَّتْ بالغصونِ، وقد جرى
من فِضَّةٍ، في بُردةٍ خَضْرَاءِ^(١)
هُدْبٌ يُحْفٌ بمُقْلَةٍ زَرْقَاءِ^(٢)
صفراءِ، تخضِبُ أَيْدِي التَّدْمَاءِ
ذَهَبُ الأَصِيلِ على لُجَيْنِ المَاءِ^(٣)

(٦)

مِنْ جِيَادِ المَاءِ

أَلَا يَا حَبَّذا ضَحِكُ الحُمَيَّا
وأدهمَ، من جِيَادِ المَاءِ، مُهْرٍ
إذا بدتِ الكواكبُ فيه غَرْقى،
بحانتِها، وقد عَبَسَ المَسَاءُ^(٤)
تَنَازُعُ، جُلَّه، رِيحُ رَخَاءِ^(٥)
رَأَيْتِ الأَرْضَ تحسُدُها السَّمَاءُ^(٦)

(٧)

أَسْوَدٌ وَبِيضَاءُ

وَأَسْوَدٌ عَنَّا لَنَا، سَابِحٌ
وإنما جال بهاناظرٌ
في لُجَّةٍ، تَطْفَحُ، بِيضَاءِ^(٧)
في مُقْلَةٍ، تَنْظُرُ، زَرْقَاءِ^(٨)

(١) البردة: الثوب.

(٢) المدامة: الخمر - تخضب: تصبغ، تلون - التدماء: جمع نديم، المجلس المشارك في الشرب.

(٣) الأصيل: الوقت بعد العصر وقبل المغيب وقوله: ذهب الأصيل: أي شعاع الشمس الذهبي اللجين: الفضة.

(٤) الحميتا: أول الغضب وشدته، والمراد هنا حميتا الخمر أي سورتها - الحانة: الحان أي موضع بيع الخمر، واللفظة من الحين أي الهلاك أي مهلكة لصحة المرء وماله.

(٥) الأدهم (أصلاً): الجواد الأسود اللون، وهنا الليل الأسود الشديد الظلمة - الريح الرخاء: الريح اللينة.

(٦) يقول: إذا غرقت كواكب الليل في ظلامه باتت السماء المظلمة تحسد الأرض على نجومها أي ما ينبت المطر من الأزهار.

(٧) عن لنا: ظهر وبرز - اللجة: معظم الماء - بيضاء: نعت أي لجة بيضاء.

(٨) المقلة: العين - زرقاء: نعت، أي مقلة زرقاء.

(٨)

طَوْدُ عَدَالَةٍ

قالها مادحاً قاضي القضاة:

ونسيمَ ظلَّ السرحةِ العِنايَ^(١)
أرجأً، وذلك عن غديرِ الماءِ
في وشي زهرٍ، أو جلى أنداءِ^(٢)
من علقِ صدقٍ، أو رداءِ ثناءِ^(٣)
فتردداً في ساحةِ العلياءِ
ومشى الهويناً مشيةَ الخيلاءِ
قمرُ العلاءِ وأنجمُ الآراءِ^(٤)
ما شابَ عنه مفرقُ الظلماءِ
وتثرتُ عقدَ كواكبِ الجوزاءِ
فكأنني قبلتُ وجهَ سماءِ
جفنيَّ بالأنوارِ والأنواءِ
دثمتُ، وهضبةَ عزةِ قعساءِ^(٥)
خلقتُ أسرَّتْها من السراءِ^(٦)

يا نشرَ عرفِ الروضةِ الغنَّاءِ؛
هذا يهْبُ مع الأصيلِ عن الرُّبى
عوجاً على قاضي القضاةِ، غُدِّيَّةً،
وتحمَّلاً عني إليه أمانةً،
فيذا رمى بكما الصباحُ دياره،
في حيثُ جرَّ المجدُ فضلَ إزاره،
وسرى، فجلى ليلَ كلِّ مُلَمَّةٍ،
من منزلٍ قد شبَّ، من نارِ القرى،
لو شئتُ طلتُ به الثريَّ قاعداً،
ولثمتُ ظهرَ يدِ تندي حرةً،
وملأتُ، بينَ جبينه ويمينه،
مُتهادياً ما بينَ أبطحِ شيميةِ
كلفاً، هناك، بغرةِ ميمونةِ،

(١) العرف: الرائحة بعامة والرائحة الطيبة بخاصة - السرحة: الشجرة الطويلة لا شوك فيها - السرحة العينية: الخضراء، المورقة.

(٢) عوجاً: الأمر من عاج (على المكان): مال وعطف - غدية: أي غدوة، باكرًا - الحلى: جمع الحلية: ما يزين به - الأنداء: جمع ندى، والمراد هنا الجود والفضل.

(٣) العلق: النفيس، جمع أعلق - رداء الثناء: استعارة لحسن الأحداث.

(٤) جلى الليل: كشف ظلمته وبددها - الملمة: النازلة، المصيبة - يقول: إن ممدوحه يكشف بنور مجده وضياء عقله ورأيه ظلمة الليالي والشدائد.

(٥) الشيمة: الخلق والطبيعة - القعساء: المنية.

(٦) كلفاً: شغوفاً - الغرة الميمونة: يريد الطلعة المباركة - السراء: خلاف الضراء، المسرة ورغد العيش.

لنظرت من شمس ومن حرباء
 وعدالة، وامتدَّ جبلُ رجاءٍ^(١)
 غنيت بشهرتها عن الأسماء
 ربحانةً مظلولةً الأفياء^(٢)
 ووراء ستر الغيب، عينُ ذكاءٍ
 سمعُ المصيخ له، وعينُ الرائي
 مُتركبٌ من جذوة في ماءٍ
 وقادُ نصل الصعدة السمرء
 فمحا سواد الليلة الليلاء
 في حيثُ تسجعُ السنُّ الشعراء
 فصل الربيع ورنةُ المكاء^(٣)

لو كنت تبصرني، أدورُ إزاءها،
 أرسى به، في الله، طودُ سكينه
 خلَع القضاء عليه خلعة سُودد،
 عبقُ الثناء ندى الحيا، فكأنه
 أبدأ له، في الله، وجهُ بشاشة،
 قد راق، بين فصاحةٍ وصباحة،
 وكأنه، من عزيمة في رحمة،
 بين الطلاقة والمضاء، كأنه
 لو شاء نسخ الليل صبحاً لانتحي،
 تشي به ريح المكارم خوطة،
 وكأنه، وكأن رجع نشيده،

(٩)

قُلْ لِلْمَرِيضِ

فإنَّ السيفَ قد ضمِنَ الشفاءَ
 ولا كدمَ الوريدِ له دواء^(٤)
 وقد شملَ العجاجُ به سماء^(٥)
 مُذ أعشَبَ شعرُ لحيتهِ ضراء^(٦)

ألا قُلْ لِلْمَرِيضِ الْقَلْبِ مَهْلًا،
 ولم أر، كالنفاق، شكاة غر،
 وقد دمي النجيع، هناك، أرضاً،
 وديس به، انحطاطاً، بطنُ واد،

(١) الطود: الجبل الراسخ.

(٢) عبق: فاح وانتشر - الأفياء: الظلال، جمع فيء، وقوله مظلولة: أي ندية من الظل وهو الندى، والظل أيضاً الحسن والمعجب.

(٣) رجع الشيء: صداه - الرنة: المرة من رن رنيناً: رقع صوته بالبكاء، صاح - المكاء: طائر من القنابر يصعد في الجو، جمع مكاكي.

(٤) الشكاة: العيب - الغر: الشاب الذي لا خبرة له.

(٥) النجيع: الدم - العجاج: الغبار.

(٦) ديس: المجهول من داس أي وطىء - الضراء (هنا): الشجر الملتف، والضراء أيضاً: =

(١٠)

يا ضاحِكاً

يا ضاحِكاً ملءَ فيه جَهلاً، أَحْسَنُ من ضَحِكِكَ البُكاءَ
وَهَنْتَ حِساءاً، وَهَنْتَ نَفْساً، فلا ذُكْواءَ، ولا زُكْواءَ^(١)

(١١)

لا تَذُكو نارُهُ

بَبِّهِ وِلَيْدِكَ، من صِباهِ، بزَجْرَةٍ، فلرَبِّمًا أَغْفَى، هناك، ذُكاؤُهُ^(٢)
وانهَرُهُ حتى تَسْتَهْلَ دُمُوعُهُ في وَجْتَيْهِ، وتَلْتَطِي أحْشاؤُهُ^(٣)
فالسيفُ لا تَذُكو، بكفِّكَ، نارُهُ، حتى يَسِيلَ بَصَفْحَتَيْهِ ماؤُهُ^(٤)

(١٢)

كَفَى اِكْتِئاباً

قال ابن خفاجة هذه القصيدة يرثي الوزير أبا محمد عبد الله بن

ربيعة:

في كلِّ نَادٍ مِنْكَ رَوْضُ ثَناءِ، وَبِكُلِّ خَدِّ فَيْكَ جَدُولُ ماءِ
ولِكُلِّ شَخْصٍ هِزَّةُ الغُصْنِ التَّدِي، غِيبَ البُكاءِ، وَرِنَّةُ المُكَّاءِ
يا مَطْلَعِ الأنوارِ! إِنَّ بِمُقْلَتِي، أَسْفاً عَلَيْكَ، كَمَنْشِ الأنواعِ^(٥)

= الاستخفاء، يقال يمشي الضراء: إذا مشى مستخفياً.

(١) وهن: ضعف - هنت: أصابك الهوان أي الذلّ جانس في هذا البيت بين وهنت وهنت، وبين

الزكاء وهو الفطنة والذكاء وهو النمو.

(٢) الزجرة: اسم الممرّة من زجر أي ردع ونهي.

(٣) انهره: ازجره - تلتطي: تتوقد وتستعر ناراً -

(٤) تذكو النار: تضطرم.

(٥) الأنواع: جمع نوء المطر وأصل النوء عند العرب سقوط نجم وطلوع نجم يقابله فسمي نوءاً لأنه

إذا سقط الغارب ناءً الطالع أي نهض، وعند سقوط النجم كان القوم ينتظرون هطول مطر أو

هبوب رياح.

يَمْشِي، وَأَنْ لَا مَوْعِدٌ لِلِقَاءِ
 ثُوبِ الشَّبَابِ، وَحِلْيَةِ النُّبْلَاءِ^(١)
 وَعَطَلْتُ، إِلَّا مِنْ حُلِيِّ بُكَاءِ
 أَوْ رَسْمِ دَارِ، لِلصَّدِيقِ، خَلَاءِ
 كَالغَيْمِ رَقٍّ، فَحَالَ دُونَ سَمَاءِ
 تَنْدَى مَأَقِيهِ، وَيَبْنِ دُعَاءِ
 أَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَى مِنَ الْخَضْرَاءِ^(٢)
 قَدْ كَانَ سَابِقَ حَلْبَةِ التُّجْبَاءِ^(٣)
 كَفِّي بِحَبْلِي عِصْمَةً وَرَجَاءِ
 ذُخْرِي، لِيَوْمِي شِدَّةٍ وَرِخَاءِ^(٤)
 بِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمَحَلِّ النَّائِي
 وَفِرْنَدُ تِلْكَ الْغُرَّةِ الْغَرَاءِ^(٥)
 فِي مَخْوِ تِلْكَ الصُّورَةِ الْحَسَنَاءِ
 فُنْرِيحُ مِنْهُ بِسَرْحَةٍ غَنَاءِ
 وَتَنَفَّسْتُ فِي أَوْجِهِ الْجُلَسَاءِ
 قَمَرٌ، يُمَزَّقُ شَمْلَةَ الظُّلْمَاءِ^(٦)

وَكَفَى أَسَى لَا سَفِيرٌ بَيْنَنَا
 فِيمَ التَّجْمُلُ فِي زَمَانِ بَزْنِي
 فَعَرِيْتُ، إِلَّا مِنْ فِنَاعِ كَابَةِ،
 فَإِذَا مَرَرْتُ بِمَعْهَدِ لَشَيْبَةِ،
 جَالَتْ بَطْرَفِي، لِلصَّبَابَةِ، عَبْرَةً،
 وَرَفَعْتُ كَفِّي بَيْنَ طَرَفِ خَاشِعِ
 وَبَسَطْتُ، فِي الْغَبْرَاءِ، خَدِّي ذِلَّةً،
 مُتَمَلِّمًا أَلْمَاءَ بِمَصْرَعِ سَيِّدِ،
 لَا، وَالَّذِي أَعْلَقْتُ، مِنْ تَقْدِيسِهِ،
 وَخَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَعْلَمُ أَنَّهُ
 لَا هَزْنِي أَمْلٌ، وَقَدْ حَلَّ الرَّدَى
 فِي حَيْثُ يُطْفَأُ نُورُ ذَاكَ الْمُجْتَلَى،
 وَكَفَى اكْتِثَابًا أَنْ تَعِيثَ يَدُ الْبَلَى،
 فَلَطَّأَلْمَا كُنَّا نُرِيحُ بِظُلْمِهِ،
 فَتَقَّتْ، عَلَى حُكْمِ الْبِشَاشَةِ، نُورَهَا،
 تَتَفَرَّجُ الْغَمَّاءُ عَنْهُ، كَأَنَّهُ

(١) الحلية: ما يتزين به - يسخط على الزمان لأنه يسلبه رداء الشباب وزينة النبلاء، مكتئباً بذلك عن رزقه بصديقه الوزير.

(٢) الرحمى: رقة القلب والانعطاف الذي يوجب المغفرة والإحسان.

(٣) متململ: اسم فاعل من تلمل: أي ستم وضجر - الحلبة: الخيل الجارية في الرهان.

(٤) الذخر: ما يذخر لوقت الشدة - الشدة والرخاء طباقي.

(٥) الفرند: جوهر السيف ووشيه، والسيف الفرند: الذي لا مثل له، واللفظة معرّب «برند» الفارسية - الغرّة: الغرّاء: الطلعة الحسنة.

(٦) الغماء: الليلة المظلمة الطامسة الهلال - الشملة: الثوب وشملة الظلماء رداؤها من باب الاستعارة.

قاسمتُ فيه الرُّزءَ أكرمَ صاحبٍ،
يَهْفُو، كما هَفَتِ الأراكَةُ، لوعَةٍ،
عَجَباً لها، وَقَدَّتْ، بَصَدْرِ، جَمْرَةٍ،
ولئن تَرَأَى الفَرَقْدانِ بنا معاً،
فَلَطَّالَمَا كُنَّا نَرُوقُ المُجْتَلِي،
يُزْهِى بنا صَدْرُ النَّدِيِّ، كَأَنَّا،
فمضى ينوءُ بأثقلِ الأعباءِ،
ويُرِنُّ، طَوْرًا، رِنَّةَ الوَرَقَاءِ^(١)
وتفجَّرت، في وَجْنَةٍ، عن ماءِ
وكَفَاكَ شُهْرَةَ سُودُدٍ وَعَلَاءِ
حُسْنًا، ونَمْلًا ناظِرَ العَلِيَاءِ
نَسَقًا، هُنَاكَ، قِلَادَةَ الجَوَازِ^(٢)

(١٣)

يَوْمُ رُزْءِ فَادِحٍ

قَالَهَا يَرْتِي أم قاضي القضاة الفقيه أبي أمية .
جَادَ الجَمَادُ بَعْبِرَةَ حَمْرَاءِ^(٣)
شُهْبٌ، تَصَوَّبُ من فُروجِ سَمَاءِ^(٤)
منها، وتُحَرِّقُ وَجْنَةً في ماءِ^(٥)
غَسَلَتْ سَوَادَ المُقْلَةِ الكَحْلَاءِ
والماءِ يَنْقَعُ غُلَّةَ الأَحْشَاءِ^(٦)
سَحَبَ الصَّبَاحُ به ذُيُولَ مَسَاءِ
بِحَرِّ طَمَى، متلاطمَ الأَرْجَاءِ^(٧)
في مثله، من طارقِ الأرزاءِ،
من كلِّ قانيةٍ، تَسِيلُ كأنَّها
تحمى، فتَغْرَقُ مُقْلَةً في جاحِمِ
مَحَتِ الكرى بين الجفونِ، وربَّما
لا تُورِثُ الأَحْشَاءَ إلا غُلَّةً،
أَهْوِلَ به من يومِ رُزْءِ فَادِحِ،
متلاطمُ الأَحْشَاءِ، تحسبُ أَنه

(١) الأراكَة: واحدة الأراك وهو شجر يستاك بأغصانه - يرن: ينوح - الورقاء: الحمامة.

(٢) القلادة: ما يجعل في العنق من الحلي، وقوله: قلادة الجوزاء إشارة إلى واحد من الكواكب الستة المعروفة بالقوس.

(٣) الأرزاء: المصائب جمع رزء - العبرة (بفتح العين): الدمعة.

(٤) القانية: أي الدمعة القانية أي الحمراء - تصوب: من صوب السهم: سدده - الفروج: جمع فرج وهو الثغرة أو الخلل بين شيتين.

(٥) الجاحم: الجمر المتوقد - الوجنة: الخد.

(٦) الغلّة: الظمأ الشديد، والمقصود هنا غلّة الحزن - ينقع الماء الغلّة: يروي الظمأ.

(٧) طمى البحر: علا موجه - الأرجاء: الجوانب.

فِي الْقَوْمِ، غَيْرَ حَمَامَةٍ وَرِقَاءٍ
 أَوْ رَافِعٍ مِنْ زَفْرَةٍ صُعَدَاءٍ
 مَا قَدْ ذَوِيَ مِنْ دَوْحَةِ الْعِلْيَاءِ^(١)
 نَشَأَتْ تَطْوُلُ أَكَابِرِ الْآبَاءِ
 تَرْمِي السَّمَاءَ بِمُقْلَةٍ مَرَهَاءِ^(٢)
 جَمَّتْ دَمَوْعُ أَفْضَلِ الْآبْنَاءِ^(٣)
 تُقْنَى دَمَوْعِ الْعَيْنِ لِلْبُرْحَاءِ^(٤)
 إِنْ كَانَ يُصْغِي هَالِكٌ لِنِدَاءِ
 تَسْمَطُرُ الْخَضْرَاءَ لِلْغَبْرَاءِ
 تَسْتَضْحِكُ الْأَنْوَارَ لِلْأَنْوَاءِ
 كَفُّ الصَّبَا عَنْ نَاقَةِ عُشْرَاءِ^(٥)
 نَشَرَ النَّسِيمُ قَلَائِدَ الْأَنْدَاءِ
 وَيُذِيلُ فَضْلَ ضَفِيرَةِ الْجَوَازِ^(٦)
 فَلَقَدْ أَخَذَتْ بِشِمَةِ الثُّبْلَاءِ
 عَنْ هَضْبَةٍ، مِنْ صَبْرِهِ، خَلْقَاءِ^(٧)

جَمَعَ الْحِدَادَ إِلَى الْعَوِيلِ، فَمَا تَرَى،
 مِنْ مَاسِحٍ عَنِ وَجْنَةٍ مَمْطُورَةٍ،
 وَكَأَنَّمَا يَسْقِي، بِمَا يَبْكِي، ثَرَى
 وَلِئِنْ جَزَعْتَ لِيَوْمِ أُمِّ بَرَّةٍ،
 تَصِلُ الدُّعَاءَ إِلَى الْبُكَاءِ، كَأَنَّمَا
 فَلِمِثْلِهِ مِنْ يَوْمِ خَطْبِ نَازِلِ،
 فَاسْمَحْ بِأَعْلَاقِ الدَّمُوعِ، فَإِنَّمَا
 وَاهْتِفْ، بِمَا تَشْكُو إِلَيْهَا، لَوْعَةً،
 وَاقْرَعْ لَهَا بَابَ السَّمَاءِ بِدَعْوَةٍ،
 حَتَّى تَجُودَ بِكُلِّ عَارِضِ رَحْمَةٍ،
 زَجَلِ الرَّعُودِ، كَأَنَّمَا مَسَحَتْ بِهِ
 فَبِمِثْلِهَا، مِنْ ثُرْبَةٍ قَدْ قُدِّسَتْ،
 وَسَرَى يَمْرُغٌ، خَدَّهُ، قَمْرُ الدُّجَى،
 وَلِئِنْ صَبَّرْتَ، وَصَبْرٌ مِثْلُكَ حِسْبَةٌ،
 مِنْ كُلِّ مَاضِي الْعَزْمِ، يُهْوِي، بِالْأَسَى،

- (١) ذوى: ذبل - دوحه العلياء: تمثيل لرفعة الشان، والدوحه أصلاً: الشجرة العظيمة.
- (٢) المقلة: العين - المقلة المرهءاء: البيضاء غير المكتحلة من مرهت العين: إذا فسدت وبيضت بواطن أجفانها بترك الكحل.
- (٣) الخطب: الأمر الجلل، المصيبة الفادحة - جمت الدموع: عظمت.
- (٤) الأعلاق: جمع علق، النفيس من كل شيء، والمراد هنا الدموع الغوالي - تقنى: تجمع - البرحاء: الشر والأذى، وحالة الشدة.
- (٥) الزجل من الرعود: الرعد القوي الصوت - العشراء: الناقة في الشهر العاشر من حملها.
- (٦) مرغ يمرغ خده (في التراب): قلبه به، ومرغ قمر الدجى خده: استعارة أراد بها الدلالة على البهاء والحسن - الضفيرة أصلاً: خصلة الشعر وضافر الجوزاء مجموعة كواكب.
- (٧) الهضبة الخلقاء: الملساء.

فَرَأَى جَلِيَّ عَوَاقِبِ الْأَشْيَاءِ
 أَعْطَفَهُ، فَيَخُورَ فِي الضَّرَاءِ (١)
 يَوْمًا، وَأَنَّ بَقَاءَهُ لَفَنَاءِ
 قَدْ بَانَ مُرْتَحِلًا عَنِ الْأَحْيَاءِ
 ضَرَبُوا قِبَابَهُمْ بِهَا لِثَوَاءِ (٢)
 لَمْ يَرْتَعُوا فِي زَهْرَةِ النَّعْمَاءِ
 يُذَكِّي، وَلَا عَيْنٌ لغيرِ بُكَاءِ
 رِيحِ الرَّدَى بِهِمْ، وَمَنْ قُرْبَاءِ (٣)
 مِثَّتْ عَيْونُهُمْ مِنَ الْإِغْفَاءِ
 وَهُمْ الْأَقْرَابُ، مَنزِلَ الْبُعْدَاءِ
 وَمَصَابِ كُلِّ غَمَامَةٍ هَطْلَاءِ
 دَاءِ عِيَاءِ، عَزَّ كُلَّ دَوَاءِ (٤)
 أذُنُ الْمُصِيخِ، وَكَلَّ طَرْفُ الرَّائِي
 فَلَقَدْ سَطَا بِقَلِيلَةِ النَّظَرِ (٥)
 قَدْ فَاتَ طَوْلًا أَيْدِي الثُّجْبَاءِ (٦)
 يَنْدَى الْهَشِيمُ بِهَا، وَبَيْنَ مَضَاءِ (٧)
 خَشِنٌ كَصَدْرِ الصُّعْدَةِ السَّمْرَاءِ (٨)

كشفت له الأيام عن أسرارها،
 لم يكن، في السراء، من تيه بها،
 ما ارتاب أن سروره لكآبة،
 فكأنه، والعيسُ تبسطُ خطوه،
 فلربَّ ركبٍ للردي تحت الشرى،
 متوسدين بها الثراب، كأنهم
 صرعى، فلا قلبٌ لغيرِ صباية،
 ما شئت من قرناء خير، أعصفت
 مِثَّتْ بهم عيني دموعاً، كلما
 وكفى أسي وصبابة أن أنزلوا،
 بدداً بمسرى كل ریح عاصف،
 ألوى بهم، ولكل جنبٍ مصرع،
 وطوى القرون بحيث ضمت عنهم
 ولئن سطا، والفاصلات كثيرة،
 ونجيبية، جاءت بأوحدٍ أمجد،
 متقلب، في الله، بين بشاشة
 لدن كمطلول النسيم، وتارة

(١) السراء: خلاف الضراء المسرة ورغد العيش - ثنى أعطافه تيهها: بدا مزهواً مختلاً.

(٢) الردي: الموت - الثواء: الإقامة.

(٣) القرناء: جمع قرين، النظير والصاحب المماثل.

(٤) ألوى به الداء: أهلكه - الداء العياء: العضال، الذي يستعصي على العلاج.

(٥) سطا يسطو به وعليه: وثب عليه وقهره، وسطا الفرس: ركب رأسه.

(٦) الطول: القدرة، الفضل، الغنى.

(٧) الهشيم: النبات اليابس المتكسر، وقوله يندى الهشيم أي يصير ندياً، يتل.

(٨) اللدن: الطري، الناعم - المطلول من النسيم: النسيم التدي ومطلول: اسم مفعول من طلّت =

وَسَمَا، فَزَاحَمَ مَنِكَبَ الْخَضِرَاءِ
 وَيَرُوعُ قَلْبَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ^(١)
 جَاراً، هُنَاكَ، لِظِيَّةِ الْوَعَسَاءِ
 عِنْدَ الْمَقِيلِ، وَيَشْرَبَا مِنْ مَاءِ
 قَصْرَتِ خُطَاهَا خَجَلَةُ الْعِذْرَاءِ^(٢)
 وَرَدَّتْكَ زَائِرَةً مِنَ الزُّورَاءِ^(٣)
 فَأَتَتْكَ تَمْشِي مَشِيَةَ الْخِيَلَاءِ^(٤)

فِي مَقْعَدٍ وَسِعَ الْأَنَامَ عَدَالَةً،
 يَسْتَنْزِلُ الْأَزْوَى، هُنَاكَ، سَكِينَةً،
 عَدْلٌ، يَظَلُّ بِظِلِّهِ ذَيْبُ الْغَضَا
 وَكَفَاهُمَا أَنْ يَخْلُوَا بِأَرَاكَةِ،
 وَإِلَيْكَ، مِنْ حُرِّ الْكَلَامِ، عَقِيلَةً
 نَشَأَتْ، وَشُقُرٌ دَارُهَا، فَكَأَنَّمَا
 رَقَّتْ، وَقَدْ عَلِمَتْ بِمَوْضِعِ حُسْنِهَا،

= طلا (السماء): الأرض: قطرت عليها الطل وهو المطر الضعيف.

(١) الأروى: ضأن الجبل، جمع الأروية، واللفظة للمذكر والمؤنث - يروع: يفزع - الصخرة الصماء: الصخرة الصلبة.

(٢) العقيلة (من النساء): الكريمة، المحصنة، والعقيلة هنا صفة القصيدة من باب المجاز، أي القصيدة الفريدة. - الخجلة: المرة من الخجل، الحياء.

(٣) شقر: اسم مدينة من مدن الأندلس - الزوراء: من أسماء بغداد.

(٤) الخيلاء: الزهور.

قافية الباء

(١٤)

عرفت قدره دولة

قال هذه القصيدة مادحاً الفقيه أبا العلاء بن زهير
 وطلت ثنايا العلى مرقبا^(١)
 توطىء ظهر السرى مركبا^(٢)
 وخضت، إلى سبسب، سبسبا^(٣)
 شميم العرار، ويرد الصبا:
 أخوا شيبة عن ليالي الصبا
 بصدر كريم صبا صبا
 فأضحى، ولا انقاد حتى أبى^(٤)

شأوت مطايا الصبا مطببا،
 وأقبلت، صدر الدجى، عزيمة،
 فجبث، إلى سدفه، سدفه،
 وقلت، وقد شاقني ملتقى
 خليلي من حمير حدثاً
 وبلاً، بذكر الهوى، غلة
 ولا غام، ما غام، حتى انجلى،

- (١) شأوت: من شأى أي سبق - المطايا: ما يمتطى من الخيل والنوق جمع المطية - ومطايا الصبا: استعارة - الثنايا: جمع ثنية، الطريق، العقبة - وطلت الثنايا: أي تغلبت على صعابها وفي هذا افتخار بقدرته وفضله.
- (٢) صدر الدجى: أوائل الليل - وطأ الظهر: جعله وطينا، أي سهله.
- (٣) جبث: من جاب المكان: طاف به، تجول فيه - السدفه: الظلمة - السبسب: الفلاة القاحلة لا نبت ولا ماء فيها، المفازة.
- (٤) غام: من الغيم، مثل بذلك للغم والأسى - انجلى الغيم: انكشف، انقشع وتبدد - أبى: من الإباء وهو الكبر والأنفة.

وَحَنٌّ هَدِيدٌ عَلَى بَانَةٍ،
فَأَذْكَرْنَا لَيْلَةً بِاللَّوَى،
وَمَاءٌ، بُوَادِي الْغَضَا، سَلْسَلًا،
لِيَالِيٍّ، عَهْدِي بِنَا فِتْيَةٍ،
وَمَا كَانَ أَطْرَرَ تِلْكَ الصَّبَا؛
وَأَطِيبَ ذَلِكَ الْجَنَى رَوْضَةً؛
فَحَرَّكَ، مِنْ سَاكِنٍ، كَامِنٌ،
وَلَمْ يَكُ يَعْرِفُنِي أَمْرَدًا،
فَكِدْتُ، وَدُونَ الصَّبَا شَيْبَةً،
وَقَلْتُ، وَحُبُّ الدُّمَى ذَنْبُهُ:
وَصَعَّدْتُ، عَنِ حَبِّهِ، زَفْرَةً،
وَأَغْرَبَ، مِنْ لَوْعَةٍ، مَدْمَعٌ
وَرَذْعٌ أَصِيلٌ لَوَى مَعْطَفِي،
وَشَعَشَعْتُ مِنْهُ، بَظْهَرِ النَّقَا،
وَأَعَوْلْتُ أَنْدُبُ عَصْرًا خَلَا؛
وَشَبَّيْتُ أَطْرَبُ لَا عَن هَوَى؛
لَكَ الْخَيْرُ، شِخْتُ سِوَى مِقْوَلِ

تَصَدَّى خَطِيْبًا بِهَا أَنْطَبَا
وَعَهْدًا بَعَصِرِ الصَّبَا أَطْرَبَا
وَمُرْتَبَعًا، بِالْحِمَى، مُعْشَبَا
وَعَهْدِي بِأَحْبَابِنَا رِبْرَبَا^(١)
وَأَنْدَى مَعَاطِفَ تِلْكَ الرُّبَى
وَرَشْفَةَ ذَلِكَ اللَّمَى مَشْرَبَا
تَعَاطِي حَدِيثٍ يُحْلُ الْحَبَى
طَرِيرًا، وَيُنْكَرُنِي أَشِيْبَا^(٢)
أَجْرًا، هِنَالِكَ، مَا أَذْهَبَا
أَلَا غَفَرَ اللَّهُ مَا أَذْنَبَا
يَكَادُ لَهَا الصَّدْرُ أَنْ يَلْهَبَا
إِذَا لَجَلَجَتِ لَوْعَةٌ أَعْرَبَا^(٣)
فَفَضَّضْتُ بِالدَّمْعِ مَا ذَهَبَا^(٤)
شَرَابًا أَرْقِرُقُهُ أَصْهَبَا
وَقَضْرُ ابْنِ سَتَيْنَ أَنْ يَنْدُبَا^(٥)
وَهَلْ يَطْرَبُ الْمَرْءُ إِنْ شَبَّيَا؟
نَيْلًا، يَذْهَبُ مَا هَذْبَا

(١) الربرب: القطيع من الظباء أو بقر الوحش، والمراد الكوكبة من الأقران والأحبة.

(٢) الأمد: الذي لم يطر شاربه - الطرير: الذي نبت شاربه.

(٣) أغرب الدمع: سال وانسكب غزيراً، من أغرب الحوض ملاء - لجلج في الكلام لجلجة: تردد فيه - ولجلج شيء في صدره: تردد - اللوعة: حرقة القلب - أعرب كلامه: حسنه، أفصح.

(٤) الردع: أثر الطيب في الجسد، والردع: الزعفران وهو المقصود - فصض الشيء: طلاه بالفضة، وفصض بالدمع: كناية عن البكاء وفي العبارة تمثيل الدمع لنقائه بالفضة - ذهب الشيء: جعله مطلياً بالذهب.

(٥) أندب: أبكي متفجعاً - خلا: مضى.

فصارَ يذكُرُنِي ما يَسِرُّ، كَلامٌ يَجِدُّ بُلْبُ الفَتَى
 كَلامٌ ما شاء من رِقَّةٍ، وَكَادَ بما فيه، من بَلَّةٍ،
 فَلله قَولِي ما أَهذَبَا؛ وَالله دَرُّ أَخِي سَـوَدِدِ،
 تَصوبُ السَماءِ، إِذا ما حَبَا؛ وَتَعشَو الضيَوفُ إِلى نارِهِ،
 وَتَمضي بِهِ، في الوغى، نَجْدَةٌ فَترضى الصَوارِمُ عَنه أَخا؛
 وَقد لُثِمَ النَّقْعُ أُسَدَ الشَّرى، فَلَم تَرَ إِلا نَجِيعاً جَري،
 لَقَد عَرفَت قَدَرَهُ دولَةً، وَتَعَتَدُهُ المُنْتَقى، المُنْتَقى
 تَقِلُّ الوِزارَةُ في حَقِّهِ، تَطوُلُ السَماءُ بِأَبائِهِ،
 وَتَنقادُ غُرُّ المَعالي لَه، إِذا ما طَرى، طَرباً (١)
 ذَهاباً، إِذا شاء أَن يَلْعَبَا (٢) فَحِيا، عَن المَشرقِ، المَغربِ
 يَسومُ الصَحيفَةَ أَن تُعشِبا وَالله لَفظِي ما أَعدَبا
 رِسا هُضبةً، وَسَرى كوكِبا وَيمثُلُ رَضوى، إِذا ما احتبى
 فَتَلقى، هَناك، أَلَا مَرحِبا مَضى السيفِ، في كَفِّهِ أَو نَبا
 وَتَشكُرُ مِنه المَعالي أَبا وَكَرَّت بِها الخيلُ تَعَدُو تَبا (٣)
 وَرُمحاً تَشظى، وَطِرفاً كَبا (٤) تُفدِي بِهِ الأَكرَمَ، الأَنجِبا
 عَلى الخيرِ، وَالحُولَ القُلُبا (٥) وَتَنزِلُ، عَن قَدَرِهِ، مَنصِبا
 وَتُحصي بِهِم كوكِبا كوكِبا فيقتادُها مِقنَباً مِقنَباً (٦)

(١) طرى الكلام: أقبل - طرب: حمل على الطرب.

(٢) اللب: العقل وجد بلبه ذهاباً: استحوذ على عقله، أفقده وعيه.

(٣) النقع: الغبار - تعدو: تركض، التبا: من تبا تبوا: إذا غزا وغنم.

(٤) النجيع: الدم - تشظى: انشق - الطرف: الكريم الطرفين أي الأب والأم - كبا: سقط.

(٥) المنتقى: المصطفى - الحول: الخير بتقلب الأحوال والقلب بالمعنى نفسه: العالم بتقلب الأوضاع.

(٦) يقتادها: يقودها - المقنب: (بكسر الميم): الجماعة من الخيل المتحفزة للغارة.

وَيَلَامُ شَتَّى العُلَى وَالْحِلَى،
وَحَسْبُ المَنَى أَنْ سَرَى مَوْعِدُ،
تَوَالَتْ رِقَاعُكَ، تَتَرَى بِهِ،
وغيرِي مَنْ غَرَّهُ مَوْعِدُ،
فخُذهَا إِلَيْكَ تَهْزُ الفَتَى،
خَصَصْتُ الأَخَصَّ بِهَا أَثْرَةً؛
وَسُمْتُ البِرَاعَةَ أَنْ تَنكُفِي،
وَأَجْرَيْتُ مِنْ مُدَّةِ أَدهِمَا؛
تَرَكَتُ القُلُوبَ لَهُ مَرَبُطاً،
عَلَى حِينَ أَصْبَحَنَ أَيْدِي سَبَا^(١)
كفيلٌ بِنيلِ المُنَى مَطْلَبَا
وَشُكْرِي لَهَا مَوْكِباً مَوْكِبَا
يَشِيمُ بِهِ بَارِقاً خُلْبَا^(٢)
وَمِنْ شِيمَةِ الرِّاحِ أَنْ تُطْرِبَا
وَحَيِّتُ، بِالْأَطِيبِ، الأَطِيبَا
وَذَلِقَ اليَّرَاعَةَ أَنْ تَكْتُبَا
وَوَقَّرْتُ، مِنْ مُهْرَقٍ، أَشْهَبَا
وَصَدَرَ النَّدِيَّ بِهِ مَلْعَبَا

(١٥)

شَابَتْ نَوَاصِي الغُصُونِ

يصف لهوه في ليلة مثلجة
تَجُرُّ الرِّبَابُ بِهَا هَيْدَبَا^(٣)
وَأَلْحَفَ غُصَنَ النَّقَا، فَاحْتَبَى^(٤)
نَوَاصِي الغُصُونِ، وَهَامُ الرُّبَا^(٥)
رَكِبْتُ إِلَى أَشْقَرٍ أَشْهَبَا^(٦)
أَلْفَضَلْتُ، ذَيْلَهَا، لَيْلَةً،
وَقَدْ بَرَقَعَ الثَّلْجُ وَجَهَ الثَّرَى،
فشَابَتْ، وَرَاءَ قِنَاعِ الظَّلَامِ،
فَمَهْمَا تَيْمَمْتُ خَمَّارَةً،

(١) أصبحن أيدي سبا: أي تفرقن، وتبدد شملهن.

(٢) البارق الخلب: أي السحاب الذي يبرق ولكنه لا يمطر.

(٣) فضله فضلاً: غلبه في الفضل - الرباب: الأبيض من السحب - الهيدب: السحاب المنخفض الداني من الأرض.

(٤) برقع الثلج وجه الثرى: غطاه ببرقع من نسجه - ألحف الغصن: ألبسه لحافاً، كساه - احتبى (أي الغصن) بالثوب: اشتمل به، تعلق به.

(٥) نواصي الغصون: أعاليها، والناصية أصلاً شعر مقدم الرأس - الهام: جمع هامة - الرأس.

(٦) تيمم: قصد، ذهب نحو المكان - الأشقر: الخمر، من باب المجاز - والأشهب: الثلج - يقول إنه ذهب إلى حانة الخمر وقد علا الثلج الدروب والمسالك.

وحيثُ جانبها طارقاً،
وقامت بأجيد، من كأسها،
فجاءت بحمراءٍ وقادة،
عثرْتُ بذيلِ الدُّجى دونها،
وقد مسح الصُّبحُ كحلَ الظلام،
فقالَتْ تُجيب: ألا مَرحباً^(١)
لأوقص، من دنَّها، أحدباً^(٢)
تلَّهَّبُ في كأسها كوكباً^(٣)
فأضحكتُ ثغراً لها أشنباً^(٤)
وأطلع فودُ الدُّجى أشيباً^(٥)

(١٦)

يُطاردهُ بارقٌ

ألا زاحمَ الليلَ بي أشقرُّ،
فكاد، وقد طارَ بي شُعلة،
وبسات يطاردُه بارقٌ،
فذهَّب، ليلَ السُّرى، عارضٌ،
فأعشبَ ما جادَ من تلعة،
تصوَّب، تحتَ الدُّجى، كوكباً^(٦)
على فخمَةِ الليلِ أن تلهباً
أحالَ غرابَ الدُّجى أشهباً^(٧)
يفضُّضُ بالماءِ ما ذهباً^(٨)
وطرَّزَ بالتُّورِ ما أعشبا^(٩)

(١) طارقاً: زائراً ليلاً - فقالت: يريد صاحبة الحانة.

(٢) الأجد: الأجد صفة الإبريق الطويل العنق - الأوقص: خلاف الأجد، أي القصير - الدن: إناء الخمر.

(٣) بحمراء: أي بخمرة حمراء اللون - وقادة (للمبالغة): شديدة التوقد، متلاثلة - شبه الخمرة في الكأس بكوكب دري متوقد شديد التلهب.

(٤) يصف كيف تعثر بسبب ظلمة الليل وطابق بين سواد الدجى والكأس الضاحك كأنه ثغر أبيض الأسنان.

(٥) الفود: جانب الرأس - شبه بياض الفجر بالشيب في جانب الرأس وظلمة الليل الذهاب بالشعر الأسود الحالك.

(٦) الأشقر: الفرس الأشقر - تصوَّب كوكب: انحدر.

(٧) أحوال غراب الدجى: حوله، وأراد بغراب الدجى ظلمة الليل - الأشهب: من الشبهة وهي البياض والذي يتخلله السواد.

(٨) السرى: السير قليلاً - العارض: السحاب المعترض في السماء والممطر.

(٩) التلعة: أعلى الوادي - التور: الزهر.

فَرَدَىٰ مَنَاكِبَ تَلَكَّ الْغَصُوبُونَ، وَزَرَّرَ أَكْفَافَ تَلَكَّ الرُّبَا^(١)

(١٧)

بَدْرٌ تَمَّ

مَرَّ بِنَا، وَهُوَ بَدْرٌ تَمَّ، يَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِهِ سَحَابَا
بِقَامَةٍ، تَنْشِي قَضِييَا؛ وَغُرَّةً، تَلْتِظِي شِهَابَا^(٢)
يَقْرَأُ، وَاللَّيْلُ مُدْلِهِمَّ، لُنُورٍ إِجْلَائِهِ، كِتَابَا^(٣)
وَرُبَّ لَيْلٍ سَهَرْتُ فِيهِ، أَزْجُرُّ، مِنْ جِنْحِهِ، نِكَابَا^(٤)
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ مَالَ سُكْرًا، وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَابَا^(٥)
وَحَامًا، مِنْ سُدْفِهِ، غُرَابٌ، طَالَتْ بِهِ سِنَّهُ، فَشَابَا^(٦)
ازْدَدْتُ، مِنْ لَوْعَتِي، خَبَالًا، فَحَتْ، مِنْ غُلَّتِي، شَرَابَا^(٧)
وَمَا خَطَا قَادِمًا، فَوَافِي، حَتَّى ائْتَنَى نَاكِصًا، فَآبَا
وَبَيْنَ جَفْنَيْ بَحْرٍ شَوْقٍ، يُعْبُّ، فِي وَجْتِي، عُبابَا
قَدْ شَبَّ، فِي وَجْهِهِ، شُعَاعٌ، وَشَبَّ عَنْ قَلْبِهِ التَّهَابَا
وَرَوْضَةٍ طَلْقَةٍ حِيَاءً، غَنَاءً مُخْضَرَّةً جَنَابَا^(٨)
يَنْجَابُ عَنْ نَوْرِهَا كِمَامًا، يَحُطُّ، عَنْ وَجْهِهِ، نِقَابَا^(٩)

(١) ردَى المناكب: جعلها تلبس رداء - الأكفاف: حواشي الثوب - أكفاف الربى: جوانبها، أطرافها.

(٢) تنشي: تمايل - تلتظي: تتوقد.

(٣) ادلهم الليل: أظلم - الإجلاء: مصدر أجلى الشيء أبانه وكشف صفحته.

(٤) جنحه: أي جنح الليل وهو طائفة منه - النكاب: المصائب، جمع نكبة.

(٥) السربال: القميص - جاب: قطع، اجتاز.

(٦) السدف: حلقة الليل.

(٧) الخيال: الفساد، الاضطراب - الغلة: حرفة الجوانح.

(٨) الروضة الطلقة: الضاحكة.

(٩) النقاب: ما يستر الوجه.

باتَ بهَا مَبْسِمُ الأَقَاحِي يرشْفُ، من طَلَّهَا، رُضَابَا (١)
 ومن خُفُوقِ البروقِ فِيهَا الأَويَّةُ، حُمَّرتِ خِضَابَا (٢)
 كَأَنَّهَا أَنْمُلٌ وِرَادٌ، تحصُرُ قَطَرَ الحَيَا حِسَابَا (٣)

(١٨)

حَسِبْتُهُ أَلْفَا

وأغرَّ كَادَ، لَطَافَةً وَطَلَاقَةً، ينسابُ ماءً بيننا مَسْكوبَا (٤)
 وسنانَ، يُدرِكُ كُلَّ قلبٍ طالِبَا، ويفوتُ كُلَّ مُتَيِّمٍ مَطْلُوبَا (٥)
 قد قامَ في صَدْرِ النَّدامى، فاستوى، فحسبْتُهُ أَلْفَا بهِ مَكْتُوبَا (٦)
 وأكَبَّ يَشْرِبُهَا، وتَشْرِبُ ذَهَنَهُ، فرأيتُ منه شارباً مَشْرُوبَا
 مَشْمُولَةً، بينا تُرى في كَفِّهِ ماءً، تُرى في خَدِّهِ أَلْهُوبَا (٧)

(١٩)

طَلَعَتْ شَمْساً

فَتَقَ الشَّبَابُ، بوجنتيها، وردةً، في فرعِ إِسْحَلَةٍ تَمِيدُ شَبَابَا (٨)
 وَضَحَتْ سَوَالِفُ جِيدِهَا سُوسَانَةً، وتورَّدتِ اطرافُها عُنَابَا (٩)

(١) الأَقاحي: زهر الأَقحوان - الرضاب: الريق.

(٢) الأَويَّة: الأعلام، جمع لواء.

(٣) الحيا: الريق.

(٤) الأغر: الوضاء الجبين - ينساب ماء: أي كالماء أي يمر بلطف.

(٥) وسنان: ناعس الطرف، والطرف الناعس من صفات الحسن - المتيم: المحب الذي استعبده الحب، أي جعله أسيراً للمحبوب.

(٦) شبه استواء المحبوب وبروزه في المجلس بصورة الألف في الكتابة.

(٧) مشمولة: صفة الخمرة الباردة - الألهوب: اللهب.

(٨) فتق وردة: جعلها تفتح أكامها - الوجنة: الخد - الأسحلة: من الأشجار التي تتخذ منها المساويك تميد: تميمس، تمايل.

(٩) الجيد: العنق، وسوالف الجيد: جمع سالفة، صفحة الجيد - السوسانة: شجرة السوسان ذات الرياحين.

بيضاء، فاض الحسن ماء فوقها،
 بين الثُحورِ قِلادةً، تحت الظلامِ
 نادمتُها، ليلاً، وقد طلعت بهِ
 وترنمتُ، حتى سمعتُ حمامةً،
 وطفأ به الذُّرُّ النِّيسُ حباباً
 غمامةً، دون الصِّباحِ نقاباً^(١)
 شمساً، وقد رَقَّ الشَّرابُ سراباً^(٢)
 حتى إذا حسرتُ، زجرتُ غراباً^(٣)

(٢٠)

تخيُّرُته نجيباً

تخيُّرُته من رهطِ أعوجٍ سابحاً،
 خفيفاً، ولم يحلم بسوطٍ، كأنما
 سرى، وانتمى برقُ بذِي الأثل، ليلةً،
 وحنَّ إلى سَفَرٍ، فطارَ إلى السُّرى،
 يؤمُّ بها أرضاً، عليّ، كريمةً،
 ونهراً، كما ابيضُّ المَقْبَلُ، سلسلاً،
 ورُبَّ نسيمٍ مرَّ بي وهو عاطرٌ،
 أغرَّ، كريمَ الوالدينِ، نجيباً^(٤)
 يفوتُ عدوّاً، أو يؤمُّ حبيباً^(٥)
 فباتَ بها هذا لذاك نسيباً^(٦)
 يخوضُ خليجاً، أو يجوبُ كُثيباً^(٧)
 ومُرتبِعاً فيها، إليّ، حبيباً^(٨)
 وجزعاً، كما اخضرَّ العِذارُ، خصيباً^(٩)
 رقيقُ الحواشي، لا يُحسُّ ديباً

(١) النحور: جمع نحر: الجيد - النقب: الحجاب.

(٢) رَقَّ الشَّرابُ: صفا - السَّراب: ما يظن ماء وسط النهار عند اشتداد الحرِّ، وهو ليس إلا من خداع البصر.

(٣) شَبَّه صوتها بترنمة الحمامة، وشعرها بالغراب الأسود - وقوله حسرت: أي كشفت النقب عن رأسها.

(٤) التخيُّر: الانتخاب - أعوج: جواد من خيول العرب الكريمة - السابح: أي الجواد السابح، السريع - النجيب: الفرس الكريم الأصل.

(٥) يفوت العدو: يسبقه في جريه - يؤم الجيب: يقصده ويتوجّه إليه.

(٦) بذِي الأثل: أي بموضع ذي الأثل، والأثل ضرب من الشجر المتين.

(٧) جاب يجوب المكان: يجتاز، يقطع.

(٨) يؤم: يقصد - المرتبِع: المنزل.

(٩) كما ابيض المَقْبَل: يشبه النهر بالثغر بجامع البياض - نهراً سلسلاً: عذباً - الجزع: موضع الاجتياز في الوادي.

وجدتُ به، من ذلك الماءِ، بَلَّةً،
فصافحتُ رَيْعَانَ النسيمِ تشوُّقاً
وقد قلَّدَ الثَّوَارُ جيداً لِرَبْوَةٍ
وأفصحتِ الورقاءُ، في كلِّ تَلْعَةٍ،
وكان على عهدِ الشَّبَابِ تغنيّاً،
دَعَا لَغْرُوبِ الدَّمَعِ، والدارُ غُرْبَةً،
ومن نَوَّرِ هَاتِيكَ الأباطحَ طيباً^(١)
إليها، ولازمتُ القَضِيبَ رَطِيباً
هناك، ونَحْرًا، للفضاءِ، رَحِيباً^(٢)
نشيداً، وقد رَقَّ النَّسِيمُ نَسِيباً^(٣)
يشوقُ أخاً وَجِدٍ، فعادَ نَحِيباً^(٤)
فلم أَرِ إلا دَاعِيَا وَمُجِيبَا^(٥)

(٢١)

انقضَّ شهابا

وصف فرساً مطهما فقال:

وَمُطَهَّمٍ شَرِقِ الأديمِ، كَأَنَّمَا
طَرِبْتُ، إِذَا غَتَّى الحُسَامُ، مُمَزَّقُ
قَدَحَتْ يَدُ الهَيْجَاءِ مِنْهُ بَارِقًا،
وَرَمَى الحِفَاظُ بِهِ شياطينَ العبدى،
بَسَامُ ثَغْرِ الحَلِيِّ، تحسبُ أَنه
أَلْفَت مَعَاظِفَهُ النَّجِيعَ خِضَابَا^(٦)
ثوبَ العَجَاجَةِ جِيثَةً وَذَهَابَا^(٧)
مِثْلَهُبَا، يُزْجِي القَتَامَ سَحَابَا^(٨)
فانقضَّ في ليلِ الغُبَارِ شهابَا^(٩)
كَاسٌ، أَثَارَ بِهَا المِزَاجُ حَبَابَا^(١٠)

(١) النور: الزهر - الأباطح: جمع بطحاء: المسيل الواسع وفيه الرمل والحصى الدقاق.

(٢) الثَّوَار: الزهر - الجيد: العنق - النحر: الجيد.

(٣) الورقاء: الحمامة - التلعة: المرتفع من الأرض، والجمع تلاع.

(٤) الوجد: الحب.

(٥) غروب الدمع: مسيله.

(٦) المطهم: الجواد الحسن الخلق - الأديم: الجلد، وشرق الأديم: أي أديمه يميل إلى الاحمرار -

النجيع: الدم الخضاب: ما يلوث به.

(٧) الحسام: السيف القاطع، المعجاجة: الغبار.

(٨) قدح (بالزند): حاول إخراج النار منه، وقوله: قدحت بارقاً: كناية عن سرعة الجواد في كرهه

وانقضاضه - الهيجاء: الحرب - يزجي: يقود - القتام: غبار المعركة القاتم.

(٩) الحفاظ: الذود عن المحارم.

(١٠) بسام ثغر الحلبي: استعارة للون المشرق - المزاج: أي المزج بالماء، والحجاب ما يعلو الكأس

من زبد.

(٢٢)

حَسْبِي شَجْوًا

قال يصف وطأة الدهر ويكي الأعبة والخلان
وما رَفَعُوا، غيرَ القُبُورِ، قِباباً^(١)
كما أَضْرَمَت رِيحُ الشَّمَالِ شَهَاباً
تَلَذَّذْتُ فِيهَا جَيْئَةً وَذَهَاباً
تَكَلَّتْهُمْ بِيضَ الوُجُوهِ شَبَاباً^(٢)
أُنَادِي رُسُوماً، لا تُحِيرُ جَوَاباً^(٣)
أَخْطُ بِهَا، فِي صَفْحَتَيَّ، كِتَاباً
فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَقْبُرًا وَيَبَاباً^(٤)
خَلَاءً، وَأَسْلَاءَ الصَّدِيقِ تُرَاباً^(٥)

أَلَّا عَرَسَ الإِخْوَانُ فِي سَاحَةِ البَلَى،
فَدَمَعُ، كَمَا سَخَّ الغَمَامُ، وَلَوَعَةٌ،
إِذَا اسْتَوْقَفْتَنِي فِي الدِّيَارِ، عَشِيَّةً،
أَكْرُبُ بِطَرْفِي فِي مَعَاهِدِ فِتْيَةٍ،
فَطَالَ وَقُوفِي بَيْنَ وَجِدٍ وَزَفْرَةٍ،
أَمَحُو جَمِيلَ الصَّبْرِ، طَوْرًا، بَعْبِرَةً
وَقَدْ دَرَسَتْ أَجْسَامُهُمْ وَدِيَارُهُمْ،
وَحَسْبِي شَجْوًا أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلْقَعًا،

(٢٣)

الشَّيْبُ شَيْنٌ

قال يصف المشيب ويطري الشباب وصبواته
أُسْمِيهِ، مُسَامِحَةً، مَشِييَا^(٦)
وَأَعْظَمُ مِنْهُ رُزْءٌ أَنْ يَغِييَا^(٧)
لَلَاقِيَتُ الفَتَاةَ بِهِ خَضِييَا

أَرَقْتُ عَلَى الصَّبَا، لَطْلُوعِ نَجْمٍ،
كَفَانِي، رُزْءَ نَفْسٍ، أَنْ تَبَدَّى،
وَلَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الغَوَانِي،

(١) عَرَسَ تعريساً (في المكان): نزل ليلاً - البلى: الفناء - ساحة البلى: الموت.

(٢) تَكَلَّتْهُمْ بِيضَ الوُجُوهِ: أي فقدتهم وهم في مقبل العمر.

(٣) لا تُحِيرُ جَوَاباً: لا تجيب.

(٤) اليباب: الخراب.

(٥) البلقع: الأرض القفر، والدار البلقع: الخالية من أصحابها.

(٦) شبه الشيب لبياضه بالنجم، وقوله: أَرَقْتُ عَلَى الصَّبَا كناية عما اعتراه من القلق على تولي الشباب.

(٧) الرزء: المصيبة العظيمة.

إلى أملٍ، ولم أبرح حبيبا
 حياتي، آل أسودُه غريبا^(١)
 شئتُ، بمُجتلَى النَّورِ، القضييا^(٢)
 يكونُ له شيهأ، أو نسييا
 وهل طرَبُ، وقد مثلتُ خطييا
 كأني قد حملتُ بها عسييا^(٣)
 وكيف به، وقد طلَّعت رقييا!
 كفى الأحداثُ، شينا، أن تشييا^(٤)
 غريرا، أو اغشني كهلا أرييا
 عُرابُ شيةِ أَلْفِ النَّعييا
 فيغني، عن فتيتِ المسكِ، طييا
 لها، فيسألفُ الظُّبيَ الرِّييا^(٥)
 كريمٌ يقتضي نسبا قريبا

فلم أعدم، هناك، به شفيعا
 غريبةُ شيبِ فؤدٍ، إن تراخت
 شئتُ بمُجتلاها النَّورَ، حتى
 وعفتُ، كراهةً للشيءِ، شيئا،
 وأيةُ شيةٍ إلا نذيرُ؛
 وبؤتُ بحملها من غيرِ خطبٍ،
 ومِلتُ مع الشَّبابِ عن التصابي،
 وقلتُ: الشَّيبُ للفِتيانِ شينٌ،
 فلا تطمَح، إلى فؤدي، غلاما،
 فأحسنُ من حَمامِ الشَّيبِ، عندي،
 يطيبُ بنفسه عندَ الغواني،
 وترعى منه عينُ الظُّبيِّ شهبأ،
 وبين العينِ والشَّعرِ اشتباكُ،

(٢٤)

مِخْرَابِ الْعِذَارِ

ما للعِذارِ، وكانَ وجهُكَ قبلةً،
 وإذا الشَّبابُ، وكانَ ليسَ بخاشعِ،
 ولقد علمتُ، بكونِ ثغركَ بارقا،
 قد خطَّ فيه، من الدُّجى، مِحرابا
 قد خَرَّ، فيه، راععا، وأنابا
 أن سَوفَ يُزجي للعِذارِ سحابا

(١) الفؤد: جانب الرأس، ومثناه الفؤدان - آل: صار وتحول.

(٢) شئت: كرهت - النَّور: الزهر الأبيض.

(٣) باء بالشياء: عاد ورجع - الخطب: الأمر الجلل - عسيب: علم على جبل.

(٤) الشين: العيب، العار.

(٥) سالفه يسالفه في الأمر: ساواه فيه - الظبي الريب: الذي ربِّي حتى أدرك.

(٢٥)

... فَيُهِى الْهَلَالُ

عوجاءُ تُعَطْفُ ثم تُرْسَلُ تارةً، فكأنما هي حَيَّةٌ تَنَسَابُ^(١)
وإذا انْحَنَّتْ، والسَّهْمُ منها خَارِجٌ، فَيُهِى الْهَلَالُ، انْقَضَ مِنْهُ شِهَابٌ

(٢٦)

نَلْتَقِي وَنَثُوبُ

يَحِلُّ بِهَا أَدْنَى الرِّيَاحِ، فَلِيَتَهَا شَمَالٌ، تَهَادَى بَيْنَنَا، وَجَنُوبُ^(٢)
تَهَبُ بِنَا طَوْرًا جَنُوبًا، فَلْتَقِي؛ وَتَجْرِي شَمَالًا تَارَةً، فَتَثُوبُ^(٣)

(٢٧)

تَجْدُ بِي الصَّهْبَاءُ

وَيَوْمٍ صَقِيلٍ، لِلشَّبَابِ، ظَلَّلْتُهُ، تَجْدُ بِي الصَّهْبَاءُ فِيهِ، وَالْعَبُ^(٤)
رَطِيبٌ بِأَنْفَاسِ الصَّبَا وَنَدَى الصَّبَا، فَقَدْ رَقَّ حَتَّى كَادَ يَجْرِي، فَيَسْكُبُ
تَوْضَحَ، فِي وَجْهِ الصَّبَا مِنْهُ، مَبْسَمٌ؛ وَأَشْرَقَ، فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّيْبِ، كَوَكْبُ^(٥)
تَقَلَّبْتُ فِيهِ بَيْنَ أَعْطَافِ عَيْشَةٍ، كَمَا اخْضَرَ يَنْدَى أَبْطَحُ ظِلَّ يُعْشِبُ
وَقَدْ هَزَّ، مِنْ عِطْفِي نَدِيمٍ وَخُوطَةٍ، أَيْنُ حَمَامٍ، أَوْ غَلَامٍ يُطْرَبُ^(٦)
وَجِرْعٌ، بِأَنْدَاءِ الْغَمَامِ مُفَضَّضٌ، وَذَيْلٌ عَلَيْهِ، لِلْعَشِيِّ، مُذْهَبٌ

(١) تعطف: تثنى - تنساب (الحية): تجري مسرعة.

(٢) حل به: ألم به - الشمال والجنوب: أي الريح التي تهب من الشمال والجنوب.

(٣) تثوب: تعود، ترجع.

(٤) أراد باليوم الصقيل: اليوم المشرق الخفيف الوطأة، والصقيل هنا استعارة من السيف الصقيل أي

الأملس الذي جلاه الصقال - الصهباء: الخمر - وقد طابق بين الجد واللعب.

(٥) توضح: افتتر باسمًا - الليل: هنا سواد الشعر، الكوكب هو الشيب.

(٦) عطفي: مثني عطف، والعطف هو الجانب من الجسم ونحوه - الخوط: الغصن الناعم، وأراد

بالخوطة المرأة الناعمة التي تشاركه في مجلس الشراب.

وقد جالَ، من كاس السُّلَافَةِ، أشقرُ،
 بروضٍ، كأنَّ الغُصْنَ يزهي، فيثنى
 قد ارتجز الرِّعدُ المُرِنُ بأفقه،
 كأنَّ لِسَانَ البَرَقِ فيه، عشيَّةً،
 يسابُقه، من جَدولِ الماءِ، أشهبُ^(١)
 به، وكأنَّ الطَّيْرَ يُسقى، فيطربُ^(٢)
 فأملى، وجات راحةُ البرقِ تكتبُ^(٣)
 لواءَ خضيبٍ، أو رداءً مُذهَّبُ

(٢٨)

الرَّوضُ وَجَهٌ أَزْهَرُ

سَقِيًّا لِيَوْمٍ قَدْ أَنْخَتْ بِسَرْحَةٍ
 سَكْرِي، يُغْنِيهَا الحَمَامُ، فتنثني
 يلهو، فترفعُ، للشيبيةِ، رايةً
 والرَّوضُ وَجَهٌ أَزْهَرُ، والظِّلُّ فرعُ
 في حيثُ أطربنا الحَمَامُ عَشِيَّةً،
 واهتزَّ عطفُ الغُصَنِ من طربِ بنا؛
 فكأنَّه، والحُسنُ مُقْتَرِنٌ به،
 في فِتيَةٍ، تسري، فينصدعُ الدُّجى
 مجلسُ لهُوٍ في أحضانِ الرياضِ
 رِيًّا، تُلاعِبُها الشَّمَالُ، فتلعَّبُ^(٤)
 طرباً، ويسقيها الغمامُ، فتشربُ
 فيه، ويطلعُ للبهارةِ كوكبُ^(٥)
 أسودُّ، والماءُ ثغراً أشنبُ^(٦)
 فشدا يُغْنِينَا الحَمَامُ المُطْرِبُ
 وافترَ، عن ثغرِ الهلالِ، المَغْرِبُ^(٧)
 طوقُ، على بُردِ الغمامَةِ، مُذهَّبُ^(٨)
 عنها، وتنزُّ بالجديبِ، فيخصبُ^(٩)

(١) السلافة: الخمر.

(٢) يزهي: من الزهو وهو التباهي والإعجاب بالذات - ينثني: يتمايل.

(٣) ارتجز الرعد: أرسل صوتاً متتابعاً شبيهاً بالرجز وهو الإنشاد بصوت متتابع.

(٤) أنخت: من أناخ بالمكان: نزل به - السرحة: فناء الدار وكل شجر طال، ولا شوك فيه.

(٥) البهارة: الحسن والجمال.

(٦) الوجه الأزهر: الوضاء المشرق - أشنب: بارد.

(٧) افتر: تبسم.

(٨) الطوق: العقد من لؤلؤ ونحوه - البرد: الثوب - شبه الهلال البادي في صفحة الغمام الرقيق بعقد مذهب.

(٩) انصدع الدجى: انجاب - الجديب: غير الخصب.

كَرُمُوا، فَلَا غَيْثَ السَّمَاةِ مَخْلِفٌ، يَوْمًا، وَلَا بَرَقَ اللَّطَافَةِ خُلْبٌ^(١)
 مِنْ كُلِّ أَزْهَرٍ لِلنَّعِيمِ، بِوَجْهِهِ، مَاءٌ، يُرَقِّقُهُ الشَّبَابُ، فَيَسْكُبُ

(٢٩)

يَهْرُنِي شَبَابٌ

يَا رَبِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ، كَأَنَّمَا
 تَغْرَى، بَطَلَعَتِهِ، الْعَيُونُ مَهَابَةٌ،
 خُلِعَتْ عَلَيْهِ، مِنَ الصَّبَاحِ غِلَالَةٌ
 فَكَرَعَتْ مِنْ مَاءِ الصَّبَا فِي مَنْهَلٍ،
 فِي حَيْثُ لِلرَّيْحِ الرَّخَاءِ تَنْفُسٌ
 وَلرُبِّ غَضُّ الْجِسْمِ مَدٌّ بِخَوْضِهِ
 وَلَقَدْ أَنْخَتُ بِشَاطِئِهِ يَهْرُنِي،
 وَبَكَيْتُ دِجَلَتَهُ يُضَاكِكُنِي بِهَا،

رَسْمُ الْعِذَارِ، بِصَفْحَتَيْهِ، كِتَابٌ
 وَتِيَتْ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ، الْأَلْبَابُ
 تَنْدَى، وَمِنْ شَفَقِ السَّمَاءِ، نِقَابٌ
 قَدْ شَقَّ، عَنْهُ مِنَ الْقَمِيصِ سَرَابٌ
 أَرْجٌ، وَلِلْمَاءِ الْفُورَاتِ عُبابٌ
 شَبَحًا، كَمَا شَقَّ السَّمَاءَ شِهَابٌ
 طَرِبًا، شَبَابٌ، رَاقِنِي، وَشَرَابٌ
 مَرَحًا، حَبِيبٌ، شَاقِنِي، وَحَبَابٌ

(٣٠)

رَكِبْتُ دِجَلَتَهُ . . .

يصف نزهة في زورق برفقة الحبيب

وَصَقِيلِ إِفْرِنِدِ الشَّبَابِ، بِطَرْفِهِ
 يَمْشِي الْهُوَيْنَا نَخْوَةً، وَلرُبَّمَا
 شَتَّى الْمَحَاسِنِ، لِلوَضَاءِ رِيْطَةً،
 سَقَمٌ، وَلِلْعَضْبِ الْحُسَامِ دُبَابٌ^(٢)
 أَطْرَتَهُ، طَوْرًا، نَشْوَةٌ وَشَبَابٌ^(٣)
 أَبْدَأُ عَلَيْهِ، وَلِلْحَيَاءِ نِقَابٌ^(٤)

(١) المخلوق: الذي أخلف ولم يصدق، والغيث المخلف: الذي لم يمطر - البرق الخلب: الذي يلمع ولا يعقبه مطر.

(٢) الإفرند: جوهر السيف ووشيه، استعارة لزهو الشباب وحسنه - السقم في الطرف: الذبول والتعاس وهو من محاسن العين - العضب: السيف القاطع - الذباب: حد السيف.

(٣) يمشي الهوينا: أي متمهلاً - أطرته: جعلته ينثني ويزهو.

(٤) الوضاء: الحسن - الريطة: الملاءة - النقاب: القناع الساتر للوجه.

وبمَعَطِيَّهِ للشَّيْبَةِ مَنَهْلٌ،
عَبْرَ الْخَلِيجِ سَبَاحَةً، فَكَأَنَّمَا
تَطْفُو لِعُرَّتِهِ، هُنَاكَ، حَبَابَةٌ،
وَلِئِنْ تَرَكْتُ مِنَ التَّصَابِي مَرَكِبًا،
لَقَدْ احْتَلَلْتُ بِشَاطِئِهِ، يَهْزُنِي،
وَأَنسَابَ بِي نَهْرٌ، يُعَبُّ، وَزُورِقٌ،
وَرَكِبْتُ دِجَلَتَهُ، يَضَاحِكُنِي بِهَا،
نَجَلُو، مِنَ الدُّنْيَا، عَرُوسًا، بَيْنَنَا،
ثُمَّ ارْتَحَلْتُ، وَلِلسَّمَاءِ ذُؤَابَةٌ
تَلْوِي مَعَاطِفِي الصَّبَابَةَ وَالصَّبَا،
حَيْثُ اسْتَقَلَّ الْجِسْرُ فَوْقَ زَوَارِقِ
لَمْ تَسْتَبِقْ، وَكَأَنَّهَا، مُصْطَفَّةٌ،
مِنْ كُلِّ غَرِيبٍ الْأَدِيمِ، لَوَ أَنَّهُ

- (١) المنهل: المورد - شفت: رق فأظهر ما وراءه - شبه القميص لشفافيته ورقته بالسراب .
(٢) عبر الخليج: اجتازه .
(٣) الغرة: شعر مقدم الرأس - الردف: الكفل - الردف الألف: الملف، يريد الممتلىء - عباب البحر: موجه .
(٤) يعب (أي النهر): يتلاطم موجه - العقرب: الزورق - الحباب: الحية شبه بها انسياب الماء في صفحة النهر .
(٥) الحباب: الفقاقيع التي تعلق الماء، وتلاحظ المجانسة بين الحبيب والحباب .
(٦) المذام: الخمر - الرضاب: الريق .
(٧) أراد بذؤابة السماء الشهباء: أضواء الشفق بعد الغروب - تخضب: تصبغ - وصف كيف هجم ظلام الليل على ضوء الشفق وراح يصبغه بسواده .
(٨) الصبابة: رقة الهوى - الصبا (بكسر الصاد): الشباب - والصبا (بفتح الصاد): الريح الناعمة - الكاشحون والكاشحين: جمع كاشح، أي المبغض .
(٩) دهم: حالكة السواد - في هذا البيت شبه الشاعر المراكب في الماء بالجياد الدهم السوداء .
(١٠) الغريب: الأسود - الأديم: الجلد - النعيب: صوت الغراب .

(٣١)

لهبٌ يلاعبُ الرِّيحَ

قال يصف موقداً توزع فيه ناظره بين رماد أزرق وجمر أحمر

ملتهب.

لَاعَبَ، تلك الرِّيحَ، ذاك اللَّهَبُ،
وباتَ في مَسْرَى الصَّبَا يتبعُهُ،
سَاهَرْتُهُ أَحْسِبُهُ مَتَشِيأً،
لَوْ جَاءَهُ مَتَقِدُّ لَمَّا دَرَى
تَلْتُمُ مِنْهُ الرِّيحُ خِذَا خَجِلًا،
في موقِدٍ، قد رَقِرَقَ الصَّبْحُ به
مَنْقَسِمٌ بَيْنَ رَمَادِ أَرْزِقِ،
كَأَنَّمَا خَرَّتْ سَمَاءٌ فَوْقَهُ،
فَعَادَ، عَيْنَ الْجِدِّ، ذَاكَ اللَّعِبُ^(١)
فَهَوَّ لَهَا مُضْطَرِمٌ، مُضْطَرِبٌ
يَهْزُ عَطْفِيهِ، هُنَاكَ، الطَّرَبُ^(٢)
الْهَبُّ مَتَقِدٌ أَمْ ذَهَبُ^(٣)
حَيْثُ الشَّرَارُ أَعْيُنُ تَرْتَقِبُ^(٤)
مَاءٌ عَلَيْهِ مِنْ نَجُومِ حَبِّ^(٥)
وَيَيْنَ جَمْرٍ خَلْفَهُ، يَلْتَهَبُ
وَانْكَدَرَتْ، لَيْلًا، عَلَيْهِ شُهْبُ^(٦)

(٣٢)

الغَمَامُ الحَاصِبُ

يَا رَبِّ قَطْرِ جَامِدٍ حَلَى به،
حَصَبٌ، الأباطحَ مِنْهُ، مَاءٌ جَامِدٌ،
نَحَرَ الشَّرَى، بَرْدٌ تَحَدَّرَ صَائِبُ^(٧)
غَشَى، البلادَ به، عَذَابٌ ذَائِبُ^(٨)

(١) الجِد (بكسر الجيم): خلاف اللهو واللعب.

(٢) المتشي: ذو النشوة، والنشوة: السكر.

(٣) اللهب المتقد: المتوقد، المشتعل.

(٤) تلتم: تقبل.

(٥) الحبيب: ما يعلو الماء ونحوه من فقائح.

(٦) طرّت: سقطت - انكدرت الشهب: تناثرت.

(٧) القطر: المطر - حلّى: زين - النحر: الجيد.

(٨) حصب المكان أو الشخص: رماه بالحصى، والحصى هنا هو قطع البرد - الأباطح: جمع أبطح

مسيل الماء الواسع - غشى به: غطى.

فالأرضُ تضحكُ عن قلائدِ أنجم، نُثرتُ بها، والجوُّ جهمٌ قاطبٌ^(١)
فكأنما زنتِ البسيطةُ تحتَهُ، فأكبَّ يَرجمُها الغمامُ الحاصِبُ^(٢)

(٣٣)

حَدِيثٌ يَطِيبُ

وخيَريَّة، بينَ النَّسيمِ وبينها، حديثٌ إذا جنَّ الظَّلامُ، يَطِيبُ^(٣)
لها نفسٌ يسري، معَ الليلِ، عاطرٌ، كأنَّ له سرّاً، هناك، يَريبُ^(٤)
يدبُ معَ الإساءِ، حتى كأنما له، خَلَفَ أَسْتارِ الظلامِ، حبيبٌ^(٥)
ويخفى معَ الإصباحِ، حتى كأنما يظُلُّ عليه، للصَّباحِ، رِقِيبُ

(٣٤)

الْمِنْبَرُ وَالْخَطِيبُ

ألا رَبُّ رأسٍ لا تزاوَرَ بينَهُ، وبينَ أخيه، والمَزارُ قَريبٌ^(٦)
أنافَ به صَلْدُ الصِّفا، فهو مِنبَرٌ؛ وقام على أعلاه، فهو خطيبٌ^(٧)

(١) القلائد: جمع قلادة، الطوق يزين به العنق، والقلائد هنا تشبيه لحيات البرد التي غطت الأرض
الجوُّ جهم: العابس المقطب.

(٢) البسيطة: الأرض.

(٣) الخيرية: زهر المنثور الأصفر - جنّ الظلام: امتد.

(٤) يريب: يحمل على الريبة، أي الشك.

(٥) يدب (هنا): يقبل، يأتي.

(٦) الرأس (هنا): رأس الجبل - وقوله: لا تزاور بينه وبين أخيه، إشارة إلى رأسين متجاورين
ولكنهما غير متصلين.

(٧) أناف: ارتفع - الصفا: الصخر، وصلد الصفا: الصخر الصلب - شبه في هذا البيت الصخرة
العالية بالمنبر، ورأس الجبل فوقها بالخطيب.

(٣٥)

قَهْوَةٌ وَحَبِيبٌ

- وأغيدَ، في صدرِ النديِّ لحسنِهِ
من الهيفِ، أمّا ردُّفه فمُنْعَمٌ
يرفُّ برَوْضِ الحُسنِ، من نورِ وجهه
جَلاها، وقد غنَّى الحَمَامُ، عشيَّةً
وجاءَ بها حمراءَ، أمّا زُجَاجُها
على لُجَّةٍ ترتجُ، أمّا حَبَابُها
تجافتَ بها عَنَّا الحوادثُ، بُرْهَةً،
وغازَلْنَا جَفْنَ، هناكَ، كنجِسِ،
فللّه ذيلٌ، للتصابي، سَحْبَتُهُ،
- حُلِّي، وفي صدرِ القصيدِ نَسِيبٌ^(١)
خَصِيبٌ، وأمّا خصرُهُ فجدِيبٌ^(٢)
وقامتِه، نُورًا وقَضِيبٌ^(٣)
عجوزًا عليها، للحَبَابِ، مَشِيبٌ^(٤)
فماءٌ، وأمّا مِلوُهُ فلِهَيْبٌ
فَنورٌ، وأمّا مَوْجُها فكَثِيبٌ^(٥)
وقد سَاعَدْنَا قَهْوَةً وَحَبِيبٌ^(٦)
ومُبَسِّمٌ، للأقحوانِ، شَنِيبٌ^(٧)
وعيشٌ، بأطرافِ الشابِ، رَطِيبٌ^(٨)

(٣٦)

هَلْ سَاءَةٌ

- هل ساءه أن آل آسأ ورده، وتعلّلت، من فيه، كأسٌ تُشربُ^(٩)

(١) وأغيد: أي رب أغيد، والغيد: طول الجيد - الحلّي: ما يتزيّن به من المجوهرات الثمينة - النسيب في صدر القصيد: مطالع الغزل.

(٢) الهيف: جمع الأهيف: النحيل الخصر - الردف: العجز يصف محاسن المحبوب فينعتة بطول الجيد، وضمور الخصر وامتلاء الردف.

(٣) النّوّارة: الزّهرة - القضيّب: الغصن وهو تمثيل للقامة.

(٤) جلا الشيء: أظهره وكشف عنه، والضمير في جلاها عائد للخمرة - عجوزاً: أي خمرة معتقة - الحباب: ما يعلو الخمرة من فقاقيع.

(٥) اللّجّة (هنا): الماء الجاري - ترتج: تهتز بقوة. الكثيب: المرتفع الرّملي.

(٦) يصف كيف تغلب على حوادث الزمان برفقة الحبيب والمدام.

(٧) الجفن: العين - المبتسم الشنيب: الثغر ذو الأسنان البيضاء والشنيب أيضاً: ريق الثغر البارد.

(٨) العيش الرطيب: العيش الهادي المنعم.

(٩) آل الشيء: تحوّل وتبدّل من حال إلى حال - الآس: شجر الآس المعروف بـ «الحنبلاس» وهو =

فَكَأَنَّ صَفْحَتَهُ، وَنَدَّ عِذَارَهُ، مَاءٌ يَثُورُ، بِصَفْحَتَيْهِ، طِحْلِبٌ^(١)

(٣٧)

حَبْدَا عَيْدٌ

قال في نعيمة وكبش أملح بداعب صديقاً له :

فَجَدَّدَ، مِنْ عَهْدِ الشُّبَابِ، مَشِيبُ

يُلاعِبُ، رَبَّاتِ الحِجَالِ، رَيْبُ^(٢)

قَضِيبُ بِهَا، وَارْتَجَّ مِنْهُ كَثِيبُ

تَرُوقُ، وَأَمَّا نَصَبَةٌ، فَنجِيبُ^(٣)

مَرَادُ، بِبَطْنِ الوَادِيَيْنِ، خَصِيبُ

وَهَلْ زَارَ، إِلَّا فِي الظَّلَامِ، حَيْبُ؟

تَمَشَّى إِلَيْهَا، وَهِيَ تَجْهَلُ، ذَيْبُ

أَلَا حَبْدَا عَيْدٌ تَلَاقتْ بِهِ المُنَى،

وَأَعْرَضَ، فِي حُسْنِ المَلِيحَةِ، أَمْلَحُ،

تَهَادتْ تَثْنَى، وَهِيَ تُذَعْرُ، فَالتَوَى

وَسَوْدَاءَ، أَمَّا نِسْبَةٌ، فَهِيَ نَعْجَةٌ،

أَقَامَ بِهَا، مَا يَبِينُ ظِلُّ وَمَوْرِدُ،

أَتَتْكَ، وَأَفِيَاءُ الشُّبَابِ تُظْلَهُا؛

فَطُفَّتْ بِهَا، تَمَشَى الهُوَيْنَا، وَإِنَّمَا،

(٣٨)

أَظْلَمَ قَرْنُ الشَّمْسِ

قال هذه القصيدة في رثاء الوزير أبي ربيعة ووصف نوب

الأيام وحوادث الزمان

وَعُتْبَى اللَّيَالِي، لَوْ فَهَمْتَ، عِتَابُ^(٤)

فَغَايَةُ هَاتِيكَ الهِبَاتِ ذَهَابُ

شَرَابُ الأَمَانِي، لَوْ عَلِمْتَ، سَرَابُ،

إِذَا ارْتَجَعْتَ أَيْدِي اللَّيَالِي هِبَاتِهَا،

= هنا كناية عن عذار الحبيب .

(١) شبه عطر عذار الحبيب برائحة البخور، وكنى عن خضرته بالآس - الطحلب: الخضرة التي تعلق صفحة الماء الراكد .

(٢) ربّات الحجال: النساء، والحجال: الستر يضرب للعروس في جوف البيت .

(٣) النعيمة: كناية عن المرأة، النصبية: الثبته المغروسة، وأراد بالنصبه الأصل - النجيب: كل نفيس في نوعه .

(٤) العتبي: الرضى .

تُحومُ عَلَيْهَا، لِلْحِمَامِ، عُقَابٌ^(١)
مَطَايَا إِلَى دَارِ الْبَلِي، وَرِكَابٌ^(٢)
وَقَدْ بَادَ أَقْرَانُ، وَفَاتَ شَبَابُ
وَلَا عَاضَ، مِنْ شَرَحِ الشَّبَابِ خِضَابُ
فَهَلْ لَهُمَا مِنْ ظَاعِنِينَ إِيَابُ؟
فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثُّرَابِ تُرَابُ
تَضَاكَكَ أَحْبَابُ بِهِ وَصِحَابُ
وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ نِقَابُ^(٣)
يُمْدُ جَنَاحِيهِ عَلَيَّ غُرَابُ
فُتُوَعَى، وَلَا غَيْرَ الْعَوِيلِ جَوَابُ
لَهُ زَحْرَةٌ، فِي وَجْتِي، وَعُبابُ
فُرَادَى، وَهُمْ مُلْدُ الْغُصُونِ شَبَابُ^(٤)
تَبَارَتْ بِهِمْ خَيْلٌ، هُنَاكَ، عِرَابُ^(٥)
جَثَا بَيْنَهُمْ طَعْنُ لَهُمْ وَضِرَابُ
لِجَنبٍ، وَلَا غَيْرَ الْقُبُورِ قِبَابُ^(٦)
وَحَتَّى مَتَى أُرْمَى بِهَا فَأَصَابُ؟
كَمَا كَرَعَتْ، بَيْنَ الضُّلُوعِ، حِرَابُ^(٧)

وَهَلْ مُهَجَّةُ الْإِنْسَانِ إِلَّا طَرِيدَةٌ،
يُخَبُّ بِهَا، فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ،
وَكَيْفَ يَغِيضُ الدَّمْعُ أَوْ يَبْرُدُ الْحِشَا،
فَمَا نَابَ، عَنْ خِلِّ الصَّبَا، خِلُّ شَيْبَةٍ،
أَلَا ظَعْنًا، مِنْ صَاحِبٍ وَشَيْبَةٍ،
دَعَا بِهِمَا صَرَفُ اللَّيَالِي إِلَى الْبَلِي،
فَهَا أَنَا أَبْكَى كُلِّ مَعَهْدٍ رَاحَةٍ،
أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ لَيْلَةٍ،
كَأَنِّي، وَقَدْ طَارَ الصَّبَاحُ حَمَامَةٌ،
عَلَى حِينٍ، لَا غَيْرَ اعْتِبَارِي خَطَابَةٌ،
وَقَدْ جَاشَ بِحَرٍّ، بَيْنَ جَنْبِي، مَائِجٌ،
فِيَا لَهُمْ مِنْ رَكِبٍ صَحْبٍ تَتَابَعُوا،
دَعَا بِهِمْ دَاعِي الرَّدَى، فَكَأَنَّمَا
فَهَا هُمْ، وَسِلْمُ الدَّهْرِ حَرْبٌ، كَأَنَّمَا
هُجُودٌ، وَلَا غَيْرَ الثُّرَابِ حَشِيَّةٌ،
فَحَتَّى مَتَى تَبْرِي اللَّيَالِي سِهَامَهَا؛
وَحَتَّى مَتَى أَلْقَى الرَّزَايَا مُمِضَّةً،

(١) المهجعة: الروح - الحمام (بكسر الحاء): الموت - العقاب: من الطيور الجارحة.

(٢) يخبُّ: من الخبب وهو ضرب من العدو - مطايا: جمع مطية الدابة التي تمتطي وأراد بالمطايا المنايا - دار البلي: عالم الموت.

(٣) الطرف: العين - النقاب: ما تستر به المرأة وجهها.

(٤) الغصون الملد: جمع الأملد، وهو الغصن الناعم الغضّ شبه به شباب العمر.

(٥) الخيل العراب: الخيل الكريمة الخالية من الهجعة.

(٦) هجود: ينام، وقد شبه الموت بالنوم - الحشية: الفراش المحشو.

(٧) الرزايا: المصائب - ممضة: موجعه - كرعته الحراب: رمته فأصابته كُراعها، والكراع (من=

وإِذَا كَمَا تَمْشِي الضَّرَاءَ ذِنَابُ
يَمَزَّقُ جَيْبٌ، تَحْتَهَا، وَإِهَابٌ^(١)
تَجَافَى حُسَامٌ مِنْهُمَا وَقِرَابُ
فِيحْزِنُنِي رُزْءٌ بِهِ وَمُصَابُ
إِذَا نَسِيَتْ رَسَمَ الْوَفَاءِ صِحَابُ
طَوَالَ اللَّيَالِي، وَالنَّعِيمُ عَذَابُ
وَهَلْ عَدَلَ الْعَذْبُ الْفِرَاتِ سَرَابُ؟^(٢)
وَمَا انْدَقَ رُمُحٌ، دُونَهُ، وَذُبَابُ^(٣)
فَقَاتَ سِبَاقاً، وَالْحِمَامُ قِصَابُ^(٤)
لَوَى الدَّهْرُ فَرَعِينَا، وَنَحْنُ شَبَابُ
نُجِيبُ بِهَا دَاعِيَ الصُّبَا، وَنُجَابُ^(٥)
شَبَابُ، أَرَقْنَاهُ بِهِ، وَشَرَابُ
كَرَّرْنَا، فَكَانَتْ فِتْنَةً وَمَتَابُ
وَأَقْشَعٌ مِنْ ظِلِّ الشُّبَابِ سَحَابُ
وَأرْسَتْ بِنَا فِي النَّائِبَاتِ هِضَابُ
وَقَدْ كَانَ يُرْجَى، تَارَةً، وَيُهَابُ
فَلَمْ يَنْسُبْ عَنْهُ لِلْمَيْتَةِ نَابُ؟

فِيَا كَمَا تَعْدُو الضَّرَاغِمُ عَنُوةٌ؛
فِي كُلِّ يَوْمٍ فَتَكَّةٌ لِمِلْمَةٍ،
وَرَبِيعِ خَلَاءٍ مِنْ خَلِيلٍ، وَإِنَّمَا
يُذَكِّرُنِيهِ، كُلَّ حِينٍ، جِوَارُهُ،
فَلَسْتُ بِنَاسٍ صَاحِباً مِنْ رَبِيعَةٍ،
أَجَلْتُ طِبَاعِي فِيهِ، فَالْأَنْسُ وَحِشَّةٌ،
وَهِيَهَاتَ لَا أَغْنَى خَلِيلٌ غِنَاءَهُ؛
وَمِمَّا شَجَانِي أَنْ قَضَى حَتْفَ أَنْفِهِ،
وَأَنَا تَجَارِينَا ثَلَاثِينَ حِقْبَةً،
وَكَيْفَ تَهَاجَرْنَا كُهُولاً، وَإِنَّمَا
كَأَنَّ لَمْ نَبِتْ فِي مَنْزِلِ الْقُصْفِ لَيْلَةً،
إِذَا قَامَ مِتَّاقَائِمٌ، هَزَّ عِطْفَهُ
جَمَحْنَا بِمَيْدَانِ الصُّبَا، ثُمَّ إِنَّنَا
وَلَمَّا تَرَاءَتْ لِلْمَشِيبِ بُرَيْقَةً،
نَهَضْنَا بِأَعْبَاءِ اللَّيَالِي جَزَالَةً،
فِيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ كَيْفَ سَطَابَهُ،
وَكَيْفَ اسْتَلَانَتْ صَوْلَةَ الْمَوْتِ عُودَهُ،

= الإنسان): ما دون الركبة من مقدم الساق.

(١) الإهاب: الجلد.

(٢) عدله: ساواه، مائله - الفرات: الماء العذب.

(٣) الذباب: حدّ السيف.

(٤) الحمام: الموت - وقوله: الحمام قصاب معناه أن الموت هو الذي يفرق ويفصل بين الصحاب ويقطع أواصرهم.

(٥) القصف: اللهو - ومنازل القصف: مجالس الأنس والشراب.

ولا عجباً أننا ذلّلنا لحادث،
 وأنا خضعتنا للمقاديرِ عنوةً،
 ولو أن غير الله كان أصابه،
 فيا ظاعناً قد حُطَّ، من ساحةِ البلى،
 كفى حزنًا أن لم يردني، على التوى،
 وأنّي، إذا يَمَمْتُ قبرك زائراً،
 فأظلمَ قرنُ الشمس، وهي مُنيرةٌ،
 ورقرقتُ، بينَ الحزنِ والصبرِ، عبْرَةً،
 ولو أن حَيًّا كان حاورَ ميِّتاً،
 وأعربَ عمًّا عنده من جليّةٍ،
 عليك سلامُ الله من صاحبِ قضي،
 تولّى حميدَ الذّكر، لم يأتِ وصمةً،
 أغرُّ طليقُ الصّفحتين، كأنّما
 ألا إنَّ جسماً يستحيلُ لثربةٍ،
 فلا سعيَ إلا أن يكونَ لآجلٍ

تذلُّ له الآسادُ، وهي غضابُ
 كما خضعت، تحتَ السيوفِ، رِقابُ
 لجاشت نفوسٌ، لا تُفادُ، صِعابُ^(١)
 بمنزلِ يَينِ، ليسَ عنه إيابُ^(٢)
 رسولٌ، ولم ينفذُ، إليك، كتابُ
 وقفْتُ ودوني، للثرابِ، حِجابُ
 وضاعت بلادُ الله، وهي رحابُ
 لها جيئةٌ، في مُقلتي، وذهابُ
 لطالَ كلامٌ، بيننا، وخطابُ
 فأقلعَ عن شمسِ، هناك، ضبابُ
 فأجهشَ ربيعٌ، بعده، وجنابُ^(٣)
 فتبقى، ولم تدنسَ عليه ثيابُ^(٤)
 وراءَ ثرابِ القبرِ منه شهابُ
 وإنَّ حياةً تنتهي، لخرابُ
 ولا ذخرَ إلا أن يكونَ ثوابُ

(٣٩)

أنت طيبٌ

أدعو، فلا تلوي، وأنت قريبٌ؟ وأشكو، فلا تُشكي، وأنت طيبٌ؟^(٥)

(١) جاشت النفوس: هاجت واضطربت.

(٢) الظاعن: الراحل، المسافر - الإياب: العودة.

(٣) اجهش الربيع بالبكاء: تهيأ له.

(٤) لم يأت وصمة: لم يرتكب إثماً يسيء إلى سمعته.

(٥) لا تلوي: لا تقف أو تتمهل.

وما كنتُ أخشى أن أراني ضاحياً،
 وهل يستجيزُ المجدُّ أن أشتكي الصدى،
 وكيف بمطلوبي، إذاشطتِ النوى،
 فهل شيبَ، من تلك المصافاة، مشرعٌ،
 سلامٌ على عهدِ الوفاءِ مودّعاً،
 سلامٌ له، فوقَ المحاجرِ، بلّةٌ،
 وقد كان يسري، والتنائفُ بيننا،
 وتفتّرُ عن بشرٍ، هنالك، زهرةٌ؛

(٤٠)

نارُ القرى

يخيّم الشاعر وسط الطبيعة وعندما جنّه الليل، أوقد نار القرى
 وأمعن في وصفها وقد بسطت فوقها سماءً من دخان
 ومَعِينُ ماءِ البِشْرِ أَبْرَقَ هَشَّةً،
 فَكْرَعْتُ من صَفْحَاتِهِ في مَشْرِبِ (٧)
 متَهَلَّلُ يَنْدَى، حِيَاءً، وَجْهَهُ،
 فَتَرَاهُ بَيْنَ مَفْضُضٍ وَمَذْهَبِ (٨)

(١) الأيك: الشجر الكثير الملتف.

(٢) الصدى (هنا): الظمأ، والعطش الشديد - الرشاء: حبل الدلو، الرشاء المحصد: الحبل المفتول، المستحكم الصنعة - القليب: الدلو - يقول لائماً: كيف أظماً وأنت كالدلو وبإمكانك أن ترويني فتذهب غلتي؟.

(٣) شيب: لم يعد صالحاً - المصافاة: الودّ والإخاء الصادق - المشرع: مورد الماء - هيل: المجهول من أهال (التراب): جعله ينهال.

(٤) عسيب: جبل.

(٥) المحاجر: العيون - بلّة: اسم المرّة من بلّ، والمراد الدمعة - أحناء الضلوع: حناياها.

(٦) التنائف: جمع تنوفة، الفلاة، القفر.

(٧) المعين من الماء: الماء الجاري المرئي بالعين - البشر: بشاشة الوجه من بشرٍ يبشر، وأبشر... به: سرّ، بشرني بوجه حسن: أي لقيني طلق الوجه - الهشة: الابتسامة - كرع كرعاً وكروعاً في الماء: مدّ عنقه وتناول الماء بفيه من موضعه.

(٨) مفضّض: مّمّوه أو مرصّع بالفضة، ومذهب: مرصع بالذهب.

أضنى الحُسامَ حَسَادَةً، ففِرْنُدُهُ
 خَيَّمَتْ مِنْهُ بَيْنَ طُودٍ بِأَذْخِ
 تَهْفُوبِهِ نَارُ الْقُرَى، فَكَأَنَّهَا،
 حَمْرَاءُ، نَازَعَتْ الرِّيحَ رِدَاءَهَا،
 ضَرَبَتْ سَمَاءً مِنْ دُخَانٍ فَوْقَهَا،
 وَتَنَفَّسَتْ عَنْ كُلِّ نَفْحَةٍ جَمْرَةٍ،
 قَدْ أُلْهِبَتْ، فَتَذَهَبَتْ، فَكَأَنَّهَا،
 تَذُكُو وَرَاءَ رَمَادِهَا، فَكَأَنَّهَا
 وَاللَّيْلُ قَدْ وَلَّى يُقْلَصُ بُرْدَهُ،
 وَكَأَنَّهَا نَجْمُ الثَّرِيَا، سَحْرَةً،

دَمْعٌ تَرَقَّرَقَ، فَوْقَهُ، لَمْ يَسْكُبِ (١)
 نَالَ السَّمَاءَ، وَبَيْنَ وَادٍ مُعْشِبِ (٢)
 مَهْمَا عَشَا ضَيْفٌ، لِسَانُ الْمُعْرَبِ (٣)
 وَهَنَاءُ، وَزَاحَمَتِ السَّمَاءَ بِمَنْكِبِ (٤)
 لَمْ يُذَرَفَ فِيهَا شَعْلَةٌ مِنْ كَوْكَبِ
 بَاتَتْ لَهَا رِيحُ الْجَنُوبِ بِمَرْقَبِ
 لِسُكُونِ شَرِّ شَرَارِهَا، لَمْ تَلْهَبِ (٥)
 شَقْرَاءُ، تَمْرُحُ فِي عَجَاجِ أَكْهَبِ (٦)
 كَدَاءُ، وَيَسْحَبُ ذَيْلَهُ فِي الْمَغْرَبِ (٧)
 كَفَّ تُمْسَحُ عَنْ مَعَاطِفِ أَشْهَبِ (٨)

(٤١)

الأنس الندي

وَنَدِيٍّ أَنَسٍ هَزْنِي هَزَّ الشَّرَابِ مِنَ الشَّبَابِ (٩)

(١) الفرند: جوهر السيف ووشيه.

(٢) الطود: الجبل - الباذخ: العالي، الشاهق - السماك: نجم.

(٣) القرى: الضيافة، ونار القرى: النار التي يهتدي بها المسافر ليلاً وصولاً إلى أماكن الضيافة - عشا الضيف إلى النار: قصدها ليلاً.

(٤) وهنا: أثناء الليل.

(٥) ألهبت النار: أضرم لهبها - تذهبت: صارت بلون الذهب من شدة التوقد.

(٦) ذكت النار: سقرت واشتد لهبها - تمرح: تختال مزهوة - العجاج: الغبار - الأكهب: اللون الأغبر المشرب سواداً.

(٧) قلص البرد: شمره ورفع، والبرد: الثوب.

(٨) الثريا: مجموعة نجوم - سحرة: أي في السحر - معاطف: أعناق، جمع معطف - الأشهب: الفرس الأشهب أي البيضاء التي يداخل بياضها سواد.

(٩) ندي أنس: النادي أو مجلس أنس - هزني: حرّكني بقوة، أهاج مشاعري.

والليلُ وضَّاحُ الجيِّينِ،
فَقَنَصْتُ مِنْهُ حَمَامَةً
والتَّوْرُ مَبْتَسِمٌ، وَخَدُّ
يَنْدَى بِأَخْلَاقِ الصُّحَابِ،
وَكَلاهُمَا نَثْرٌ، كَمَا
فَكَأَنَّ كَأْسَ سُلَافَةٍ
قَصِيرٌ أَذْيَالِ الثِّيَابِ (١)
بِيضَاءً، تَسْنُحُ مِنْ غُرَابِ (٢)
الْوَرْدِ مَحْطُوطُ النَّقَابِ (٣)
هِنَاكَ، لَا يَنْدَى السَّحَابِ (٤)
نَثَرُوا الْقَوَافِي بِالْخَطَابِ (٥)
ضَحِكْتَ، إِلَيْهِمْ، عَنِ حَبَابِ (٦)

(٤٢)

دَعَّ عَنْكَ

دَعَّ عَنْكَ مِنْ لَوْمٍ قَوْمٍ لَسْتَ تَخْبِرُهُمْ،
عُوجٌ، عَلَى الدَّهْرِ، هُوجٌ، غَيْرَ أَنَّهُمْ
إِلَّا تَكشَّفَ سِتْرُ الغَيْبِ عَنِ عَيْبِ (٧)
سُودٌ مِنَ الجَهْلِ، بِيضَانٌ مِنَ الشَّيْبِ

(٤٣)

بَادَ فَاَنْقَضَى

بَعَيْشِكَ هَلْ تَدْرِي، أَهْوَجُ الجَنَائِبِ،
فَمَا لُحْتُ فِي أَوْلَى المِشَارِقِ كوكِبًا،
وَحِيدًا تَهَادَانِي الفَيَافِي، فَأَجْتَلِي
تَخُبُّ بِرَحْلِي، أَمْ ظُهُورُ النَّجَائِبِ؟ (٨)
فَأَشْرَقْتُ، حَتَّى جِئْتُ أُخْرَى المِغَارِبِ
وَجَوْهَ المَنَايَا، فِي قِنَاعِ الغِيَاهِبِ (٩)

(١) الليل الوضاح الجبين: الليل المقمّر - ليلٌ قصير الأذيال: كناية عن تقلص رقعة ظلامه المنعكس على الأرض.

(٢) قنص: تصيد - تسنح من غراب: أي تقبل هرباً من غراب، وفي البيت تورية.

(٣) النور المبتسم: الزهر المفترة أكاماه - النقاب (أصلاً): الغطاء، ونقاب الورد: كمامته وقوله: محطوط النقاب: أي متفتح الأكام.

(٤) يندى: يجود - ندى السحاب: طله، المطر.

(٥) القوافي: كناية عن أبيات الشعر.

(٦) السلافة: الخمرة - الحباب: ما يعلو من الفقاقيع.

(٧) تخبرهم: تخبرهم، تمتحنهم.

(٨) الجنائب: رياح الجنوب - الهوج: الهوجاء - النجائب: النوق الكريمة، جمع نجبية.

(٩) تهاداني الفيافي: تهاداني، والفيافي: جمع فيفاء، الفلاة المقفرة - اجتلى الوجوه: نظر إليها -

ولا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَمَّمٍ؛
 ولا أَنَسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكَ، سَاعَةً،
 وِلِيلٍ، إِذَا مَا قَلْتُ قَدْ بَادَ، فَانْقَضَى،
 سَحَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سَوْدَ ذَوَائِبِ،
 فَمَزَقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصِ أَطْلَسِ،
 رَأَيْتُ بِهِ قِطْعاً مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَشاً،
 وَأَرَعَنْ طَمَاحِ الذُّوَابَةِ، بَاذِخِ،
 يَسُدُّ مَهَبَ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وُجْهَةٍ،
 وَقَوْرِ، عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ، كَأَنَّهُ،
 يَلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سَوْدَ عَمَائِمِ،
 أَصَحَّتْ إِلَيْهِ، وَهُوَ آخِرُ صَامِتٍ،
 وَقَالَ: أَلَا كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ قَاتِلِ،
 وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبِ،
 وَلَا طَمَ، مِنْ نُكْبِ الرِّيحِ، مِعَاطِفِي،
 فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّتَهُمْ يَدُ الرَّدَى،

= الغياهب: جمع غيهب: الظلمة الشديدة.

(١) الحسام المصمم: السيف الماضي القاطع - القتود: جمع قند خشبة الرحل.

(٢) باد الليل: ذهب، وولى.

(٣) الأطلس: الذئب الأكبر المائل إلى السواد - المضاحك: جمع مضحك، الثغر - القاطب: العابس المتجهم.

(٤) الأرعن: الجبل ذو الرعان، الطويل - الذوابة بعامة: الشعر المظفور، والذوابة من كل شيء أعلاه، وهنا قمة الجبل - أعنان السماء: السحب - الغارب: الظهر.

(٥) يلوث: يعقد، يربط - العمائم: جمع عمامة غطاء الرأس.

(٦) الأواه: الكثير التأوه - تبتل: تنسك وتعبّد.

(٧) المدلج: السائر ليلاً - المؤوب: العائد.

(٨) الغوارب: جمع غارب، الظهر.

ولادارَ إِلَّا فِي قُتُودِ الرِّكَائِبِ (١)
 تُغُورَ الْأَمَانِي فِي وَجْهِهِ الْمَطَالِبِ
 تَكشَّفَ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كاذِبِ (٢)
 لاعتنقَ الْأَمَالَ بِيضَ ترائِبِ
 تَطَلَّعَ وَضَاحَ الْمَضَاحِكِ قَاطِبِ (٣)
 تَأَمَّلَ عَنْ نَجْمٍ، تَوَقَّدَ، ثاقِبِ
 يَطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بَغَارِبِ (٤)
 وَيَزَحَمُ، لَيْلاً، شُهْبَهُ بِالْمَنَاكِبِ
 طِوَالَ اللَّيَالِي، مُفَكِّرٌ فِي الْعَوَاقِبِ
 لَهَا، مِنْ وَمِيضِ الْبَرَقِ، حُمُرُ ذَوَائِبِ (٥)
 فَحَدَّثَنِي لَيْلُ الشُّرَى بِالْعَجَائِبِ
 وَمَوْطِنَ أَوَاهِ، تَبْتَلِ، تَائِبِ (٦)
 وَقَالَ بِظُلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ (٧)
 وَزَاخَمَ، مِنْ خُضْرِ الْبَحَارِ، غَوَارِبِي (٨)
 وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالتَّوَائِبِ

فما خَفَقُ أَيَكِي غيرَ رَجْفَةٍ أَضْلَعِ؛
وما غَيَّضَ السُّلْوَانَ دَمْعِي، وَإِنَّمَا
فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى، وَيُظَلِّعُنُ صَاحِبُ،
وَحَتَّى مَتَى أَرَعَى الكَوَاكِبَ سَاهِرًا،
فَرُحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ، دِعْوَةَ ضَارِعِ،
فَأَسْمَعَنِي، مَنْ وَعَظَهُ، كَلَّ عِبْرَةَ،
فَسَلَّى بِمَا أَبْكِي، وَسَرَى بِمَا شَجَا،
وَقُلْتُ، وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لِطَيِّةِ:

وَلَا نَوْحُ وَرُقِي غيرَ صَرَخَةِ نَادِبِ^(١)
نَزَفْتُ دُمُوعِي فِي فِرَاقِ الصَّوَاحِبِ
أُودِّعُ مِنْهُ رَاحِلًا غيرَ آيِبِ؟
فَمَنْ طَالِعِ، أُخْرَى اللَّيَالِي، وَغَارِبِ؟^(٢)
يُمُدُّ إِلَيَّ نُعْمَاكَ رَاحَةَ رَاغِبِ
يَتَرَجِّمُهَا عَنْهُ لِسَانَ التَّجَارِبِ^(٣)
وَكَانَ، عَلَيَّ عَهْدِ الشَّرِيِّ، خَيْرَ صَاحِبِ
سَلَامٌ، فَإِنَّا مِنْ مُقِيمِ وَذَاهِبِ^(٤)

(٤٤)

يَا مَلِكَ الْمَلُوكِ

من مدائحه التي أثنى بها على أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين

بِمَثَلِ عِلَاكَ، مِنْ مَلِكِ حَسِيبِ،
وَسَاعَدَنِي ثَنَاءُ فَيْكَ رَطْبُ،
وَهَزَّتْ مِنْ مَعَاظِفِي الْقَوَافِي،
أَمَّا وَرُؤَاءِ دَوْلَتِهِ، يَمِينًا
لَقَدْ ضَحِكَ الصَّبَّاحُ بِمُجْتَلَاهِ،

عَنْدَلْتُ إِلَى الْمَدِيحِ عَنِ النَّسِيبِ^(٥)
كَمَا سَرَّتِ التَّحِيَّةُ مِنْ حَبِيبِ
كَمَا هَفَّتِ التُّعَامِي بِالْقَضِيبِ^(٦)
تَأَلَّاهَا نَجِيبٌ فِي نَجِيبِ^(٧)
وَرَاءَ اللَّيْلِ، عَنْ ثَغْرِ شَنِيبِ^(٨)

(١) الورق: الحمام، جمع ورقاء - النادب: الباكي المتفجع.

(٢) الكوكب الغارب: الآفل.

(٣) العبرة (بالكسر): الموعظة، والعبرة (بالفتح): الذمعة.

(٤) الطيئة: السفر.

(٥) الملك الحسيب: ذو الحسب، والحسب: المحتد الشريف - النسيب: الغزل.

(٦) هزّت: حرّكت - المعاطف: حنايا النفس - القوافي: الشعر من باب المجاز المرسل - هفت:

تطايير لخفته، انخفض وهفت أيضاً: تساقط - التعمى: ربح الجنوب.

(٧) الرؤاء: حسن المنظر - تألى اليمين: حلفها - النجيب: الكريم الأصل.

(٨) الثغر الشيب: الطيب.

وظَاهِرَنِي، بِمُغْتَرَبِي، حُسَامٌ،
أَشِيْمُ بِهِ سَنَا بَرَقِ يَمَانِ،
إِلَى جَذْلَانِ، وَضَاحِ الْمُحَيَّا،
إِلَى يَقْظَانِ، وَقَادِ الْعَوَالِي،
يَسَاوِرُ، مِنْهُ، طَوْرًا، لَيْثَ غَابِ،
إِذَا اسْتَمَطَرَتْ مِنْهُ غَمَامَ رُحْمَى،
مَلَأَتْ يَدَيْكَ يُسْرَاهَا بَيْسِرِ،
فَإِنْ تَنْزِلَ، فَلَا بَسْوَى تَمِيمٍ؛
فَإِنَّ الْغَيْثَ فِي بَيْضِ الْأَيْدِي؛
إِمَامٌ فِي الدُّوَابَةِ مِنْ قُرَيْشٍ؛
تَشِيْمُ بِصَفْحَتَيْهِ بُرُوقَ بَشْرِ،
تَمُجُّ الرِّيَّ أَنْفَاسُ الْمَجَانِي
وَيَجْمُلُ فِي حُبَاهِ طَوْدُ حِلْمِ،
تَطْلَعُ، لِلْعَيُونِ وَكُلِّ قَلْبِ،

أَنْسَتَ بِهِ، وَنِعَمَ أَخُو الْغَرِيبِ
يُخَفِّرُنِي إِلَى الْمَرَعَى الْخَضِيبِ
سَلِيمِ الْقَلْبِ وَالصَّدْرِ الرَّحِيبِ
مُرِيشِ السَّعْيِ بِالرَّأْيِ الْمُصِيبِ^(١)
وَيَمَسِّحُ، تَارَةً، عِظْفِي أَدِيبِ
أَوْ اسْتَنْصَرْتَ فِي يَوْمِ عَصِيبِ^(٢)
وَيُمْنَاهَا بِمُخْتَرَطِ خَشِيبِ^(٣)
وَإِنْ تَحْمِلَ، فَلَا بَسْوَى قَضِيبِ^(٤)
وَإِنَّ الْغَوْثَ فِي النَّصْلِ الْخَضِيبِ^(٥)
وَحَسْبُ الْمَجْدِ مِنْ عُودِ صَلِيبِ^(٦)
تُعِيدُ بِشَاشَةِ الرَّوْضِ الْجَدِيبِ
بِهِ، وَمَغَارِسُ الْعُودِ السَّلِيبِ^(٧)
تُعَدُّ، خِلَالَهُ، رَمْلَ الْكَثِيبِ^(٨)
شُعَاعٌ يُسْتَطَارُ مِنَ الْوَجِيبِ

(١) العوالي: الرماح - مريش: اسم فاعل من أراش (السهم): ألزق عليه الريش، والرائث: السهم ذو الريش، وقوله مريش السعي من باب الاستعارة أي أنه يجد في المسمى ويرمي فيصيب مرماه.

(٢) استمطر منه الرحمة: سأله إياها - اليوم العصيب: الشديد.

(٣) المخترط: أي السيف المخترط، الخشيب: السيف المسلوك.

(٤) التميم هنا: التام الشمائل.

(٥) الغيث: المطر - الغوث: العون - النصل: حديدة السهم، والنصل الخضيب: المخضب بالدم.

(٦) الدوابة: الأعلى من كل شيء - العود الصليب: أي الخالص النسب.

(٧) مج الشيء: رمى به - العود السليب: المقشور.

(٨) يجمل: يبدو جميلاً - الحبي: جمع حبة، العمامة أو الثوب - الطود: الجبل - الحلم: الرزاة الوقار.

بمعضلة تشيب لها التواصي،
 فقلت، وقد زجرت الطير: مهلاً،
 كأنك بالظهور يشد ركضاً،
 وقد غنى الحسام يصل قرعاً،
 فأضحك، من نجاة الثغر، ثغراً؛
 فقراً، وكان أخفق من جناح؛
 وهل جمع العدى إلا هسيماً؛
 فقل للخيل، والأبطال شوسن:
 وبرد حراً أحشاء الموالى؛
 وبدد شمل آمال الأعادي؛
 وسنهم، إن يغضوا أو يعضوا،
 فإنك، والرباط إلى اغتباط،
 وإني، والنسيم بها لذيد،
 لحادثة تصدع من صفاتي،
 فها أنا ألحظ الأيام شزراً،
 وأشكو، لو شكوت، إلى مصيخ،
 تمشى، تارة، مشي السبتي،

فما تلقى، هنالك، غير شيب
 فغربان العدو إلى نيب
 وبالبشرى تحب على نجيب^(١)
 وأفضى بالعدو إلى النحيب
 ونفس، من حماه، عن كئيب
 ونام، وكان أرى من رقيب
 وهل ييض السيوف سوى لهيب؟
 ألا كرتي، وقل للشمس: غيبي^(٢)
 وخضخض لجة العلق الصيب^(٣)
 وطأ تيجان أرباب الصليب
 بعقب الحرب، أنملة الحريب^(٤)
 كفيل السعد بالفتح القريب^(٥)
 لمشمّل على نفس مذب
 مكذرة صفاء من قليب^(٦)
 وأرميها بطرف المستريب
 ليالي لا توقر من مشيب
 وآونة، تدب ديب ذيب^(٧)

(١) تحب: تجري، تعدو، من الخبب وهو ضرب من العدو.

(٢) الأبطال الشوسن: الطوال.

(٣) خضخض: الأمر من خضخض: أي حرك - العلق: الدم - الصيب: المسفوح.

(٤) الأنملة: الأصبع، أو رأس الإصبع - الحريب: الذي سلب ماله.

(٥) الرباط: أراد مدينة الرباط المغربية.

(٦) صدع الشيء: شقه - الصفاة: العقل - القليب: البثر.

(٧) السبتي: الشجاع ذو الجرأة، والسبتي: التمر - ذيب: مخفف ذئب.

فزعَتْ إلى ثبيرٍ أو عَسِيبٍ^(١)
 وأقتادُ المُنَى قَوْدَ الجَنِيبِ^(٢)
 وأتَمِسُ المَطالِبَ من قَريبِ
 يُشِيرُ به البَنانُ إلى حَطيِبِ
 ويُفَعِمُ كلَّ نادٍ رِيحَ طِيبِ
 لَهَزَّ مَعاظِفَ العُصنِ الرَطِيبِ
 على ثِقَةِ، يُصِيحُ إلى مُجِيبِ
 كما التفتَ العَليْلُ إلى الطِيبِ

(٤٥)

إِنَّه لَمَبْرُزٌ

لِرَفيْفِ آدابِ، وماءِ شَبابِ
 ثَغُرِ الحَبابِ، وأوْجُهُ الأَحبابِ
 أَنِّي اسْتَعَرْتُ لَهَا جَناحَ غُرابِ
 وَسَجَبْتُ من ذَيْلِي هَوَى وتَصابِي^(٣)
 في حَلْبَةِ الشُّعراءِ والكَتَّابِ
 بقَصيدَةٍ وَكُتَيْبَةٍ لِكُتابِ^(٤)

وكنْتُ، متى اسْتَرَبْتُ من اللِيالي،
 إلى جَبَلِ، أَصْدُ به العَوادي،
 أَظَلُّ به أنادي من بَعيدِ،
 فِيا مَلِكِ المُلوكِ، ولي لِسانِ
 يُفَضُّ بَكلِّ قافيةِ خِتاماً،
 دَعاءً، لو دَعوتُ به جَماداً،
 ومِثلي هَزَّ مِثْلَكَ، ثم أَصغى،
 ورَدَدَ فيكَ نَظرتَه، رجاءً،

يا لِينِ عِطْفِي، واخْضِرَّارَ جَنابِي،
 راقا ورَقاً، فَالتَقَى بِهِما، مَعاً،
 فَسَجَعْتُ ثَمَّ حَمامَةً، وَمِنَ المُنَى
 وَسَكِرْتُ سُكْرِي قَهوَةٍ وشَبِيبَةٍ؛
 وَأَمَّا وطِرْفِي، إِنَّه لَمَبْرُزٌ،
 مُتَخايلٌ، في صَدْرِ كلِّ جَرِيدَةٍ،

(٤٦)

أَجَدْتُ وَجَدْتُ

كُتِبَ هَذِهِ الأَبْيَاتُ إلى أَبِي إِسْحاقَ بنِ مِيمونَ
 لَهُ الوَيْلُ، أَمَ منَ أَبُو الطَّيِّبِ

بَرَعَتْ فَرُعتَ، فَمَنَ ذا حَيبِ،

(١) استراب: داخله الريب، شك - فزع إلى المكان: لجأ - ثبير وعسيب: جبلان.

(٢) أصد: أذفع - العوادي: الشدائد، وعوادي الدهر: عوائقه.

(٣) سحب من ذيله: تبخر، مشى زهواً.

(٤) المتخايل: المزهو - الجريدة: الكوكبة من الفرسان.

وَلَوْ جَارِيَاكَ إِلَى غَايَةٍ، لَفُزْتَ، وَكَانَا مِنَ الْخَيْبِ^(١)
 أَجَدْتَ وَجُدْتَ، فَمِنْ رَوْضَةٍ تَضْوَعُ، وَمِنْ وَايِلِ صَيْبِ^(٢)
 وَحَسْبِي عَلَيْكَ مِنْ دَوْحَةٍ، وَبِرُّكَ مِنْ ثَمَرِ طَيْبِ
 وَعِنْدِي، فَهَلْ لَكَ مِنْ رَغْبَةٍ، لَكَ الْبِكْرُ فِي خُلُقِ الثَّيْبِ؟^(٣)

(٤٧)

أَثْمَرْتُ بِالذَّهَبِ

يصف حديقة الطير فيها يخطب والأغصان تطرب، وتزدهي فيها نارنجة خضراء محملة بشمار من الذهب.

أَلَا أَفْصَحَ الطَّيْرُ، حَتَّى خَطَبَ، وَخَفَّ لَهُ الْغَصْنُ، حَتَّى اضْطَّرَبَ
 فَمِلَ طَرِبًا بَيْنَ ظِلٍّ، هَفَا، رَطِيبٍ، وَمَاءٍ، هُنَاكَ، انْتَعَبَ^(٤)
 وَجُلَّ فِي الْحَدِيقَةِ، اخْتِ الْمُنَى، وَدِنَ بِالْمُدَامَةِ، أُمُّ الطَّرَبِ^(٥)
 وَحَامِلِيَّةٍ، مِنْ بَنَاتِ الْقَنَا، أَمَالِيدَ تَحْمِلُ خُضْرَ الْعَذَبِ^(٦)
 تَنُوبٌ، مَوْرَقَةٌ، عَنْ عِذَارٍ؛ وَتَنْدَى بِهَا، فِي مَهَبِّ الصَّبَا،
 تَفَاوَحُ أَنْفَاسُهَا تَارَةً؛ وَتَضْحَكُ، زَاهِرَةٌ، عَنْ شَنْبِ^(٧)
 زَبْرَجْدَةٍ أَثْمَرَتْ بِالذَّهَبِ، وَطَوْرًا تَغَازِلُهَا مِنْ كَثَبِ^(٨)
 وَتَفَاوَحُ أَنْفَاسُهَا تَارَةً؛ وَتَضْحَكُ، زَاهِرَةٌ، عَنْ شَنْبِ^(٧)
 زَبْرَجْدَةٍ أَثْمَرَتْ بِالذَّهَبِ، وَطَوْرًا تَغَازِلُهَا مِنْ كَثَبِ^(٨)

(١) الخيب: الذين تصيهم الخيبة، أي الفشل.

(٢) الوايل الصيب: المطر الشديد الانهمار.

(٣) الثيب: المتزوجة التاركة زوجها، المرأة غير البكر.

(٤) هفا (الظل): خفق - انتعب الماء: سال.

(٥) جُل: الأمر من جال، جال في المكان: طاف ودار - المدامة: الخمر.

(٦) حاملة: أي شجرة حاملة - بنات القنا: كناية عن الأغصان - والقنا: جمع القناة، العود الطويل -

الأماليد: الأغصان الناعمة والليثة، جمع أملود - العذب (بفتح الأول والثاني): الأفنان.

(٧) العذار: الشعر الذي يلي شحمة الأذن -، الشنب: الأسنان البيضاء، والشنب أيضاً: الريق.

(٨) الزبرجدة: من الحجارة الثمينة، والزبرجد أخضر اللون - وقوله: أثمرت بالذهب يقصد ثمار

شجرة التارنج الذهبية اللون.

(٩) تفاوح أنفاسها: تنتشر - طوراً: تارة - من كثب: أي من مكان قريب.

فَتَبَسِّمُ، فِي حَالَةٍ، عَنِ رِضَاً؛ وَتَنْظُرُ، آوْنَةً، عَنِ غَضَبٍ

(٤٨)

دعائي النهي

أَلَا دَعَانِي الْيَوْمَ دَاعِي النَّهْيِ، وَقَوَّمتْ قِدْحِي أَيْدِي الْخُطُوبِ^(١)،
وَكُنْتُ خَفَّاقَ جَنَاحِ الصَّبَا، جَرَّارَ أَذْيَالِ التَّصَابِي، سَحُوبِ^(٢)،
فَرَبَّ لَيْلٍ أَقْمَرٍ بِثُؤُهُ، مُهْتَزَّ أَعْطَافِ الْأَمَانِي، طَرُوبِ
هَضَرْتُ فِيهِ مِنْ غِصُونِ الصَّبَا؛ وَبِتُّ أَجْنِي مِنْ ثِمَارِ الذُّنُوبِ
سَيَّانِ سَيَّانِ صَبَاحِ الْمُنَى، إِذَا انطوى عنك، وَلَيْلُ الْكُرُوبِ^(٣)

(٤٩)

اسْحَبْ ذُيُولَ اللّهُو

يَدْعُو الشَّاعِرُ إِلَى نَهَبِ اللَّذَاتِ قَبْلَ أَنْ يُولِيَ قِطَارَ الْعَمْرِ .
أَيُّ زَمَانٍ جَادَ إِلَّا نَهَبٌ، أَمْ أَيُّ خَطْبٍ جَارَ إِلَّا ذَهَبٌ؟^(٤)
كُلًّا طَوَى الدَّهْرُ، فَلَا مَا وَهَى بِجَانِبِ دَامٍ، وَلَا مَا وَهَبَ^(٥)
فَمَا لِعَقْلِ وَافِرٍ وَالْمُنَى؛ وَمَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ وَالذَّهَبِ
فَصَلِّ، إِذَا قَارَعَتْ قِرْنًا، وَصَلِّ خِذْنًا، وَلَا تُقْلِعْ، إِذَا السِّيفُ هَبَّ^(٦)

(١) النهي: العقل - القدح: السهم - الخطوب: الدواهي، والأمور الجليلة جمع خطب.

(٢) التصابي: الميل إلى اللهو.

(٣) سيان: مثنى سي، والسي: المثل - الكروب: جمع كرب، الحزن والغم الشديد.

(٤) الخطب: الشأن، والخطب الأمر المكروه - جار: من الجور، وهو الظلم والاستبداد.

(٥) وهي (الشيء): خار وضعف - وهب: منح وأعطى. تلاحظ المجانسة غير التامة بين: وهي، ووهب.

(٦) صل: الأمر من صال: وثب للسطو، وصال: قهر - قارع: صارع - القرن (بكسر القاف): الند، المثليل - الخدن: الحبيب، الصاحب.

- وابتَع بكَيسِ كَاسٍ مَشْمُولَةٍ،
 واستضحك المجلس عن قهوة،
 نارِيَةِ اللَّذْعَةِ، نُورِيَّةِ،
 وهُزًّا، من عَطْفَيْكَ عن نَشْوَةٍ،
 بأبيض، كالماء، مستودع،
 لو ذاب هذا لَجَرَى فِضَّةً،
 واسحَبَ ذِيوَلَ اللَّهْوِ، واخْلَع، وهَبْ^(١)
 قد نَبَّهْتَ لِلصُّبْحِ هُدَاً، فَهَبْ^(٢)
 في صُفْرَةٍ فاقِعَةٍ، أو صَهَبْ^(٣)
 غُصْنًا، إذا ما نَفَسَ الصُّبْحُ هَبَّ
 ما شتته من أحمر، كاللَّهَبِ^(٤)
 أو جَمَدتْ تلك لكانت ذَهَبًا^(٥)

(٥٠)

أَحْنٌ . . . مع الغروب

- لا، والذي تُجلى الكروب
 لا بِسْتُ، إلاَّ بين دَمَعِ
 حَرَآنَ، أنتشِقُ النسيمَ،
 لا تلتقي الأجنانُ فيك،
 أبداً أَحْنُ إليك شوقاً،
 وأقولُ للريِّحِ الجَنوبِ،
 فهل استطبَّتْ بي السَّمالَ،
 به، وتنفِرجُ الخطوبُ
 يَنهمي، وَحَشَاً يَذوبُ^(٦)
 ونعمَ مسلاةُ الكروبِ^(٧)
 ولا المضاجعُ والجُنوبُ
 كالغريبِ مع الغروبِ
 مع الأصيلِ، صلي الهُبوبِ
 كما استطبَّتْ بك الجَنوبُ؟

(١) كاس: مخفف كأس - الشمولة: الخمرة التي بردتها ريح الشمال - هب: الأمر من وهب، أعطى دون مقابل.

(٢) القهوة: الخمرة - الهدء: الجزء من الليل، يقال: هدأ الليل: أي وقت النوم.

(٣) نارية اللذعة: أي مذاقها حاد كالنار - نورية: نسبة إلى النور أي مشعة كالضياء - الصهب: اللون الأشقر.

(٤) بأبيض: أي بكأس أبيض - من أحمر: أي شراب أحمر - كاللهب: شبه الخمرة بالهب بجامع الحدّة واللون.

(٥) ذاب هذا: أي الكأس - تلك: الخمرة.

(٦) انهمى الدمع: سال وجرى غزيراً - الحران: الشديد العطش.

(٧) الكروب: جمع كرب، الحزن - الخطوب: جمع خطب، الأمر المكروه.

(٥١)

ثُمَّ الْحِسَابُ

أَلَا قَصْرُ كُلِّ بَقَاءٍ ذَهَابٌ، وَعُمْرَانُ كُلِّ حَيَاةٍ خَرَابٌ^(١)
وَكُلُّ يُدَانٍ بِمَا كَانَ دَانَ، فَثَمَّ الْجَزَاءُ، وَثَمَّ الْحِسَابُ
فَلَا تُجِرُ كَفَّكَ، مِنْ مُهْرَقٍ، بِمَا لَا يَسْرُ، هُنَاكَ، الْكِتَابُ^(٢)
فَإِنَّكَ يَوْمًا مُجَازِي بِهِ، وَإِنَّ يَدًا كَتَبَتْهُ تُرَابُ
وَلَا خِطَّةٌ غَيْرَ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ: إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابُ
فَرُحْمَاكَ! يَا مَنْ عَلَيْهِ الْحِسَابُ؛ وَزُلْفَاكَ! يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَأْبُ^(٣)

(١) الذَّهَابُ: فناء الشيء، ذهابه إلى غير عودة.

(٢) المَهْرَقُ: اسم مفعول من أهرق، أهرق الماء: صبّه، والدم: سفكه.

(٣) الزُّلْفَى: المنزلة - المأب: الرجوع، العودة.

قافية التاء

(٥٢)

كيف آنسُ بالمُنَى

ألا صُمَّتِ الأجداتُ عني فلم تُجِبْ، ولم يُغِنني أني رَفَعْتُ لها صوتي^(١)
فيا عجباً لي! كيف آنسُ بالمُنَى، وغايةُ ما أدركتُ منها إلى الفَوْتِ؟
وهل من سرورٍ، أو أمانٍ لعاقلي، ومفضى عبورِ العابرين إلى المَوْتِ؟^(٢)

(١) صُمَّتِ الأجداتُ: لم تسمع - الأجداتُ: جمع جدت: القبر.

(٢) مفضى: اسم المكان من أفضى إلى: وصل إلى.

قافية الناء

(٥٣)

نَشْوَةٌ

وَعَشِيٌّ أَنَسٌ أَضَجَعْتَنِي نَشْوَةٌ فِيهِ، تُمَهِّدُ مَضْجَعِي وَتُدْمِتُ^(١)
 خَلَعْتُ عَلَيَّ بِهِ الْأَرَاكَةَ ظِلَّهَا، وَالغُصْنُ يُصْغِي، وَالْحَمَامُ يُحَدِّثُ^(٢)
 وَالشَّمْسُ تَجَنُّحُ لِلْغُرُوبِ، مَرِيضَةٌ، وَالرَّعْدُ يَرْقَى، وَالْغَمَامَةُ تَنْفُتُ

(٥٤)

أرى به عزّاً

قال ابن خفاجة هذه الأبيات وقد عاده صديقه الفقيه ابن

عائشة:

إِنَّ اللَّيَالِي، لَا دَهْتِكَ، لَعَائِشَةَ، فَوْقَيْتُ فِيكَ يَدَ الزَّمَانِ الْعَائِشَةَ^(٣)
 وَسَلِمْتُ مِنْ خَلٍّ يَعُودُ عَلَى النَّوَى، كَرَمًا، فَتَنْفَرِجُ الْخُطُوبُ الْكَارِثَةَ^(٤)
 فَأَرَى بِهِ، لِلْقَلْبِ، قَلْبًا ثَانِيًا، عِزًّا، وَلِلْعَيْنَيْنِ عَيْنًا ثَالِثَةً

(١) أضجعتني: جعلتني أضجع أي أرقد - تدمت المضجع: تجعله لينا.

(٢) الأراكة: جمع الأراك، شجر يستاك به.

(٣) العائشة: اسم فاعل مؤنث من عاث عوثاً فلاناً عن كذا: صرفه عنه حتى تحير - العابثة: اللاهية.

(٤) الخلل: الصديق - النوى: البعد.

قافية الجيم

(٥٥)

لَنَا نَهْجُ

لَعْمَرِي! لَوْ أَوْضَعْتُ فِي مَنَهَجِ التَّقَى، لَكَانَ لَنَا، فِي كُلِّ صَالِحَةٍ، نَهْجٌ^(١)
فَمَا يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ، وَالْمَلِكُ جَائِرٌ، وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الظُّلُّ، وَالْعُودُ مُعْوَجٌ؟

(١) أوضع: أسرع في سيره - المنهج: الطريق الواضح.

قافية الحاء

(٥٦)

إِذَا أَعْوَلْتُ

قال هذه المرثية متحسراً لفقد ابن أخته محمد وقد مات في

اغمات:

أَرَقْتُ أَكْفَ الدَّمْعِ، طَوْرًا، وَأَسْفَحُ،
 ودونك طَمَاحٌ، من الماءِ، مَائِحٌ،
 وإِنِّي، إِذَا ما اللَّيْلُ جَاءَ بِفَحْمَةٍ،
 وَأَتْبَعُ طِيبَ الذِّكْرِ أَنَّةَ مُوجِعِ،
 وَأَلْقَى بِيَاضَ الصُّبْحِ يَسُودُ وَحِشَّةً،
 وَيُوحِشُنِي نَاعِ، من اللَّيْلِ، نَاعِبٌ،
 وَأَسْتَقْبِلُ الدُّنْيَا بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ،
 وَأُسْفِقُ مِنْ مَوْتِ الصُّبَا، ثُمَّ إِنَّنِي
 وَأَنْصَحُ خَدِّي، تَارَةً، ثُمَّ أَمْسَحُ^(١)
 يَعْْبُ، وَمُغْبَرٌ، من الثَّرِبِ، أَفِيحُ^(٢)
 لأوري زِنَادَ الهَمِّ فِيهَا، فَأَقْدَحُ^(٣)
 فَيَنْفَحُ هَذَا حَيْثُ هَاتِيكَ تَلْفَحُ
 فَأَحْسِبُنِي أُنْسِي عَلَى حِينَ أَصْبِحُ
 فَأَزْجُرُ مِنْهُ بَارِحًا لَيْسَ يَبْرَحُ
 فَيَقْبَحُ فِي عَيْنِي مَا كَانَ يَمْلَحُ^(٤)
 لَأُمْلَأَنَّ اللَّهَ يَعْفُو، وَيَصْفَحُ

(١) أرتت الدمع: سكبته - نضح خده: بله.

(٢) دونك طمّاح من الماء: أي يحجزك عن غايتك - أراد بالطمّاح: البحر - المائح: الهائج والمضطرب - الأفيح: الواسع.

(٣) أوري الزناد: أخرج ناره - أقدح (بالزّند): حاول إخراج النار منه.

(٤) يملح الشيء في عينه: يحلو.

ولان على طش، من المزن، أبطح^(١)
يُجمِجُ في الفاظه، فيصرح
فيرمي، وقلب بالجزيرة يجرح^(٢)؟
أنته على عهد الشباب تلحج^(٣)
به، وركايا، بين جفني، تمتح^(٤)
وكنت، كما قد كنت، أني وأمدح^(٥)
نرن، وطورا، أيكه تترنج^(٦)
ولو كان بحرا واحدا كنت أسبح
ينوء بها من ماء جفني، فيرزح^(٧)
تلدد بي، نحو الجنوب، فأجح^(٨)
وراوغت حسن الصبر، والصبر أرجح^(٩)
وكل إناء، بالذي فيه، يرشح
وتنزوبه الآمال، طورا، يطمح
توافي له، أو رقة تفتح
وفي وجتي، للدمع، أشهب يجمع
فما أشهي أني أسر، فأفرح^(١٠)

غلام، كما استخسنت جانب هضبة،
أقول، وقد وافى كتاب نعيه،
أرام بأغمات يسدّد بهمه،
فيا لغريب، فاجأته مينة،
كأن لهيباً، بين جنبي، واقداً،
جلست أسوم الدهر فيه ملامة،
تراني، إذا أعولت حزناً، حمامة
غريقاً ببحر الدمع والهّم والدجى،
أحمل أنفاس الشمال تحية،
فلي نظرة، نحو السماء، ولوعة،
فراذعت عنها النفس، والنفس صبة؛
فتم، بأسرار الصبابة، مدمعي؛
وأيست قلباً، كان يخفق، تارة،
فما أتلقى الركب، أرجو تحية
ففي ناظري، لليل، مربط أدهم،
إذا كان قصر الأنس، بالالف، وحشة،

(١) الطش: الخفيف أو الضعيف من المطر.

(٢) أغمات: بلدة في المغرب.

(٣) أنته تلحج: أي لازمته ولم تبرحه.

(٤) الركايا: الأبار، جمع ركية - متحت الركية: استخرج ماؤها.

(٥) سام يسوم: غالى بالثمن.

(٦) أعول: رفع صوته باكياً - الأيكه: الشجر الكثير الملتف - تترنج: تتمايل من الوهن أو الضعف.

(٧) ينوء بها: من ناء بالحمل: نهض به مثقلاً - رزح: سقط ولم يستطع النهوض.

(٨) اللوعة: حرقه الحزن - تلدد: تلفت يميناً وشمالاً، واللفظة من لديد العنق وهما صفحتاه.

(٩) رادع نفسه: حملها على أن تكف - راوغ: خاتل - أرجح: أكثر رجحاناً أي أغلب.

(١٠) أراد بقصر الأنس: ما يرمي إليه، أي الغاية التي يطمح إليها.

فيا عارضاً، يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ وَاكْفَاءً،
 تحمّل إلى قبرِ الغريبِ مَزَادَةً،
 وأحفى سلام، يَعْبُرُ الْبَحْرَ دُونَهُ،
 وعَرَّجَ، على مَثْوَى الْحَبِيبِ، بِنَظْرَةٍ،
 وَيَسْرِي، فَيَطْوِي الْأَطْوَلَيْنِ، وَيَمْسَحُ^(١)
 مِنَ الدَّمْعِ، تَنَدَى حَيْثُ سَرَتَ، وَتَنْضَحُ
 فَيَنْدَى، وَأَزْهَارَ الْبِطَاحِ، فَتَنْفَحُ^(٢)
 تَرَاهُ بِهَا عَيْنِي، هُنَاكَ، وَتَلْمَحُ

(٥٧)

الظلُّ والماء القراح

وَمُرْتَبِعٍ، حَطَطْتُ الرَّحْلَ مِنْهُ
 يَحْرَمُ، حُسْنَ مَنَظَرِهِ، مَلِيكَ،
 فِجْرِيَّةُ مَاءٍ جَدُولِهِ بُكَاءُ
 بِحَيْثُ الظِّلِّ، وَالْمَاءُ الْقَرَّاحُ^(٣)
 يَحْرَمُ، مُلْكِهِ، الْقَدْرُ الْمُتَّاحُ
 عَلَيْهِ، وَشَدُوُّ طَائِرِهِ نِيَّاحُ^(٤)

(٥٨)

برأسه ليلٌ بهيمٌ

يصف كلباً أسود الرأس مطوقاً بالبياض سريعاً
 ينقض على الصيد
 وَأَخْطَلَ، لَوْ تَعَاطَى سَبَقَ بَرَقِ،
 يَسُوفُ الْأَرْضَ، يَسْأَلُ عَنْ بَيْنِهَا،
 أَقْبَ، إِذَا طَرَدَتْ بِهِ قَيْصاً،
 لَطَارَ مِنَ الْفِجَاءِ بِهِ جَنَاحُ^(٥)
 فَتُخْبِرُ، أَنْفَهُ عَنْهُ، الرَّيَّاحُ^(٦)
 تَنْكَبُ، قَوْسَهُ، الْأَجَلُ الْمُتَّاحُ^(٧)

(١) العارض: السحاب الممطر - الواكف: اسم فاعل من وكف المطر: انهل.
 (٢) أحفى سلام: أكثره حفاوة، أي تكريماً - البطاح: جمع البطحاء: المسيل الواسع فيه رمل وحصى.

(٣) المرتبع: المنزل في الربيع - الماء القراح: الخالص.

(٤) النباح: التواح، مصدر ناح ينوح على الميت: بكى بصياح وعويل.

(٥) الأخطل: السريع في جريه - الفجاء: جمع فجوة المتسع من الأرض.

(٦) يسوف الأرض: يتنسم رائحتها، يشمها.

(٧) الأقب: الضامر - يصف ضموره وسرعة انقضاضه على الصيد ويشبهه بسهام الموت.

أَطْلَ، بِرَأْسِهِ، لَيْلٌ بِهِمْ، فَشَدَّ، عَلَى مَخَانِقِهِ، صَبَاحٌ^(١)

(٥٩)

دَمَعِي مَطَرٌ تَوَالِي

تَهَادَانِي لَذِكْرِكُمْ اِرْتِيَا حُ، وَكُلُّ جَانِحَةٍ جَنَاحٌ^(٢)،
وَدَمَعِي، جَرِيَةٌ، مَطَرٌ تَوَالِي؛ وَجِسْمِي، هِزَّةٌ، غُصْنٌ يَرَا حُ^(٣)،
أَصَافِي بَعْدَكُمْ، إِلَّا الصَّفَاحُ^(٤)،
لِحُسْنِ الصَّبْرِ دُونَكُمْ حِرَانٌ، وَلِلْعَبْرَاتِ بَعْدَكُمْ جِمَاحٌ^(٥)،
فَدَيْتُكُمْ بِنَفْسِي مِنْ كِرَامٍ، يَهْزُ بِهَمٍّ، مَعَاطِفُهُ، السَّمَاحُ^(٦)،
أَرَى بِهِمِ النَّجُومَ، وَلَا ظَلَامًا، وَأَوْضَا حَ النَّهَارِ، وَلَا صَبَاحُ^(٧)،
تَخَايَلُ، نَخْوَةٌ، بِهِمِ الْمَذَاكِي، وَتَعَسَلُ، هِزَّةٌ، لَهُمُ الرَّمَا حُ^(٨)،
لَهُمْ هِمَمٌ، كَمَا شَمَخَتْ جِبَالٌ، وَأَخْلَاقٌ، كَمَا دَمَشَتْ بِطَاحُ^(٩)،
وَجَارِيَةٌ رَكِبْتُ بِهَا ظَلَامًا، يَطِيرُ، مِنَ الرِّيَّاحِ بِهَا، جَنَاحُ^(١٠)،
إِذَا الْمَاءُ اطمَأَنَّ، فَرَقَّ خَصْرًا، عَلا، مِنْ مَوْجِهِ، رِدْفٌ رَدَا حُ^(٩)،
وَقَدْ فَعَّرَ الْحِمَامُ، هُنَاكَ، فَاهُ، وَأَتْلَعَ، جِيْدَهُ، الْأَجْلُ الْمُتَاحُ^(١٠)

(١) المخانق: جمع مخنق، موضع الخنق من العنق.

(٢) تهاداني الارتياح لذكركم: جعلني أتمايل فرحاً - الجانحة وجمعها جوانح: أضلاع الصدر.

(٣) يراح الغصن: تهزه الريح.

(٤) صافاه يصافيه: محضه الود - الصَّفَاح (بكسر الصاد): السيف.

(٥) الحران: عدم الانقياد - الجِمَاح: مصدر جمع جمحا وجماحاً وجموحاً الفرس تغلب على راكبه

وذهب به لا يثنى، استعصى فهو جامح بلفظ واحد للمذكر والمؤنث.

(٦) السماح: السماحة، الملاينة.

(٧) تخايل: تتخايل، تزهو - المذاكي: الخيول الأصيلة - تعسل الرماح: تهتز.

(٨) أراد بالجارية: السفينة.

(٩) الردف من السفينة: مؤخرها، جانبها - الرداح: الضخم.

(١٠) فعر: فتح - الحمام: الموت - أتلع جيده: رفعه.

فما أدري، أموجُ أم قلوبُ؛ وأنفاسُ، تُصَعَّدُ، أم رياحُ

(٦٠)

بين كلب وأرنب

وأطلس، ملءُ جانِحِيهِ خَوْفٌ، لأشوس، ملءُ شَدِيقِهِ سِلاحُ^(١)
يجاهِرُنَا، يطيرُ حَذَارَ طَاوٍ، لَهُ رَكْضٌ يَغْصُ بِهِ الْبَراحُ^(٢)
وأعْجَبُ أَنْ تَقْلَصَ ذَيْلُ لَيْلٍ أَحَمَّ، وَقَدْ أَجَدَّ بِهِ الرِّواحُ^(٣)
يجولُ بَحِيثٌ يَكْشِرُ عَنِ نِصالِ مُؤَلَّلَةٍ، وَتَحْمِلُهُ رِمَاحُ^(٤)
وطوراً يَرتقي حُذْبَ الرِّوابي؛ وَأَوْنَةً تَسِيلُ بِهِ الْبِطاحُ^(٥)
جَري شَدًّا، وَلِلصُّبْحِ التَّمَاحُ، بَحِيثٌ جَري وَلِلبَرقِ التَّمَاحُ^(٦)
فخَلخلَهُ، وَسَوَّزَهُ، وَمِيضُ جَري مَعَهُ، وَطَوَّقَهُ صَباحُ^(٧)

(٦١)

تخايلت بهم الجيادُ

يصف فرسان المسلمين مادحاً بسالتهم ومروءتهم

رَكضُوا الجِياذَ إِلى الجِلاذِ صَباحاً؛ واستشعروا النَّصَرَ العَزيزَ سِلاحاً^(٨)

(١) الأطلس: أراد الأرنب المائل لونه الأغبر إلى السواد - ملء جانحيه: أي ملء جنبه - الأشوس:

أراد الكلب الأشوس وهو الذي ينظر شزراً من شدة الحنق.

(٢) جاهر: أظهر علناً - الطاوي: الجائع - البراح: الفضاء الرحب.

(٣) الليل الأحمر: الأسود، الشديد الحلكة.

(٤) أراد بالنصال المؤللة: أنيابه المحددة.

(٥) الروابي الحذب: المحدودة، المعنوية - البطاح: المنبسط من الأرض.

(٦) الالتماح: البريق، اللمعان.

(٧) خلخله: ألبسه الخلخال - سوره: ألبسه السوار - طوقه: جعل في رأسه الطوق.

(٨) ركضوا الجياد: جعلوها تعدو - الجلاذ: الحرب - استشعروا: اتخذوا شعاراً - العزيز: الصعب

المنال.

واستقبلوا أفقَ الشَّمالِ بجَحْفَلٍ
 قد ماسَ، في أَرْجائِهِ، شَجَرُ القَنَا؛
 مطرَ الأعاجِمِ منه عارضٌ سَطْوَةٌ،
 حتى إذا قُضِيَ المَهْتَدُ، نَبْوَةٌ،
 زَحَمَتِ مَنابِئُهُ الأَعادي زَحْمَةً،
 قَتَلِي، بحيثُ ارفضُّ دمعُ المَزنِ، لا
 قد تُرَبَّتِ منهم صَحائفٌ أَوْجُهُ،
 فلو اطلَّعتَ لَمَّا اطلَّعتَ على سِوَى
 فحَمَتِ، حريمَ المُسلمينَ، مَصارِعُ،
 مُسودَّ سَاحاتِ المَنازلِ وَحِشَّةً،
 تأتي صقورٌ منهم مُنقَضَّةً،
 مَلأوا ضُلوعَ الليلِ زُرُقَ أَسِنَّةٍ،
 وتخايَلتْ بِهيمُ الجِياذُ، كأنما

نَشَرَ القَتامَ، على الشَّمالِ، جَناحاً^(١)
 وجرى به ماءُ الحديدِ، فساحاً^(٢)
 بَرَقَ الحديدُ بجانِبِيهِ، فلاحاً
 واندقَّ صَدْرُ السَّمهريِّ، فطاحاً^(٣)
 بَسَطَتْهُمُ فوقَ البِطاحِ بِطاحاً^(٤)
 رُحمى، فأسعدَهُ الحَمَامُ، فناحاً^(٥)
 جَعَلتْ تمزُقُها السِيوفُ جِراحاً^(٦)
 سَهيمٌ، تَثَلَّمَ في قَتيلٍ طاحاً^(٧)
 تَرَكتْ حريمَ المُشركينَ مُباحاً^(٨)
 مملوءاً أفنِيَةَ الدِّيارِ نِياحاً
 قَدراً، على مُهَجِ العَدوِّ، مُتاحاً^(٩)
 سألَتْ على أعطافِهِ أوضاحاً^(١٠)
 شَرِبَتْ مَعاطِفَ كُلِّ طَرفٍ راحاً^(١١)

(١) الجحفل: الجيش - القتام: السواد.

(٢) ماس: تمايل - شجر القنا: أي الرماح - ماء الحديد: أراد السيوف.

(٣) قضم المهند: بئر، والمهتد: السيف - النبوة: أي نبوة السيف وهي الضربة غير القاطعة - السمهري: الرمح.

(٤) منابئ الجحفل: نواحيه.

(٥) ارفض دمع المزن: تائر، ودمع المزن: مطر السحاب - رحمى: رحمة - أسعد: أمدّه بالعون.

(٦) تربت: عفرت بالتراب.

(٧) تثلم: تأكلت جوانبه.

(٨) المصارع: المهالك: جمع مصرع.

(٩) الصقور: الفرسان - المهج: جمع مهجة الروح.

(١٠) الأوضاح: جمع الوضح: الضوء.

(١١) تخايلت: تمايلت مزهوة - الراح: الخمر.

من كلِّ منصورٍ اللّواءِ، إذا سرى،
فانصاعاً، يضحكُ وجهه عن غرّة،
يسري بأبلج، ما ادلهمت روعةً،
وأقام فوقهم العجاجة كلةً؛
أيسارُ حربٍ، كلما اشتجر القنا،
طالوا العوالي بسطةً، فكأنما،
من كلِّ هضبةٍ سُودِد، هزَّ الندى
أدمى اللّقاء، من القنا، ظفراً له
فانجاب ليلُ الخطب عن أفق الهدى،

(٦٢)

كما سرى برق

تلقى شعراً من صديق فأجاب قائلاً:
ولفظك أم روض، تنفس، نافح؟ (٧)
وتهفو بأعطاف الكرام المدائح
وتندى به، تحت الهجير، الجوانح
وتطبع منه، للجلاد، الصفائح (٨)

(١) العقبي: العاقبة، النهاية - السرى: السير ليلاً.

(٢) المراح: الاختيال والفرج من مرح يمرح الرجل إذا نشط وجاوز القدر فرحاً واختيالاً.

(٣) العجاجة: الغبار - الكلة: الستارة الخاصة برد البعوض ونحوه - الأقداح: الكؤوس، جمع قدح.

(٤) الأيسار: لاعبو الميسر، المقامرون - القداح: جمع قدح سهم الميسر.

(٥) العوالي: الرماح - البسط: الارتفاع والشموخ - الهيجا: الهيجاء، الحرب.

(٦) القنا: الرماح - الظفر: النصر - الذرب: الحاد.

(٧) الطرس: الصحيفة والجمع طروس.

(٨) تنصل السهام أو الرماح: يجعل لها نصل - الرّوع: الفزع، ويوم الرّوع: الحرب - الجلاد: =

وراء الدُّجى بَرَقُ، تَطَّلَعَ، لامحٌ^(١)
 وها أنا، في بحر البلاغَةِ، سابحٌ
 ويُطرُبُنِي، طَوْرًا، كما حَنَّ صادحٌ^(٢)
 ويركُضُ، في شوطِ الفصاحة، سائحٌ
 فلا جادني غادٍ، من المُنزِنِ، رائحٌ
 جَلالًا، ولا هَشَّتْ إليَّ الأباطحُ^(٣)

يَشِفُّ سَوادُ النَّقْسِ عنه، كما سَرى
 وإنِّي لظمَانٌ إليه، عَلاقَةٌ،
 بَعثْتُ به يندى، كما جادَ عارضٌ،
 تلوحُ به، في دَهْمَةِ الجِبرِ، غُرَّةٌ،
 فإن أنا لم أشكركَ، والدارُ غُرْبَةٌ،
 ولا استشرَفْتُ يوماً إليَّ به الرُّبى

(٦٣)

نفضت ذوائبها الرياحُ

يصف شجرة مورقة الأفنان، هزت الرياح ذوائبها
 مِن كُلِّ غُصْنٍ خافِقٍ، بوشاحٍ^(٤)
 ما شئتَ من كَفَلٍ، يموجُ، رَداحٍ^(٥)
 فتملَّكتُها هِزَّةَ المُرتاحِ^(٦)
 شَمَطٍ، كما تَرتدُّ كاسُ الرِّاحِ^(٧)
 لبستَ بها، حُسنًا، قميصَ صَباحٍ^(٨)

يا رَبِّ مائِسةِ المَعاطفِ تَزدهي،
 مُهتَزَّةً، يَرتجُجُ، مِن أعطافِها،
 نَفَضتْ، ذوائبِها، الرِّياحُ عَشِيَّةً،
 حَطَّ الرِّيحُ قِناعَها عن مَفرِقِ
 لَفاءٍ، حاك لها الغَمامُ مُلاءةً،

= المبارزة والقتال - الصفائح: السيوف.

(١) النَّقْس: الحبر.

(٢) العارض: السحاب الممطر - الصادح: اسم فاعل من صدح: رفع صوته بالغناء.

(٣) هشت إليّ: تبسّمت، ارتاحت.

(٤) مائسة: اسم فاعل مؤنث، من ماس يمس: مال زهواً - المعاطف: الأعطاف - تزدهي: تحمل
 على الزهو والكبر - البوشاح: قلادة من نسيج أو جلد مرصع بالحجارة الثمينة تزين بها المرأة
 صدرها، وتجعل بين الكتف والخصر - يلاحظ كيف استعار الشاعر القلادة لتمثيل فتنة الزهر في
 الأغصان.

(٥) يرتجج: يهتز - الكفل: مؤخر الجسم - الرداح: الممتد والواسع والرداح أصلاً الشجرة الكبيرة.

(٦) الذوائب: جمع ذؤابة صفائر الشعر، وهنا كناية عن الأغصان المتدلّية.

(٧) الشمط: المنتشر الأوراق.

(٨) اللفاء: الكبيرة، الفخمة.

نَضَحَ النَّدى نُؤارَها، فكأنَّما
 مسحَت، معاطِفَها، يمينُ سَمَاح^(١)
 ولوى الخليجُ، هناك، صفحةَ مُعرضِ،
 لثمت، سِوالفَها ثغورُ أَقَاح^(٢)

(٦٤)

عِزُّ تَهَادَى

عاد منصب القضاء إلى صديقه الفقيه قاضي القضاة أبي
 أمية فهناه قائلاً:

بُشِرى، كما أسفَرَ وجهُ الصَّبَاحِ،
 واستشرفَ الرائدُ برقاً أَلَاخ^(٣)
 وارتجزَ الرَّعْدُ يُمَجُّ النَّدى
 رِيًّا، وَيَحْدُو بِمَطَايا الرِّيِّاحِ^(٤)
 فدَنَرَ الزَّهْرُ مُتَوْنَ الرِّيِّى؛
 ودزَّهَمَ القَطْرُ بَطُونَ البِطَاحِ^(٥)
 هبَّت رِواحاً، وَهِيَ نَفَّاحَةٌ،
 فطابَ، رِيحاً، نَشْرُ ذاك الرِّواحِ
 أفصحَ غِرِيْدُ بها مُطَرِبٌ،
 نفَّشَ، مِنْ طِرسِ، قُدَامى جَنَاحِ^(٦)
 فهل تَرى أَسْمَعُ عُصْنَ النِّقا،
 فهِزَّ مِنْ عِطْفِيهِ، هَزَّ ارْتِياحِ؟^(٧)
 أم هل سَرى يُنِيشُ مَيْتَ الرِّيِّى،
 فَمَجَّ، رِيقَ الطَّلِّ، ثَغْرُ الأَقاخِ؟
 عِزُّ تَهَادَى بِالقِنَا هِزَّةً،
 واختالَ بالجُردِ المَذاكى مِراخِ^(٨)
 فطاوَلَ، النَّجْمَ، مَنارُ الهُدَى،
 وأحرزَ الدينُ مُعلَى القِداخِ

(١) نضح: بل، رش - الندى: الطل - النوار: الزهر.

(٢) لثمت: قبلت، عانقت - السوالف: أراد سِوالف الخليج أي شطآنه - الأقاخ: جمع الأقحوان، وهو ضرب من الزهور البرية الصفراء.

(٣) استشرف: انتصب، واستشرف الشيء: رفع بصره لينظر إليه . . - الرائد: رسول القوم المتقدم.

(٤) ارتجز الرعد: أرسل صوته - يمج: ينثر - الريا: الرائحة - يحدو: من الحداء وهو الغناء للمطايا لحثها على السير.

(٥) دنر: فعل اشتقه من الدنانير، والمقصود أن الأزهار رصعت أعالي الرّبي بما يشبه الدنانير من الريحان والزهور - درهم: من الدراهم، بمعنى دتر - القطر: المطر.

(٦) الطرس: الصحيفة وقوله: نفّش جناح: أي نشر جناحا.

(٧) النقا: الكثيب من الرمل.

(٨) اختال: تبختر - الجرد: الخيل القصيرة الشعر.

رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحَ
جَدًّا وَجِدًّا، مَلَأَ صَدْرَ الْبِرَاحِ^(١)
أَضْرَعَ، خَدَّيْ كُلِّ حَيٍّ، كَفَّاحُ
فَمَا لِعَنْزَيْنِ، هُنَاكَ، انْتِطَاحُ^(٢)
إِنَّ زَيْبَرَ اللَّيْثِ غَيْرُ الثُّبَاحِ
حَبَّرَ مِنَ الْفَاطِظِ بِرًّا، فَصَاحُ^(٣)
لِأَلَاءِ أَوْضَاحِ الْوَجُوهِ الصُّبَاحِ
صَلْدَاءُ، لَسَالَ الْمَاءِ عَنْهُ، فَسَاحُ
وَالْمُلْكُ خَفَّاقُ جَنَاحِ النَّجَاحِ
بِأَسَاءِ، وَيَرْنُو عَنْ عَيُونِ الرَّمَاحِ
جَذْلَانُ، مَبْسُوطُ يَمِينِ السَّمَاحِ
مَا سُدْفَةُ اللَّيْلِ وَضَوْءُ الصُّبَاحِ
خُشُونَةُ الْجِدِّ وَلَيْسَ الْمُزَاحُ؟
إِنَّ الْأَجَاجَ الصُّرْفَ غَيْرَ الْقَرَاحِ^(٤)
كَفَاهُ حَمَلُ الرَّأْيِ حَمَلُ السُّلَاحِ
مَا سَالَ مِنْ أَوْشَالِ بَيْضِ الصُّفَاحِ؟^(٥)
فَكُلُّ زَنْدٍ، فِي يَدَيْهِ، شَحَاحُ
غَضَّ حِرَانًا مِنْ عِنَانِ الْجِمَاحِ
إِنَّ الرَّزَايَا مِنْ أَمْضِ الْجِرَاحِ

والتأم الشعب، وما إن عدا
خير إمام، دام في عسكرني
يعطس عن أنف حمي له،
أرعد في تدمير زجرأ لها،
وغض، من أصواتها، صوته؛
وشد أزر ابن عصام بما
في رقة، تحمل، من رفة،
ميمونة، لو لمست جلمداً
فالمجد مطور جناب المنى؛
يسفر عن بيض وجهه الطبي
أبيض، وضاح جبين العلى،
فقل لمن ساجله، ضلّة،
كيف يكافيه، وهل تستوي
تميّزت، من شيمة، شيمة؛
جالدته من حاسر دارعاً،
وأين من بحر طما، أخضر،
حمت، ومن يقعد به جدّه،
فلا تنم عينك من حاسد،
أمضه جرح دخيل به؛

(١) الجَدُّ (بفتح الجيم): الحظّ - الجَدُّ: (بكسر الجيم): الدأب أو العمل الدؤوب.

(٢) تدمير: منطقة في الأندلس، وهي مقر قاضي القضاة.

(٣) ابن عصام: الممدوح الذي يهتته بعودة القضاء إليه.

(٤) الشيمة: الخلق والطبيعة، العادة - الأجاج: الماء المالح - القراح: الماء العذب الخالص.

(٥) طما البحر: علا موجه - الأوشال: جمع وشل، الماء القليل.

فرقرق العبرة في حجلة، وربما يمزج بالماء راخ
ما غصّ بالدمعة إلا هفا، فانظر تجد ثم السوار الوشاح^(١)

(١) هفا يهفو: أسرع، وهفا الطائر: خفق بجناحيه، والمراد هنا (فواده): أي خفق شوقاً - السوار الوشاح: من باب التمثيل، وقد عنى بهما الرفعة والمجد.

قافية الدال

(٦٥)

موتك للأسى ميلادُ

هذه القصيدة من مراثيه قالها في رثاء الوزير أبي محمد بن

ربيعة:

رَفَعْتَ عَلَيْكَ، عَوِيلَهَا، الْأَمْجَادُ، وَتَكْتَفَتْ شَكْوَاكَ عَنْ خَطْبِ دَهَى،
وَجَفَّتْ، كَرِيمَ جَنَابِكَ، الْعُوَادُ^(١)، هَدَّتْ لَهُ، أَرْكَانَهَا، الْأَطْوَادُ،
سَلَّتْ عَتَادَ الصَّبْرِ فِيهِ، صَبَابَةً، مَالِي بِهَا، غَيْرَ الدُّمُوعِ، عَتَادُ
لِلَّهِ أَيُّ خَلِيلٍ صِدْقٍ مُخْلِصٍ، أَهْوَى بِهِ رُكْنَ، وَمَالَ عِمَادًا!
خَطَمَ الْقَضَاءُ بِهِ قَرِيحًا مُصْعَبًا، فَانْقَادَ يَصْحَبُ، وَالْحِمَامُ قِيَادُ^(٢)
جَارِيَتُهُ طَلَقَ الْحَيَاةَ إِلَى الرَّدَى، فَحَوَى بِهِ، قَصَبَ السَّبَاقِ، جَوَادُ^(٣)،
كُنَّا اصْطَحَبْنَا، وَالتَّشَاكُلُ نِسْبَةً، حَتَّى كَأَنَّا عَاتِقٌ وَنِجَادُ^(٤)،
ثُمَّ افْتَرَقْنَا، لَا لِعَوْدَةٍ صُحْبَةٍ، حَتَّى كَأَنَّا شُعْلَةٌ وَزِنَادُ
يَا أَيُّهَا النَّائِي، وَلَسْتَ بِمُسْمِعٍ سَكُنَ الْقُبُورِ، وَيَبْتِنَا أَسْدَادُ^(٥)

- (١) جفت العواد جنابه: أعرضت عنه - العواد: جمع عائد، وهو الذي يزور المريض أثناء علته.
(٢) خطم: أخرس قهراً - القريع: السيد العالي الشأن - المصعب: الصعب - الحمام: الموت.
(٣) طلق الحياة: شوطها، مسيرتها.
(٤) التشاكل: التماثل - العاتق: ما بين المنكب والعنق - النجاد: حمائل السيف لأنه يعلو العاتق.
(٥) النَّائِي: البعيد، إشارة إلى تركه دنيا الناس - الأسداد: السدود والحواجز.

ما تَفَعَّلَ النَّفْسُ النَّفِيسَةَ، عندما
كُشِفَ الْغِطَاءُ إِلَيْكَ عَنْ سِرِّ الرَّدَى،
فَوَرَاءَ سِتْرِ اللَّيْلِ مُضْطَرِمُ الْحَشَا،
لم يدرِ، إِلَّا يَوْمَ مَوْتِكَ، ما الأَسَى،
وكفاه مجدداً أن يقولَ، وللدُّجَى
حَتَّامٌ أَنْدُبٌ صَاحِباً وَشِيبَةً،
أَقْصِرْ، فلا ذاك الخليلُ بآيٍ،
فَقُصَارُ مُجْتَمِعِ الْأَصْحَابِ فِرْقَةٌ؛
فِيمَ السَّلْوُ، وقد تحمَّلَ صاحبٌ،
أَتْبَعْتَهُ قَلْباً لَهُ، مِنْ لَوْعَةٍ،
فَذَ، تَبَسَّمَ عَنْهُ صَدْرُ الْمُتَدَى،
وَأَخٌ لـوُدٍّ، لا أَخٌ لـوِلَادَةٍ،
مَلَكَتْهُ غَشِيَةٌ نَوْمَةٍ لا تَنْجِلِي،
وَدَعْتُهُ تَوَدِيْعَ مَكْتَتِبٍ وَلا،
وَنَفَضْتُ مِنْهُ يَدِي بِيَعْلِقِ مَضْنَةٍ،
وَتَرَكْتُهُ، والمجدُّ يُرْغَمُ أَنْفَهُ،
في موطنٍ نَزَلَتْهُ جُرْهُمٌ قَبْلَهُ،
أُمَمٌ، يَغْصُ بِهَا الْفِضَاءُ، طَوْتَهُمْ
سادوا وقادوا، ثُمَّ أَجْلَى جَمْعُهُمْ،

تَهَاجَرُ الْأَرْوَاحُ وَالْأَجْسَادُ؟
فَأَجِبْ بِمَا تَنْدَى بِهِ الْأَكْبَادُ
لا يَسْتَقِرُّ بِهِ، هُنَاكَ، مِهَادُ
فَكَأَنَّ مَوْتَكَ لِلأَسَى مِيْلَادُ
فَجَرُّ لَهُ، مِنْ دَمْعِهِ، أَمْدَادُ
فَتَفِيضُ عَيْنٌ، أَوْ يَحْنُ فَوَادُ؟
يَوْمًا، وَلا ذَاكَ الشَّبَابُ يُعَادُ
وَمَحَارُ أَنْوَارِ الشَّبَابِ رَمَادُ^(١)
شَطَّتْ بِهِ، دَارٌ، وَطَالَ بُعَادُ؟
زَادُ، وَمِنْ عَيْنِ تَفِيضُ، مَزَادُ
طَرِبًا بِهِ، وَاهْتَزَّتِ الْأَنْدَادُ^(٢)
وَأَمْسُ مِنْ نَسَبِ الْوِلَادِ وَدَادُ
وَلِكُلِّ عَيْنٍ نَوْمَةٌ وَسُهَادُ
غَيْرَ الْمَعَادِ، لِلْقِيَةِ، مِيعَادُ
فُتَّتْ بِهِ الْأَكْبَادُ وَالْأَعْضَادُ^(٣)
مَتَوَسِّدًا، حَيْثُ الثَّرَابُ وَسَادُ
وَتَحَوَّلَتْ إِرْمٌ إِلَيْهِ، وَعَادُ^(٤)
كَفُّ الرَّدَى طَيِّ الرَّدَائِ، فَبَادُوا
عَنْ وَحْدَةٍ، فَكَأَنَّهُمْ مَا قَادُوا

(١) المحار: المرجع.

(٢) الفذ: الفرد، والفذ أول سهام الميسر - الأنداد: جمع نذ: وهو المثل.

(٣) العلق: الشيء النفيس - الأعضاء: جمع عضد، وهو من المرفق إلى الذراع والعضد هنا التصير والعون.

(٤) جرهم وإرم وعاد من قبائل العرب البائدة، وهي من الجاهلية الأولى.

وَتَلَحَّقَ الْأَمْجَادُ وَالْأَوْغَادُ^(١)
مَلِكِ هَوَى، فَكَأَنَّهُمْ مَا ذَادُوا^(٢)
وَانظُرْ مَلِيًّا، هَل تَرَى مَا شَادُوا؟
وَلرَّبِّمَا فَنِيَّتْ بِهَا الْأَعْدَادُ
زَمَنْ حَادَا بِرَكَابِهِمْ، يَقْتَادُ
كَانُوا بِعَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ سَادُوا
تَحْتَ الدُّجْنَةِ، كَوَكَبٌ وَقَادُ
غُصْنٌ تَفْتَقُ نَوْرُهُ، مِيَادُ^(٣)
فَكَأَنَّمَا إِيْتَاهُمُ إِنْجَادُ
نَزَلَتْ بِهِ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ
فِيْرَاحٍ، طَوْرًا، تُرْبُهُ، وَيُجَادُ^(٤)
مَا إِنْ يُحْسُ، وَهَل يُحْسُ جَمَادُ؟
عَبْشًا، وَتَطْوِي، ذَكَرَهُ، الْآبَادُ
مَلَأَتْ، مَدَامِعَهَا، بِه الْأَمْجَادُ
وَلرَّبِّمَا رَقَّتْ بِهِ الْحُسَّادُ
عَطَلَتْ بِهِ، مِنْ حَلِيهَا، الْأَجِيَادُ
فَكَأَنَّمَا ذَاكَ الْبِيَاضُ حِدَادُ
زَجَلٌ، لَهُ مِنْ رَنَّةٍ إِرْعَادُ^(٥)

عَفَتِ الْبُنَاءُ، عَلَى اللَّيَالِي، وَالْبُنَى،
وَلرَّبِّمَا ذَبُّوا، وَذَادُوا عَنْ حِمَى
فَأَصِخْ طَوِيلًا! هَل تَعِي مِنْ مَنْطِقِي؟
زَمْرٌ يُعَدُّ بِهَا الْحَصَى مِنْ كَثْرَةِ،
أَلْوَى بِهِمْ، وَلِكُلِّ رَكِبٍ سَائِقٌ،
وَرَمَى رَيْبَعَةً بِالْخُمُولِ، وَإِنَّمَا
بِأَغْرٍ وَضَاحِ الْجَبِينِ، كَأَنَّهُ،
مُتَبَسِّمٌ فِي هِرْزَةٍ، فَكَأَنَّهُ
وَطِيءَ السَّمَاءَ، بِهِ التَّوَاضِعُ، رِفْعَةً،
أَلْقَى الْحِمَامَ بِرَحْلِهِ، فِي مَنْزِلِ،
يَعْلُو بِهِ نَفْسٌ، وَتَدْمَعُ مُقْلَةً،
فَوَقَفْتُ أَنْدُبٌ مِنْهُ شِلْوًا دَائِرًا،
تَمْحُو صَحِيفَةً صَفَحَتِيهِ يَدُ الْبَلَى،
فَخَلَا، بِرُغْمِ الْمَجْدِ، مِنْهُ مَنْزِلٌ
لَوَتْ الضُّلُوعَ، بِهِ، الْأَصَادِقَ، لَوْعَةً،
مُتَقَلِّدٌ بِالْدَمْعِ حَلِيًّا كُلَّمَا،
يَبِيضُ مُلْتَحِمًا، وَيُظَلِّمُ وَحِشَةً،
فَبِكَأَكِ، مِنْ قَبْرِ كَرِيمٍ، عَارِضٌ

(١) عفت: من عفا الأثر: زال وامحى - البناء: جمع الباني - البنى: جمع بنية، كل ما بينه المرء -

الأوغاد: خلاف الأمجاد، الأراذل، والأشرار.

(٢) ذبوا وذادوا معناهما واحد: دافعوا - هوى الملك: سقط.

(٣) تفتق النور: تفتحت كمامته - النور: الزهر. الغصن المياد: المتمايل، الذي تهتز أعطافه.

(٤) المقلة: العين.

(٥) العارض: السحاب الممطر - زجل: له صوت.

إِبْلٌ، وَلَمْ تُعْقَرِ عَلَيْهِ جِيَادٌ^(١)
 جَنَبَاتِكَ الْوُرَادُ وَالرُّوَادُ
 عُقِرَتْ بِهَا خَيْلٌ، عَلَيْكَ وِرَادٌ^(٢)
 لَوْ أَنَّ ذَاكَ الْبَيْتَ كَانَ يُعَادُ
 لِيَلًا، وَلَا جَنْبٌ بِهِ وَمِهَادُ
 ضُرِبَتْ لَهُ، مِنْ أَنْجَمٍ، أَوْ تَادُ^(٣)
 لَوْ كَانَ يَسْمَحُ بِالْخَيْالِ رُقَادُ

نُجِرَ الْعَزَاءُ عَلَيْهِ، لَمْ تُنْحَرْ بِهِ
 وَسِقَاكَ وَابِلٌ رَحْمَةٌ، يَغْشَى بِهَا
 تَهْفُو الْبُرُوقُ بِجَانِبَيْهِ، كَأَنَّمَا
 فَبَطِيبِ تُرْبِكَ، أَيُّ بَيْتِ قَصِيدَةٍ،
 لَا تَلْتَقِي عَيْنٌ عَلَيْهِ وَنَوْمَةٌ
 وَاللَّيْلُ فُسْطَاطٌ، هُنَاكَ، مُطْنَبٌ،
 وَكَفَى مَعَادًا لِلتَّلَاقِي فِي الْكَرَى،

(٦٦)

فِي النَّادِي

بِهِ الْقَوَافِي عِقْدَا
 بظْلَاهُ، الْعِزُّ بُرْدَا^(٤)
 فِيهِ، وَعِزَّسٌ وَفِدَا
 وَيَعْبَقُ اللَّيْلُ نَدَاً^(٥)
 غَضٌّ، يَخَالِطُ وَرْدَا^(٦)
 عَذْبٌ، يَقْبَلُ خَدَا

وَصَدْرٍ نَادٍ نَظْمَنَا
 فِي مَنْزِلٍ قَدْ سَحَبْنَا،
 قَدْ طَنَّبَ الْمَجْدُ بَيْتًا،
 تَذَكُّوبُهُ الشُّهُبُ جَمْرًا،
 وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوُورٌ
 كَمَا تَبَسَّسَ نَغْرُورٌ

(١) تعقر: تدبح - يشير في هذا البيت إلى التقليد الجاهلي وهو ذبح الذبائح تعظيماً للميت وتفجعاً عليه.

(٢) الورد: جمع ورد، الجواد الأشقر.

(٣) الفسطاط: الخيمة الكبيرة - مطنب: مشدود بالطنب وهو جبل يشد به سرادق البيت أو المضرب.

(٤) البرد: الثوب.

(٥) الند: عود البخور.

(٦) تأرج التور: فاح أريجه، أي رائحته.

أَجُوبُ جُيُوبَ الْبَيْدِ

يصف سراه في ليلة ظلماء، بات فيها على صهوة فرسه معانقاً
سيفه ..

- أَبَى الْبَرْقُ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ فُوَاذُ، وَيَكْحَلْ، أَجْفَانَ الْمَحَبِّ، سُهَادُ^(١)
فِبْتُ وَلِي، مِنْ قَانِيءِ الدَّمْعِ، قَهْوَةٌ تُدَارُ، وَمِنْ إِحْدَى يَدَيْي وَسَادُ^(٢)
تَسْوُحُ لِي الْوَرَقَاءِ، وَهِيَ خَلِيَّةٌ، وَيَنْهَلُ دَمْعَ الْمُزْنِ، وَهُوَ جَمَادُ^(٣)
وَقَدْ كَانَ فِي خَدَيَّ لِلشُّهْبِ مَلْعَبٌ، فَقَدْ صَارَ فِيهِ لِلوِرَادِ طِرَادُ^(٤)
وَلَيْلٍ، كَمَا مَدَّ الْغُرَابُ جَنَاحَهُ، وَسَالَ عَلَى وَجْهِ السَّجَلِ مِدَادُ^(٥)
بِهِ مِنْ وَمِيضِ الْبَرْقِ، وَاللَّيْلُ فَحْمَةٌ، شَرَارٌ تَرَامَى، وَالْغَمَامُ زِنَادُ
سَرِينْتُ بِهِ أَحْيِيهِ، وَلَا حِيَّةَ الشَّرَى تَمُوتُ، وَلَا مَيْتُ الصَّبَاحِ يُعَادُ^(٦)
يَقْلُبُ مِنِّي الْعِزْمُ إِنْسَانَ مُقْلَةً، لَهَا الْأَفْقُ جَفْنٌ، وَالظَّلَامُ سَوَادُ^(٧)
بِخَرَقٍ لِقَلْبِ الْبَرْقِ خَفْقَةٌ رَوْعَةٌ، بِهِ، وَلَجَفْنِ النَّجْمِ فِيهِ سُهَادُ^(٨)
سَحِيقٍ، وَلَا غَيْرَ الرِّيَاحِ رِكَائِبُ، هُنَاكَ، وَلَا غَيْرَ الْغَمَامِ مَزَادُ^(٩)
كَأَنِّي، وَأَحْشَاءُ الْبِلَادِ تَجُنُّنِي، سَرِيرَةٌ حُبٌّ، وَالظَّلَامُ فُوَاذُ^(١٠)

(١) السهاد: الأرق.

(٢) الدمع القانيء: الأحمر.

(٣) الورقاء: الحمامة - المزن: السحاب الممطر.

(٤) الورداد: الزعفران - الطراد: السباق - السجل: الكتاب

(٥) المداد: الحبر.

(٦) السرى: السير في الليل - يعاد: يزار.

(٧) المقلة: العين وإنسانها: البؤبؤ.

(٨) الخرق: المكان القفر - الروعة: الخوف.

(٩) السحيق: الثائي - المزاد: جمع مزادة، وهي إناء من جلد لحفظ الماء.

(١٠) تجنني: تسترني.

أجوبُ جُيُوبَ البِيدِ، والصَّبْحُ صَارِمٌ،
 وفي مُصْطَلَى الآفَاقِ جَمْرُ كَوَاكِبِ،
 ولَمَّا تَفَرَّى، من دُجَى الليلِ، طِحْلَبٌ،
 حَنَنْتُ، وقد نَاحَ الحَمَامُ صِبَابَةً،
 على حِينِ شَطَّتْ، بالحبائبِ، نَيْتَةً،
 عَشِيَّةً، ولا مِثْلَ الجَوَادِ ذَخِيرَةً؛
 إِذَا زَارَ خَطْبٌ خَفَّرْتَنِي ثَلَاثَةً:
 فِبَيْتُ وَلَا غَيْرَ الحُسَامِ مُضَاجِعُ؛
 معَانِقَ خِلٍّ لَا يُخِلُّ، وَإِنَّمَا

(٦٨)

يجدُّ بي هواه

يصف خال المحبوب في صحن الخد...
 رأيتُ بخالِهِ، في صَحْنِ خَدِّهِ،
 فَخِفْتُ، وَقَصُرْتُ نَفْسِي لثَمِّ فِيهِ،
 ومَرَّ يَجِدُّ بِي فِيهِ هَوَاهُ،
 فَوَادٌ مُجَبِّهِ فِي نَارِ صَدِّهِ^(٨)
 فَأَعْطَانِيهِ مِثَاقاً بَوْدَةً^(٩)
 وَقَدْ لَعِبَ الصَّبَا بِقُضَيْبِ قَدِّهِ^(١٠)

(١) شبه الصباح: بالسيف القاطع للمعان ضوته - النجاد: حمالة السيف.

(٢) تفرَّى: انبتق - الثماد: الماء القليل.

(٣) شطت: نات - فياف: جمع فيفاء، المفازة.

(٤) الذخيرة: العدة المهيأة أو المحفوظة لوقت الحاجة - رقرق الحديد: جوهر السيف.

(٥) خفر: حفظ وحرس - السنان: الرمح - العضب: السيف القاطع - الجواد: الحصان.

(٦) الأعوجي: الجواد الأصيل - المهاد: السرير.

(٧) الخل: الصاحب - لا يخل: أي لا يغدر لأنه وفي - النجاد: حمالة السيف.

(٨) الصد: الجفاء، القطيعة والهجر.

(٩) لثم: تقبيل - فيه: فمه، ثغره - يقول: أعطاه ثغره يقبله عربوناً للمحبة.

(١٠) القد: القامة، وقوله: قضيب قدّه من باب تمثيل القامة المديدة بالغصن.

(٦٩)

نار الندى

وَمَوْقِدِ نَارِ طَابٍ، حَتَّى كَأَنَّمَا
فَأَطْلَعُ، مِنْ دَاجِي دُخَانٍ، بِنَفْسِجَا
وَضَاحِكِ غُرّاً مِنْ وَجُوهِ وَضِيئَةٍ،
إِذَا بَسَطْتَ كَفُّ الْهَيْاجِ، إِلَى الْعِدَى،
فَظَلَّتْ، وَكُنَلْ فِي مَضَاءِ حُسَامِهِ،
أَرَى خَيْرَ نَارٍ، حَوْلَهَا خَيْرُ فِتْيَةٍ،
إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ، مِنْ سَوَادِ دُخَانِهَا،
أَثَارَتْ قَتَاماً يَمَلَأُ الْعَيْنَ أَكْهَباً،
رَأَيْتُ جُفُونِ الرِّيحِ، وَاللَّيْلُ إِثْمِدٌ،
وَبِالْجَمْرِ، مِنْ أَكْنَافِهَا، مَسَّ رِعْدَةٌ،

يَشْبُ النَّدى فِيهِ، لِسَارِي الدُّجَى، نَدَاً^(١)
جَنِيّاً، وَمِنْ قَانِي شَوَاطِإِ لَهُ وَرَدَاً^(٢)
فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ كَانِ أَذْكَاهُمَا وَقَدْ
أَنَامِلَ سُمْرِ الخَطِّ، كَانُوا لَهَا زَنْدَاً^(٣)
فَوَادَاً، وَفِي إِشْرَافِ خَطِّهِ، قَدَاً
أَنَافَتِ لَهُمْ جِيدَاً، وَحَقُّوا بِهَا عِقْدَاً^(٤)
عِدَارَاً، وَمِنْ مُحَمَّرٍ جَاحِمِهَا، خَدَاً^(٥)
وَجَالَتْ جَوَادَاً، فِي عِنَانِ الصَّبَا، وَرَدَاً^(٦)
تَقَلَّبُ، مِنْ حُمْرِ الجُدَى، أَعْيِنَا رُمْدَاً^(٧)
تَبَّنُّ، وَحَامِي الجَمْرِ عَنْ حَرِّهِ، بَرْدَاً^(٨)

(٧٠)

كأنه كوكب

وَأَسْمُرٍ، يَلْحَظُ عَن أَزْرَقٍ،
كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ رَجِمَ وَقَدْ^(٩)

(١) الندى: الكرم - الندى: عرق البخور.

(٢) الشواطئ القاني: اللهب الأحمر، الجمر.

(٣) سمر الخط: الرماح - الزند: ما تورى به النار.

(٤) أنافت الجيد: رفعته، والجيد: العنق.

(٥) العذار: جانب الوجه.

(٦) القتام: السواد الحالك - الأكهب: ذو اللون الأغبر.

(٧) الاثمد: الكحل، وقوله: الليل إثمّد تشبیهه مثل به ظلمة الليل بسواد الكحل - الجدى: جمع جذوة، النار المشتعلة.

(٨) الأكناف: الجوانب، جمع كنف - يصف ما تحدث النار من رعدة في الجمر المتوقد الذي يرسل صوتاً كالأنين وكان جمرة الحار يرسل برداً.

(٩) الأسمر: الرمح - الأزرق: رأس الرمح، سنانه - شبه رأس الرمح لامعاً بروجوم الكواكب =

يعتمدُ العينَ اعتمادَ الكرى؛ وَيَتَّحِي القلبَ انتحاءَ الكَمَدِ^(١)؛
 حيثُ الوَغى بحرُّ، وَيَبِضُّ الطُّبى مَوْج، وَخُرْصَانُ العوالي زَبْدُ^(٢)؛
 يضحكُ من بيبضِ حبابِ طَفا فيه، وَمِنْ دِرْعِ غَديرِ جَمَدِ^(٣)

(٧١)

مِدَادُ العِذارِ

وَأَفى لنا، وَلَه صَحيْفَةٌ صَفْحَةٌ، جَعَلَ العِذارُ بها يَسيلُ مِدادا^(٤)؛
 مَتَجَّهَماً ثِكَلَ الشَّبَابِ، كَأَنَّمَا نَشَرَ العِذارُ على الشَّبَابِ حِدادا^(٥)

(٧٢)

وَجْهُ أُنارِ قَمراً

وَأغرَّ ضاحَكَ وَجْهُهُ مِصباحَه، فَأَنارَ ذا قَمراً، وَذلكَ فَرَقَدا^(٦)؛
 ما إِنْ خَبَا تِلْقاءَ نُورِ جَبِينِه، حَتى ذَكا بِذِكائِه، فَتَوَقَّدا^(٧)

(٧٣)

أوفتُ على نَهْرٍ

يُصفِ سَرحَةً مُشرفةً على نَهرٍ .
 وَسَرحَةٌ حَاضٌ مِناها ظِلُّها نَهرًا، أوفتُ عليه، فلم تَنقُصْ ولم تَزِدِ^(٨)

= المتوقدة الساقطة من السماء .

(١) الكرى: النوم - يتنحي: يتجه إلى ناحية - الكمد: الحزن الشديد .

(٢) الطُّبى: السيوف - الخرصان: الرماح .

(٣) الحباب: ما يطفو على وجه الماء من فقائيع الزبد - طفا فيه: عام .

(٤) الصفحة: كناية عن الخد - العذار: جانب الوجه . المداد: الحبر .

(٥) متجهمًا: عابسًا - الحداد: ثياب المأتم السود .

(٦) الأغرّ: الأبيض أو ذو الغرة البيضاء - الفرقد: الكوكب - افتن في وصف وجه المحبوب فتمثله

قمرًا وشبهه المصباح بالكوكب .

(٧) خبا النور: انطفأ - ذكا يذكو: اشتد توقده .

(٨) السرحة: الشجرة العظيمة - أوفت على النهر: أشرفت عليه .

كما تدانيت، من ثغري، لمُرتشفٍ ثم انثيت، فلم تصدر ولم ترد^(١)
 كأنَّ افنانها، طيباً، حمى ملكٍ أغضى وأعطى، فلم يوعِد ولم يعِد^(٢)

(٧٤)

كذتُ أشربُ خده

يصف مفاتنَ الساقى الذي تمايس منه القدة واحمر بلهب
 السكر خده

وأهيف قام يسقي، والشكر يعطِفُ قده^(٣)
 وقد ترنَّح غصناً، واحمرَّت الكأسُ وردَه^(٤)
 وألهب الشكرُ خدًا، أورى به الوجدُ زنده^(٥)
 فكاد يشربُ نفسي، وكذتُ أشربُ خده

(٧٥)

صلني برمانة

صلني، لك الخير، برمانة، لم تنتقل عن كرم العهد
 لا عنباً، أمتصُّ عنقوده، ندياً، كأني، بعدُ، في المهد
 وهل يرى، بينهما، نسبة، من عدل الخصة بالنهد؟

(٧٦)

أغازلُ منه الغصن

يصف مجلساً من مجالس السمر توزع فيه بين الحديث والغزل

وليل تعاطينا المُدام، وبيننا حديثٌ، كما هبَّ النسيمُ على الوردِ

(١) تدانى: اقترب - انثنى: تراجع.

(٢) الأفنان: الأغصان - يوعِد: يتعهد.

(٣) الأهيف: الضامر الخصر.

(٤) ترنَّح: تمايل من نشوة السكر - الورد: أراد به خده الأحمر.

(٥) أورى: أضرم، أشعل ناراً - الوجد: الحب.

تُعَاوِدُهُ، وَالكَاسُ يَعْبَقُ نَفْحَةً،
وَتَقْلِي أَقَاحُ الثَّغْرِ، أَوْ سُوسَنَ الطُّلَى،
إِلَى أَنْ سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الْكَاسُ وَالكَرَى
فَأَقْبَلْتُ اسْتَهْدِي، لَمَّا بَيْنَ أَضْلُعِي
وَعَايِنْتُهُ قَدْ سُلَّ مِنْ وَشِي بُرْدِهِ،
لِيَأْنِ مَجَسَّ، وَاسْتِقَامَةٌ قَامَةٌ،
أَغَازِلُ مِنْهُ الْغُصْنُ فِي مَغْرَسِ النَّقَا،
فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ، فَإِنَّهُ
تُسَافِرُ كِلْتَا رَاخَتَيْ بَجِسْمِهِ،
فَتَهَيِّطُ، مِنْ كَشْحِيهِ، كَفِّي تَهَامَةً،

وَأَطْيَبُ مِنْهُ مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدِي
وَنَرَجِسَةُ الْأَجْفَانِ، أَوْ وَرْدَةُ الْخَدِّ^(١)
وَمَا لَا بَعِطْفِيهِ، فَمَالَ عَلَى عَضْدِي^(٢)
مِنَ الْحَرِّ، مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ مِنَ الْبَرْدِ
فَعَايِنْتُ مِنْهُ السَّيْفَ سُلَّ مِنَ الْغِمْدِ
وَهَزَّةُ أَعْطَافِ، وَرَوْنَقُ إِفْرَنْدِ
وَالثُّمُّ وَجْهَ الشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ
أَخُوهَا، كَمَا قَدَّ الشَّرَاكُ مِنَ الْجِلْدِ^(٣)
فَطَوْرًا إِلَى خَصْرِ، وَطَوْرًا إِلَى نَهْدِ
وَتَصَعَدُ، مِنْ نَهْدِيهِ أُخْرَى، إِلَى نَجْدِ^(٤)

(٧٧)

بِكِي جَفْنِي

اقْضِ عَلَى خِلِّكَ، أَوْ سَاعِدِ،
فَقَدَّ بَكِي جَفْنِي دِمَاسًا سَائِلًا،
عِشْتَ بَجَدًّا، فِي الْعُلَى، صَاعِدِ^(٥)
حَتَّى لَقَدَّ سَاعِدَهُ سَاعِدِي^(٦)

(٧٨)

مِنْ كَفِّهِ

حَيًّا بِهَا، وَنَسِيمُهَا كَنَسِيمِهِ،
فَشَرِبْتُهَا، مِنْ كَفِّهِ، فِي وُدِّهِ

(١) النَّقْلُ: كُلُّ مَا يَتَنَقَّلُ بِهِ عَلَى الشَّرَابِ مِنْ فَاكِهِةٍ أَوْ فَسْتَقٍ وَنَحْوِهِ وَالْجَمْعُ نَقُولٌ وَنَقُولَاتٌ.

(٢) سَرَتْ فِي جِسْمِهِ: دَبَّتْ - الْكَرَى: النَّوْمُ أَوْ التَّعَاسُ مَا عَلَى عَضْدِي: أَي نَامَ عَلَى سَاعِدِي.

(٣) قَدَّ: قَطَعَ - الشَّرَاكُ: سَيْرُ التَّعَلُّ.

(٤) الْكَشْحَانُ: مِثْنَى الْكَشْحِ، الْخَصْرُ - تَهَامَةٌ: وَادٍ مُنْحَفِضٌ، وَكُلُّ مَكَانٍ مُنْحَفِضٍ - نَجْدٌ: هَضْبَةٌ عَالِيَةٌ مُرْتَفِعَةٌ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ كُلِّ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ.

(٥) الْجَدُّ: (بِفَتْحِ الْجِيمِ): الْحِظُّ، وَالْجَدُّ الصَّاعِدُ: الْآخِذُ بِالْأَزْدِيَادِ.

(٦) سَاعِدُهُ سَاعِدِي: جَاشَ بَيْنَ السَّاعِدِ وَهُوَ الذَّرَاعُ وَفَعَلَ سَاعِدٌ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ رَاحَ يَمْسَحُ دَمُوعَهُ فَكَأَنَّهُ زَادَ فِي انْصِبَابِ دَمْعِهِ.

مُنْسَاغَةً، فَكَأَنَّهَا مِنْ رِيْقِهِ؛ مَحْمَرَّةً، فَكَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ (١)

(٧٩)

أَهْوَتْ تَخْرُ

أَلَا طَمَّ بَحْرُ أَتَيْ طَمًّا، وَأَجْرَى كَفَّي سَمَاءٍ تَجْوَدُ (٢)
فَأَهْوَتْ تَخْرُ، هُنَاكَ، الْبُنَى، كَمَا تَتَلَقَّى الْمُلُوكُ الْوَفُودَ (٣)
وَبَاتَتْ كَأَنَّ، عَلَيْهَا، صَلَاةً، فَبَعْضُ رُكُوعٍ، وَبَعْضُ سُجُودٍ

(٨٠)

عَلَى نَهْجِ

وَمَخْطُوطِ السَّوَادِ، كَأَنَّ دَمْعًا جَرَى، وَدَمًّا، هُنَاكَ، عَلَى حِدَادِ (٤)
إِذَا التَّبَسَّتْ وَجْوهُ الْحَكَمِ، يَوْمًا، قَضَى، فَمَضَى عَلَى نَهْجِ السَّدَادِ (٥)
فَأَيْ بِيَاضِ نَعْمَى، لَيْسَ يُعْزَى لِمَشْتَمَلِ بِسْرِبَالِ السَّوَادِ (٦)
تَلَوَّى، فَالْتَمَحْتُ بِهِ ضَمِيرًا دَخِيلَ السَّرِّ، مَمْدُوقَ الْوِدَادِ (٧)
يُجِيبُ، وَمَا سَأَلْتُ لَهُ مَجِيئًا، فَيَا عَجَبًا لِإِفْصَاحِ الْجَمَادِ!.. (٨)

(١) المنساعة: صفة الخمرة التي استسيغت فسهل رشفها - شبه طيب الخمرة بريق المحبوب، وحمرتها من لون خده، وعلل سهولة تناولها بهذا الضرب من التمثيل.

(٢) الأتْي: السيل.

(٣) تخر: تنحنى - شبه سقوط البنى بفعل السيل بانحناء الوفود أمام الملوك - المحك: حجر يحك به للاختبار والانتقاد.

(٤) وري بهذا البيت عن تداخل سواد لونه بحمرة.

(٥) نهج السداد: طريق الصواب.

(٦) يعزى: ينسب - السربال: اللباس.

(٧) ممدوق الوداد: غير خالص الود.

(٨) الإفصاح: البيان.

(٨١)

قُلْ لِدَاتِ الْخَالِ

قال مخاطباً ذات الخال

ألا قُلْ، لِدَاتِ الْخَالِ. عَنِّي، إِنِّي لأرغبُ عن خالٍ تطلَّعَ في خَدِّ^(١)
وزَهَّدني، في ذلك الخالِ، نسبةً، أراها بخالِ الخَدِّ من جُعِلِ الْوَرْدِ^(٢)

(٨٢)

مَكَانَتِي أَبْعَدُ

قال ابن خفاجة معتدداً بمناقبه وقيمه ومضاء عزيمته

أَتِي تُطَاوِلُنِي، ودونِي بَسَطْنَا
جَدُّ يَسَاعِدُنِي، وَجَدُّ يُسَعِدُ؟^(٣)
هَاقِدٌ حَلَلْتُ، وَلِلتَقَلُّقِ غَايَةٌ،
فِي حَيْثُ يُشْرَقُ، ثُمَّ يُشْرِفُ مَقْعَدُ^(٤)
تَرَقَى بِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ، وَتَصَعَدُ؟
فَمَكَانَتِي أَنْأَى عَلَيْكَ، وَأَبْعَدُ
وَلِئِنْ طَرَبْتُ، وَقَدْ عَرَّنِي وَعَكَّةُ،
فَاللَّيْثُ يَبْرُدُ، وَالْمَهْنَدُ يُرْعَدُ

(٨٣)

أَيْنَ الْوَجَعُ؟

أخبره شاعر صديق أنه استمأح بخيلاً بعض عطائه فأناله

القليل واعتذر إليه من رمحة فرس أصابته، فقال:

مَإِنْ دَرَى ذَاكَ الذَّمِيمُ، وَقَدْ شَكَا
مَنْ نَيْلٍ مُمْتَدِّحٍ، وَرَمَحَ جَوَادِ^(٥)
هَلْ يَشْتَكِي وَجَعاً بِهِ فِي سُرَّةِ،
بِالسَّيْنِ، أَمْ فِي صُرَّةِ، بِالصَّادِ^(٦)

(١) رغب عن الشيء: زهد فيه، لم يردده، كرهه.

(٢) الجعل: دويبة من ضروب الخنافس، كريهة الرائحة.

(٣) تطاولني: تحاول السموي إلى منزلتي، تتحداني - الجحد: الحظ.

(٤) حللت حيث: نزلت وأقمت.

(٥) الذميم: المذموم، غير المحمود - الرمح: من رمحته الدابة أي ركلته ورفسته.

(٦) السرة: وسط البطن - الصرة: أي صرة المال - يسخر الشاعر من حجة البخيل واعتذاره لأنه

أعطى القليل.

(٨٤)

كِلَاهِمَا سَدِيدٌ

وصف أخوين مختلفي الخلق أصيلي المنبت فقال:

طَرُقَ الرَّجَالِ، إِلَى الْمَعَالِي، جَمَّةٌ،
وَابْنَاكَ إِنْ لَمْ يَمُثَلَا فِي خِلْقَةٍ،
كِرْمًا، فَهَذَا، فِي مَفَارِقِ عَصْرِهِ،
كَالرُّمَحِ، وَالْقَلَمِ الْقَصِيرِ لِنِسْبَةِ،
شَتَّى، فَدَانٍ قَاصِدٌ، وَبَعِيدٌ^(١)
فَكِلَاهِمَا فِي مَا يَرُومُ سَدِيدٌ
تَاجٌ، وَذَاكَ، بِصَفْحَتَيْهِ، فَرِيدٌ
وَكَِلَاهِمَا فِي مَا يَنْوُبُ حَمِيدٌ^(٢)

(٨٥)

هَضْبَةٌ عِصْمَةٌ

هذه القصيدة من مدائحه قالها مطرباً صديقه الفقيه أبا أمية .

لَا مَاءَ، إِلَّا فَوْقَ نَصْلِ يُجْرَدُ،
وَلَا غَيْمَ، إِلَّا قَسَطْلٌ، نَارٌ، أَقْتَمٌ،
وَلَا سَيْرَ، إِلَّا فَوْقَ ظَهْرٍ تَنْوَفَةٌ،
وَخَرَقٍ سَحِيقٍ، يَمَلَأُ الصَّدْرَ وَحِشَةً،
طِلَابًا لِأَمْرِ يَرْكَعُ الرَّمْحُ عِنْدَهُ،
وَحَوْمًا عَلَى مَاءٍ تَدَانِي بِهِ الْمُنَى،
طَوَيْتُ بِهِ، تَحْتَ الضُّلُوعِ، سَرِيرَةً،
وَلَا ظِلَّ، إِلَّا تَحْتَ رُمَحٍ يُسَدَّدُ^(٣)
وَلَا بَرْقَ، إِلَّا أَشْقَرُ، جَالٌ، أَجْرَدُ^(٤)
يُرَاعُ سَرَابُ الْقَاعِ فِيهَا، فَيُرْعَدُ^(٥)
يَرْجِعُ صَهِيلَ الطَّرْفِ فِيهِ، وَيُوقِدُ
طَوِيلًا، وَيَهْوِي الْمَشْرِفِيُّ، فَيَسْجُدُ
وَيُنْأَى بِهِ الْمَسْرَى، فَيَدْنُو وَيَبْعُدُ
سَيُفْصِحُ عَنْهَا السَيْفُ، وَهُوَ مُجْرَدُ

(١) جمّة: كثيرة - الداني: القريب.

(٢) ما ينوب: ما يعود إليه من الأصالة والمنبت الكريم.

(٣) في قوله: ألا ماء، أراد بالماء جوهر السيف.

(٤) القسطل: الغبار الساطع في الحرب.

(٥) التنوفة: البرية الخالية من الإنسان والماء.

وقد فله طولُ الجِلادِ، كأثما
وطولُ اعتناقِ المجدِ كلِّ ثنِيَّةِ،
عليها وشاخُ للعقِيقَةِ مُذهَبُ،
وأخضرَ عَجَّاجٍ تُدرِّجُه الصُّبا،
كأنَّ فؤاداً، بينَ جَنِيه، راجفاً،
سأركبُ منه ظهرَ أدهمَ ريِّضِ،
وأمضي، فإمَّا بيثُ نفسِ كريمةِ
وإنَّ غَضَّ يوماً دونه، طرفُ حاسِدِ،
فلا يَغْتَرِرُ بِالْحِلْمِ قَوْمٌ، فربَّما
ولا يَكْفُرُوا نَعْمَى الغَمَامِ، فربَّما
فَقَصِرُ أَنَاةِ الحِلْمِ عَضَّةُ سَطْوَةِ،
وإنَّ عَصَفَتِ يوماً بهم رِيحُ زَجْرَةِ،
فإنَّ، لإبراهيمَ، فَيَاةَ رَأْفَةِ،
وما ابنُ عِصَامِ غيرَ هَضْبَةِ عِصْمَةِ
يسيرُ به، في الحقِّ، رأيُ مُسَدِّدٍ

(١) الجِلاد: القتال - الأردد: الذي لا أسنان له، والمقصود السيف الذي تثلم من مقارعة الأعداء في الحرب.

(٢) العقيقة: النهر، ومسيل الماء - البرد: الثوب - الأريد: ذو الرّيدة، والرّيدة: الغبرة.

(٣) الأخضر العجاج: البحر والمقصود هنا نهر العقيقة الذي ذكره - الصُّبا: الريح وقوله تدرجه

الصُّبا: تشكل فيه ريح الصبا درجاً - تنهم العين: تنظر إلى أسفله، وتنجد: تنظر إلى أعاليه.

(٤) سأركب.. الخ يقول إنه وهو يعلو هذا النهر كأنه يمتطي ظهر فرس أسود اللون في اخضرار

ووصف هذا الفرس بالريّض وأنه سهل الانقياد.

(٥) سقط النَّار: ما يتساقط من شررها - الجلمد: الصخر.

(٦) الصفا: الميل - القنا: الرمح.

(٧) الفياة: الأوبة، الرجعة.

(٨) الرأي المسدّد: القويم، السديد - المنهج: الطريق.

فَمَا تُرْعَدُ الْأَسْيَافُ، إِلَّا مَهَابَةً
وَلَا تُكْسَفُ الْأَفْكَارُ، إِلَّا حَسَادَةً
وَيُذَكِّي، وَرَاءَ اللَّيْلِ، عَيْنًا حَدِيدَةً،
وَيَحْلُمُ، وَلَا عَنْ ذِلَّةٍ، وَلَرَبَّمَا
أَمَّا وَسِرَاطٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ لِلْهُدَى
وَالْأَفْ، أَشْتَاتَ الْفَضَائِلِ، أَرَوْعُ،
وَدَارَ بِهِ، فِي مُقَلَّةِ الْمَجْدِ، نَاطِرُ،
وَسَارَ مَسِيرَ النَّجْمِ هَدِيًّا وَرِفْعَةً،
فَطَابَقَ مِنْهُ، مَنْظَرًا رَاقٍ، مَخْبِرُ،
وَحَسْبَكَ مِنْ لَفْظٍ وَخَطِّ، قِلَادَةٍ،
فَلَلِهِ طِرْسُ، كُلَّمَا أَسْوَدَ أَسْطَرًا
وَنَدَبٌ لِيَبَّ يَمْشُقُ الطَّعْنَ كَاتِبًا،
يُسْوَدُ أَطْرَافَ الْيَرَاعِ، وَإِنَّمَا
تَبْرَعُ، لَمْ يَلْجَأْ إِلَى الْوَعْدِ صَمْتُهُ،
لَهُ شِيْمَةٌ تَنْدَى فَتَشْفِي مِنَ الصَّدَى،
تَمُدُّ عَلَيْكَ، الظَّلَّ، سَرْحَةً أَبْطَحَ
فَمِنْ نَوْرِ رَأْيٍ، لَوْ تَرَأَى لِنَاطِرٍ
وَمِنْ حُرِّ نُبْلِ، قَدْ أَفَاضَتْهُ هَمَّةٌ،

لُمُؤْتَمِرٍ فِي اللَّهِ، يَنْهَى وَيَنْهَدُ^(١)
لُمُضْطَلَعٍ بِالْمَجْدِ، يَسْعَى، فَيَسْعَدُ
يَنَامُ بِهَا الدِّينُ احْتِرَاسًا، وَيَسْهَدُ
سَطَا أَسَدٌ مِنْهُ، وَأَطْرَقَ أَسْوَدُ^(٢)
لَقَدْ شَادَ أَرْكَانَ الْهُدَى مِنْهُ سَيِّدُ
وَقَامَ، بِأَعْبَاءِ الْمَكَارِمِ، أَيْدُ
وَأَشْرَقَ، فِي حَلِيِّ الْمَسَاعِي، مُقَلَّدُ
فَغَارَ بِهِ رَأْيِي، وَأَنْجَدَ سُودُ^(٣)
وِظَاهَرَ فِيهِ، مَوْلِدًا طَابَ، مَحْتَدُ
تُفَضَّلُ لِلْعَلِيَا، وَوَشِيٌّ مُعَمَّدُ^(٤)
تَأَلَّقَ لَفْظًا، فَهُوَ أَيْضُ أَسْوَدُ
وَيَكْفِيهِ أَنْبُوبٌ، مِنَ الرَّمْحِ، أَمَلَدُ
يُحْمَرُ سُمْرَ الْخَطِّ، حِينَ يُسْوَدُ
وَعَاقِبَ، لَمْ يَقْعِدْهُ ضَعْفٌ، فَيُوعَدُ^(٥)
وَتَنْقَعُ أَحْشَاءَ الْهَجِيرِ، فَيَبْرُدُ
بِهَا، وَيَغْنِيكَ الْحَمَامُ الْمُنْغَرَّدُ
لَلَاخِ بِهِ، تَحْتَ الدُّجْنَةِ، فَارْقَدُ
فَسَاحَ بِهِ، فِي سَفْحِ نَهْلَانٍ، مُورِدُ^(٦)

(١) ينهد: يقوم وينهض.

(٢) الأسود: الذكر من الأفاعي.

(٣) سودد: مخفف سؤدد بالترخيم، والسؤدد: المجد.

(٤) المعمد: المشيد على العمد.

(٥) يوعد: يتهدد.

(٦) نهلان: جبل معروف في أرض العرب.

وقولٍ له، في مقعدِ الحِلْمِ، حِكْمَةٌ
وحكمٍ له، دونِ الدِّيَانَةِ، سَوْرَةٌ،
وما السَّيْفُ، لولا الخوفُ، إلا حديدَةٌ،
فيا عارضاً يطوي الشرى طيَّ رهبةٍ،
ويَسْحَبُ أذيالَ الرِّبَابِ على الرُّبَى،
تَحْمَلُ إلى قاضي القضاةِ تَحِيَّةً،
تَضُوعُ، كما فاحت مع الفجرِ روضةً،
وتُهَوِي إلى لثمِ البساطِ، وإنما

يَحُلُّ بها، في الله طوراً، وَيَعْقُدُ
تُقِيمُ على جَمْرِ العِقَابِ، وتَقْعُدُ
ولا الرَّمْحُ إلا خُوطَةٌ تتأوَدُ
فيسلُّ سيفَ البرقِ، طوراً، وَيُغِمُّ
فيلقَطُ من دُرِّ التَّدى ما يُبَدِّدُ^(١)
تَبِيْتُ بملقى رَحله تترددُ
وطابَ، بِرِيحِ المندلِ الرَّطِبِ موقِدُ^(٢)
تُصَلِّي إلى زُكَنِ المَعالي، فتسجُدُ

(١) الرباب: السحاب الأبيض - يبدد: المجهول من بدد (الشيء): فرقته، جعله يتلاشى.
(٢) تضوع: تعبق رائحتها - المندل: العود الطيب الرائحة.

قافية الرّاء

(٨٦)

دَعَوْتُ كِبَارَا

قالها ممتدحاً صاحب قرطبة أبا الحسن بن الربيع مشيداً
بمآثره.

ماذا عليك، وقد نأيت ديارا،
ونظمت من قُبل، بصفحةٍ جيده،
فيمّ التعلُّلُ في هواك، وقد طوى،
ولربّما منّ النسيمُ بتفحةٍ،
وسألتُ فيك الليلَ عن سنّة الكرى،
وسحبتُ أردانَ الظلامِ على الشرى
ووطئتُ، دونَ الطّبي، غابةً ضيغم،
أذكى الدُّجى، عن نظرةٍ، ناراً، كما
فصممتُ عنه، وقد سمعتُ حمامةً،
هزّت كهزّي نصلَ سيفي لوعةً،

لو طافَ بي ذاك الخيالُ فزارا؟
عِقداء، وقد لبسَ العِناقَ شعارا؟
مَنّي الضننى وبك النوى، أسرارا؟
تندى، على كبدٍ، تذوبُ أوارا^(١)
حتى أجابني الصّباحُ سرارا
طولاً، ومزقتُ الدُّيولَ عثارا
غيران، أنجد، في الوعيدِ، وغارا^(٢)
هزّ الفلا، عن زارةٍ، أقطارا
فاغرورقت عيني لها استعبارا
فرفقتُ حاشيةً، ورقَّ غرارا^(٣)

(١) الأوار: الحرّ، العطش.

(٢) الضيغم: الأسد.

(٣) الغرار: حدّ السيف.

أبكيثته، فجرى دماً مَوَّاراً
فَلَوَىٰ معاطفه لها تَخَطَّاراً^(١)
زرقاء، لم تُطَبِّق لها أشفارا
في شُقْرَةٍ، لو سَالَ سَالَ نُضَاراً^(٢)
شِيَةً تدورُ، على العيونِ، عُقَاراً
ركضاً، وسَدَّ على الكَمِيِّ قِفَاراً^(٣)
ناراً تكونُ، إذا جرى، إعصاراً
في صورةٍ تستعطفُ الأبصارا
والبرقُ قد نَسَجَ الظَّلامَ نهاراً
فأبيضُ ذا نُوراً وذا أنواراً
كرمًا، فأخصبَ رِبوةً، وقَرَاراً^(٤)
هَطْلَاءً، قرَّبها العَجَاجُ وقَاراً
طَبَعَتْ بكلِّ قَرَارَةٍ دِينَاراً
زُرْقاً، وجردتِ الشُّعَابُ شِفَاراً
فرمت به عنها السُّلَاحَ فِرَاراً
وخبَطْتُ، من سَدَفٍ بها، أنواراً^(٥)
ريحانَةً، يشتُمُّها معطاراً
واسترقصت من فتيةٍ ومهاري
في مُلتقى أسحارها، أشجاراً

وملأتُ جَفَنِي عبْرَةً، ولربَّما
وصَبَا إليها أَسْمَرٌ أَعْدِيثُهُ،
وإذا رَقَى ورقاءً، تحسبُ مُقلَّةً
ومشى يتيهُ بها، اختيالاً، أجردُ،
تسترقصُ الأعطافَ، من طرفٍ به،
لو كنتَ شاهدُهُ، وقد ملأَ الفضا
لرأيتَ، في ما قد رأيتَ، وقد بدا،
أستعطفُ الأسماعَ إطرَاءً له،
وعَمَامَةٌ نَشْرَتْ جَنَاحَ حَمَامَةٍ؛
متألِّقٌ، صدع الدُّجَى، وسقى الثرى،
في أجرع خَلَفَ الرِّيعُ به ابنه،
هفتِ الصَّبَا منه بمسرى دِيمةٍ،
وكفَّتْ، فسالتَ فِضَّةً، ولربَّما
نثلت به زُرْقُ النُّطَافِ سَوَابِغاً
فكأنَّما فُلَّتْ، هناك، كتيبةٌ،
أرضٌ هبَطْتُ بها سماءَ طَلْقَةٍ،
عاطيتُ ذِكْرَ أَبِي الحُسَيْنِ بها السُّرى
وسُلافةً خَفَّتْ بنا طرباً لها،
عَبِثتَ بها سِنَّةَ الكَرَى، فتمايَدتَ،

(١) التخطار: التبخر، يباعث الإعجاب والزهو.

(٢) يتيه: يزهو - النضار: الذهب.

(٣) الكمي: الشجاع، لابس السلاح.

(٤) ابن الربيع: كناية عن المطر - الربوة: الأكمة الخضراء.

(٥) السدف: الظلمة.

في مُتَحَى أَنهَارِهَا، أَنهَارَا
 بِأَبِي الْحَسِينِ، وَمَا دَعَوْتُ مُصَغَّرًا
 بَيْنَ الْجَوَانِحِ، أَنْ شَحَطْتَ جَوَارًا^(١)
 كَالْبَرْقِ يَقْدَحُ، فِي الْعَمَامَةِ، نَارَا
 مِنْهُ، لظَّلَّ بِصَفْحَتَيْهِ عِذَارَا
 تَتَرَى، وَخَفَّ بِهَا السَّرُورُ وَقَارَا^(٢)
 وَاسْتَهَجَرْتَ لُبْسَ الْهَيْلَالِ سِوَارَا^(٣)
 يَحْنُو، فَيَدْنُو بِالْوَزِيرِ مَزَارَا
 لَوْ أَنَّ نِي كُنْتُ الْهَيْلَالَ سِرَارَا^(٤)
 فَلَبَسْتَهَا حُلًّا، عَلَيْكَ، قِصَارَا
 طَلَعُوا، لِأَوَّلِ لَيْلَةٍ أَقْمَارَا
 يَهْفُؤُ لَهَا قَلْبُ السَّرَابِ حِذَارَا^(٥)
 كَرُمُوا جَوَارًا، فِي الْعُلَا، وَنِجَارَا^(٦)
 مَا إِنْ نَضَلُّ، وَقَدْ مَثَلْنَ مَنَارَا
 لَزِمَتْ بِهِمْ أَكْوَارَهَا أَوْكَارَا^(٧)
 عَقَدْتَ عَلَيَّ، لَهَا، الْعُلَى، أَزْرَارَا

وَلرَبِّمَا سَالَتْ أَبَاطِحُهَا بِهَا،
 أَبَا الْحَسِينِ، وَمَا دَعَوْتُ مُصَغَّرًا
 أَعَزَزَ عَلَيَّ، وَقَدْ حَلَلْتَ عَلاَقَةَ،
 وَشَرَقْتَ فِيكَ بِعَبْرَةٍ مَشْبُوبَةٍ،
 وَعُلاكَ، لَوْ سَمَحَ الزَّمَانُ بَلِيلَةَ
 تَشْنِي مَعَاظِفَهَا اهْتِزَازَ بِشَاشَةِ
 فَاسْتَهَجَرْتَ حَمَلَ الثُّرَيَّا ثُومَةً،
 وَعَسَى الزَّمَانُ، وَإِنْ عَسَا فِي حَالَةٍ،
 فَمَنْ الثُّمْنَى، وَهُوَ الْغَزَالَةُ سَنَةً،
 طَلَّتَ الْمَدَائِحَ طَوَّلَ أَرْوَعَ مَا جِدَّ،
 وَكَفَاكَ أَنَّكَ مِنْ بُدُورِ مَعَاشِرِ،
 وَلِئِنْ عَدَدْتَنِي عَنْكَ كُلُّ تَنُوفَةٍ،
 فَلرَبِّمَا طَرَقَتْ، جَنَابِي، فِتْيَةً،
 نُجْبَاءُ، تَخْفِقُ فِي ظُهُورِ نَجَائِبِ،
 صَدَعَتْ بِهِمْ، سُجْفَ الظَّلَامِ، أَجَادِلُ،
 فَسَرَتْ إِلَيَّ مَعَ الرِّكَابِ، تَحِيَّةً،

(١) شحطت جواداً: نأيت وابتعدت.

(٢) تشني معاطفها: تميمس وتزهو متمائلة.

(٣) استهجن (ه): استقبحه - التومة: جمع توم وتوم القرط أو حبة من فضة شبه الدرّة، والتومة أيضاً الخزام الذي يوضع في الأنف.

(٤) الغزالة: الشمس - سنة: طلعة - السرار: الليلة الأخيرة من الشهر القمري، وفي هذه الليلة لا يظهر القمر.

(٥) التنوفة: المفازة.

(٦) النجار: الأصل والحسب.

(٧) السجف: الحجب، الستائر - الأجادل: الصقور، جمع الأجدل.

هَزَّازَةٌ نَاءتْ بِعِطْفِي عِزَّةً، حتى جَرَرْتُ، على المَجْرِّ، إِزاراً^(١)
هدرت جنايَةً صرفِ دهرِ جائرِ، نَفَضَ المَشِيبَ، بعارضيِّ، غُبَاراً
فإِذَا حَنَوْتُ، فلا سلوْتُ، فإِنَّمَا أَنْتَ القَرِيبُ وَإِنْ شَحَطْتَ دِياراً

(٨٧)

مَنْصُورُ اللّوَاءِ

من قصائده في مدح نجل أمير المؤمنين القائد أبي الطاهر تميم:

أما والثغافِ الرّوضِ عن أزرقِ النَّهْرِ، وإشراقِ جِيدِ الغُصنِ في حِلْيَةِ الزَّهْرِ
وقد نَسَمَتْ رِيحُ الثُّغامِي، فَنَبَّهَتْ عيونَ النَّدامِي، تحتَ رِيحانَةِ الفَجْرِ^(٢)
وَخِدرِ فتاةٍ قد طَرَقَتْ، وَإِنَّمَا أَبَحْتُ بِهِ وَكَرَّ الحَمَامَةِ لِلصَّقْرِ
وقدْ خَلَعْتَ البُرْدَ عَنْهُ، وَإِنَّمَا نَشَرْتُ بِهِ طَيِّ الصَّحيفَةِ عن سَطْرِ
لقد جُبْتُ، دونَ الحَيِّ، كلَّ تَنوْفَةٍ، يحومُ بها نَسْرُ السَّماءِ على وَكَرٍ^(٣)
وَخُضْتُ ظلامَ اللَّيْلِ، يسودُ فحْمُهُ، ودُستُ عرينِ اللَّيْثِ، ينظُرُ عن جَمْرِ
وجئتُ ديارَ الحَيِّ، واللَّيْلُ مُطْرَفٌ، مُنَمَّمٌ ثوبَ الأفقِ بالأنجمِ الزَّهْرِ^(٤)
أشيمُ بها برقَ الحديدِ، وربّما عَثَرْتُ بأطرافِ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
فلم ألقَ، إلاَّ صَعْدَةً فوقَ لاميةِ، فَقُلْتُ: قُضِيبٌ قد أَطَلَّ على نَهْرِ^(٥)
ولا شِمْتُ، إلاَّ غُرَّةً فوقَ شُقْرَةٍ، فَقُلْتُ: حَبَابٌ يَسْتَدِيرُ على خَمْرِ
ودونَ طروقِ الحَيِّ خَوْضَةً فَتَكِيَةً، مورَّسَةَ السَّرْبَالِ، داميةِ الظُّفْرِ^(٦)

(١) الإزار: الرداء.

(٢) نسمت الريح: هبت وتحركت.

(٣) جبْتُ المطاف: طفت به - الوكر: عش الطائر.

(٤) المطرف: الذي طرفت عينه فدمعت والطرف أيضاً: الإزار - الثوب المنمم: المزخرف والموشى.

(٥) الصعدة: الريح - اللامة: مخفف اللامة، وهي الدرع.

(٦) السربال: القميص، وكل ما يلبس - مورسة: حمراء.

وتسفرُّ عن خدِّ، من السيف، مُحمرُّ
هناك، وعينُ النجم تنظرُ عن شَزْرِ (١)
فطارَ بها عتي جَنَاحُ من الدُّعِرِ
لنطوي ضلوعَ الليل منا على سرِّ
ومسحتُ عن عطفِ، تمايلَ، مُزورَّ
رَفَعْتُ جَنَاحَ النسر عن بِيضَةِ الخِذْرِ (٢)
وعانقتُ ما بين التَّرَاقِي إلى الخَصْرِ
تَمِيلُ بها رِيحُ الشَّيْبَةِ والسُّكْرِ (٣)
مُدَامِيَةَ الألمى، حَبَائِيَةَ الثَّغْرِ (٤)
كما اشتبكت زهُرُ النجوم على البَدْرِ
فمن لؤلؤِ نَظْمٍ، ومن لؤلؤِ نَثْرِ
رداءَ عِنَاقِ مَزَقَّتِه يدُ الفَجْرِ
مَشِيبُ بِفودِ الليلِ طالعٍ من قطرِ
ونَمَّ، على ذيلِ الدُّجَى، نَفْسُ الزَّهْرِ
يَشْفُ، كما شَفَّ الرَّمَادُ عن الجَمْرِ
تَنفَسَ فيه السُّكْرُ عن نَفْحَةِ السُّكْرِ (٥)
تَسَمَّ فيها النَّصْلُ عن مَبِسمِ النَّصْرِ
شهابُ، بها، يَتَقَضُّ، أو قَدَرُ يجري

تطلُّعُ في فرع، من النقع، أسود،
فسرْتُ، وقلبُ البرقِ يخفُّ غَيْرَةً،
وطارَ إليها بي جَنَاحُ صَبَابَةٍ،
فقلت: رُويداً، لا تُراعي، إننا
وسكنتُ من نفسٍ، تعجيش، مَرُوعَةٍ،
ومزقتُ جيبَ الليلِ عنها، وإنما
وقبلتُ ما بينَ المُحَيَّا إلى الطُّلى؛
وأطربَ سَجْعُ الحَلِيِّ من خيزرانةِ
غَزَالِيَةِ الأُلحَاطِ، رِيْمِيَةُ الطُّلى،
تَرَجَّحُ في مَوْشِيَّةِ ذَهِيَّةِ،
تلاقى نسيبي في هواها وأدْمعي،
وقد خلعت، ليلاً، علينا يدُ الهوى
ولمَّا تجلَّى ضَوْءُ صُبْحٍ، كأنه
وحطَّ رداءُ الغيمِ عن منكبِ الصُّبَا؛
صَدْرْتُ، ودونَ النَّجمِ سترُ غَمَامَةٍ،
ولا ليلَ، إلا بالثَوِيَّةِ، أقمَرُ،
ولا كَفَّ، إلا للأميرِ، كريمةُ،
وهَبَّ، بها، يَمْضِي فيفْري، كأنما

(١) الشزر: الحمرة في العين.

(٢) الجيب: القميص، والجيب أيضاً القلب أو الصدر.

(٣) والخيزرانة هنا كناية عن القامة الطويلة اللينة.

(٤) غزالية الأنماط: أي عيناها كعيني الظبي - ريمية نسبة إلى الريم، وهو الظبي - الطلى - جمع

الطلية - العنق، يشبه عنقها أو جيدها بجيد الريم.

(٥) الثوية: علم على موضع.

فَللَّهِ مَحْمُولٌ، هُنَاكَ، وَحَامِلٌ
تَلَوذُ الْمُنَى، مِنْهُ، بِأَصِيدِ أَمْجِدِ،
وَأَبْلَجٍ مَنْصُورِ اللِّوَاءِ، إِذَا سَرَى،
عَلَيْهِ يَمِينٌ أَنْ تَفِيضَ يَمِينُهُ،
يَعْبُ عُبَابَ الْبَحْرِ، فِي السَّلْمِ وَالْوَعَى،
لَهُ رَايَةٌ، لَوْ زَا حَمَ الدَّهْرُ، تَحْتَهَا
وَعَزْمٌ يُذِلُّ الطَّوْدَ هَدَاً، وَنَجْدَةٌ
وَوَجْهٌ وَضِيءٌ، شَفَّ عَنْهُ لِثَامُهُ،
إِذَا كَتَمْتَهُ، بِالْمَفَاضَةِ، دِرْعُهُ،
سَرَى بَيْنَ نُوَارٍ لَزُرُقٍ أَسْنَةِ،
فَهَزَّتْ إِلَيْهِ، عَطْفَهَا، كُلُّ رَايَةٍ،
وَحَنَّ إِلَيْهِ كُلُّ وَرِدٍ مُحَجَّلٍ،
يَجُولُ، فَتَجْرِي، فِي عَنَانٍ، بِهِ الصَّبَا،
وَأَشْهَبُ وَضَاحٌ تَحْمَلُ رُقْعَةٌ
تَخْطُ سَطُورَ الضَّرْبِ، فِي صَدْرِهِ، الطُّبَى،
وَيَدْرُجُ مِنْهُ السَّلْمُ مَا تَنْشُرُ الْوَعَى،
وَأَدْهَمُ، لَوْلَا أَنَّهُ رَاقَ صُورَةٌ،

بَعِيدٌ مَجَالِ الصَّوْتِ وَالصَّيْتِ وَالذِّكْرِ
صَقِيلٍ فَرْنِدِ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ وَالْبِشْرِ
أَظَلَّتْ عُقَابُ النُّصْرِ أَجْنِحَةَ النَّسْرِ^(١)
وَأَنْ لَا يَغُضَّ السَّيْفُ جَفْنَآ عَلَى وَثْرِ^(٢)
بَيِّذِلِ الْيَدِ الْغَرَاءِ، وَالْفَتَكَةَ الْبِكْرِ
لَعُدَّتْ بِهِ دُهُمُ اللَّيَالِي مِنَ الشُّقْرِ
تَهْزُ قُدُودَ الشُّمْرِ فِي الْحُلَلِ الْحُمْرِ
كَمَا شَفَّ رَقْرَاقُ الْعَمَامِ عَنِ الْبَدْرِ
تَرَأَى هِلَالٌ، مِنْهُ، يَطْلُعُ مِنْ بَحْرِ^(٣)
حِدَادٍ، وَأُورَاقٍ لِرَايَاتِهِ الْخُضْرِ
تَهْزُ عَلَيْهِ الْعُصْنَ فِي الْوَرَقِ النَّضْرِ
كَأَنَّ لُجَيْنَا سَالَ مِنْهُ عَلَى تَبْرِ^(٤)
وَيَزَخَرُ، فِي لِبْدٍ، بِهِ الْبَحْرُ فِي الْبَرِّ
مِنْ الْحُسْنِ، لَمْ تَعْبُرْ بِهِ الْعَيْنُ فِي بَسْرِ^(٥)
وَيَعْجُمُهَا وَخَزُ الْمُثَقَّفَةِ الشُّمْرِ
فَطُورًا إِلَى طَيِّ، وَطُورًا إِلَى نَشْرِ
لَمَا عَرَفْتَهُ الْعَيْنُ مِنْ لَيْلَةِ الْهَجْرِ^(٦)

(١) الأبلج: الواضح المحيا، الناصع الجبين.

(٢) يقول: إن ممدوحه أقسم على أن تفيض يده عطاء وألا يغمد سيفه إلا إذا نال ثأره من خصم أو عدو.

(٣) المفاضة: الدرع الواسعة.

(٤) اللجين: الفضة - التبر: الذهب.

(٥) البسر: العجلة، يقول إن حسنه لافيت يستوقف الناظرين.

(٦) الأدهم: الأسود - ليلة الهجر: يريد الليلة التي يهجر فيها المحب حبيبه وهي ليلة حالكة السواد.

طويلٌ سببِ العُرفِ والعُنُقِ والشوى،
له غُرَّةٌ، تستصحبُ النَّصرَ، طَلْقَةٌ،
أما وانتشارِ النَّقعِ عنه صحيفةً،
ونال فطيماً سؤددَ الكَهْلِ في الصُّبا،
وحلَّت به الآمالُ، وهي شريفةٌ
لَيِّبٌ، فما ندري: أَرأياً لحادثٍ
تقسَّمه جوْدٌ فيفض، وهَمَّةٌ،
له كلُّ نُعْمى، بيَّضت كلَّ صَفْحَةٍ،
فلو مَسَّحت يُمناه، عن وجهِ ليلةٍ،
رَمِيَتْ بآمالي إليه، وإنَّما
ولا أَمَلٌ إلاَّ كِتابُ شَفَاعَةٍ،
شَفِيعٌ، لو استعطفْتُ عَصَرَ الصُّبا بهِ
وبِي مَسُّ شَكوى، لا أُطِيق لها الشُّرى،
ولو مُلئت عينُ الدُّجى لَمَلأتُها
وما المرءُ إلاَّ قَلْبُه، وإذا سَرى
أبا الطَّاهرِ أَقبلُها إليك تَحِيَّةً،
خَلَعْتُ قِوافِها عليك، وإنَّما
فَسُد، وطأ التَّيجانَ عِزًّا، وذُدُّ، وجُدُّ،
طَلِيقَ لسانِ السِّيفِ والضِّيفِ والنَّدى،

قَصِيرُ عَسِيبِ الذَّيْلِ والأُذُنِ والنَّسْرِ^(١)
كفأكَ بها في سُورَةِ الحَشْرِ من عَشْرِ
لقد راعَ في تلكِ الصَّحيفَةِ من جَبْرِ
فَتَمَّ تَمَامَ البدرِ في غُرَّةِ الشَّهِرِ
مَحَلٌّ لِيالي الصَّومِ من لَيْلَةِ القَدْرِ
يُيِّتُ، أم سَهَمًا لِشاكِلَةِ يَسْرِي^(٢)
فَمِنْ مَنهَلِ غَمْرٍ، ومن جَبَلٍ وعِـ^(٣)
بكلِّ مَكَانٍ، فالبَهِيمُ من الغُرِّ
لحَطَّت قِناعَ اللَّيْلِ عن قَمَرِ يَسْرِي^(٤)
حَمَلْتُ بها المَرعى الجَدِيبَ إلى القَطْرِ
إذا الخَطْبُ أَعيا وزرُّهُ شَدَّ من أُرْزِي
لِعاجٍ، سَقَّتَه دَمْعَةُ المُزَنِ من عَصْرِ
فإن لم أَطأ بابَ الأَميرِ، فَعَن عُذْرٍ
بُغْرَةَ شَمسِ العَصْرِ، في مَطَلعِ القَصْرِ
مَعَ الرِكبِ من شوقٍ، فإني مَعَ السَّفْرِ
أرَقْتُ عليها، سَحْرَةً، رَوْنَقَ السَّحْرِ^(٥)
نَظَمْتُ بها عِقْدًا نَفيسًا على نَحْرِ
فسيحَ فِناءِ المُلْكِ عالى يَدِ الأَمْرِ
رَفِيعَ مَنارِ القَدْرِ، والذِّكْرِ والفَخْرِ

(١) السبب: الخصلة من الشعر - الشوى: الأطراف - الذيل العسبب: العظيم.

(٢) لبيب: فطن، شديد الذكاء - يبيت الأمر أو الرأي: يعده مسبقاً - الشاكلة: النية.

(٣) يمتدح كرمه وهمته ويقول بأنه موزع بين هذا وذاك.

(٤) يتابع إطراءه ويقول بأن شمائله الحميدة كفيلا أن تبدد ظلمة الليل لتتكشف عن نور قمر يسري.

(٥) أرقت: من أراق أي صب.

ارتقى شرفاً

أنشد هذه القصيدة مادحاً الأمير أبا يحيى بن إبراهيم

والصبحُ يمسحُ عن جبينِ نهارِ
يعشُو إليها من خيالِ طاري
وطوى السرى، أحبَّ به من ساري
يروى، وحيثُ حشاي موقدُ نارِ
أورى، بجانحتَيْهِ، زندُ أوارِ^(١)
قد شفتُ عنه، فهو كاسِ عاري
من شيمِ برقِ، أو شميمِ عرارِ
فانهلَّ دمعُ الطلِّ فوقَ صدارِ^(٢)
متنزهاً، قد شدَّ من زنارِ
يلقى يُمْنى، تارةً، ويسارِ
إلا اجتلتها نظرةُ استعمارِ^(٣)
بمساقطِ الأنواءِ والأنوارِ
وشَيِ الحبابِ، معاطفُ الأنهارِ
وارتجَّ، ردفاً، مائجُ التَّيارِ^(٤)
قد قبَّلته مباسمُ الثُّوارِ
مشبوبةً، والبرقُ لفحةُ نارِ
لعباً، وتلثمُ أوجهَ الأزهارِ

سمَحَ الخيالُ، على النَّوى، بمزارِ،
فرفعتُ، من ناري، لضيفِ طارقِ،
ركبَ الدُّجى، أحسنُ بها من مركبِ؛
وأناخَ حيثُ دموعُ عيني منهلُّ
وسقى فأروي غلَّةً من ناهلِ
خلعَ الهوى ثوباً عليه من الضنى،
يلوي الضلوعَ، من الولوعِ، لخطرِ
والليلُ قد نضحَ الندى سربالَه،
لبسَ المجرَّ على السَّوادِ فخلَّته
وراءَ أستارِ الدُّجى متململُ،
ما طالعتَه برقةً نجديةً،
مترقِّبُ رُسلِ الرياحِ، عشيَّةً،
ومجرَّ ذيلِ غمامةٍ، لِسَتَ به،
خفقتَ ظلالُ الأيكِ فيه ذوائباً،
ولوى القضيْبُ، هناك، جيداً أتلعاً،
باكرته، والغيمُ قطعاً عنبرِ،
والريحُ تلطمُ فيه أردافَ الرُّبى،

(١) الغلَّة: العطش الشديد - أورى: أوقد الأوار: الظماً والحرَّ الشديد.

(٢) السربال: القميص - الطلِّ: الندى - الصدار: قميص يستر الصدر دون اليدين.

(٣) اجتلى (ه): نظر إليه - الاستعمار: مصدر استعبرت (العين): أي أرسلت عبرتها، أي دمعها.

(٤) الأيك: الشجر الكثير الملتف - الذوائب: الأغصان، والذوائب جمع ذؤابة الضفيرة.

خُطَبَاءٍ مَفْصَحَةً مِنَ الْأَطْيَارِ
 وَلرَبَّمَا سَفَرُوا عَنِ الْأَقْمَارِ (١)
 زَنْدُ الْحَفِیْظَةِ، مِنْهُمْ، بِشَرَارِ (٢)
 أَشْرَافِ أَطْوَادِ، وَفِيضِ بَحَارِ
 كَرَمًا، وَمُشْتَمِلِ بَشُوبِ وَقَارِ
 وَذَوَابِةٍ قُرِنْتَ بِهَا كِعِذَارِ
 طَامِي عُبَابِ الْجُودِ، رَحْبِ الدَّارِ
 حَامِي الْحَقِیْقَةِ وَالْحِمَى وَالْجَارِ
 زَجَلِ الْجَنَاحِ، مُورِدِ الْأَظْفَارِ (٣)
 مَكْحُولَةٍ أَجْفَانُهُ بِنُضَارِ (٤)
 مَخْضُوبِ رَاءِ الظَّفْرِ وَالْمِنْقَارِ (٥)
 طَاوِي الْحَشَى حَالِي الْمَقْلَدِ ضَارِي (٦)
 يَمْشِي عَلَى مِثْلِ الْقَنَا الْخَطَّارِ
 وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ بِشَمْلَةِ قَارِ (٧)
 تَهْدِيدِ فَحْمَتُهُ بِشُعْلَةِ نَارِ
 عَنِ نَجْمِ رَجْمِ فِي سَمَاءِ غُبَارِ (٨)

وَمَنَابِرُ الْأَشْجَارِ قَدْ قَامَتْ بِهَا،
 فِي فِتْيَةٍ جَنَبُوا الْعَجَاجَةَ، لَيْلَةً،
 نَارَ الْقَتَامِ بِهِمْ دُخَانًا، وَارْتَمَى
 شَاهِدَتْ، مِنْ هِيَاتِهِمْ وَهَبَاتِهِمْ،
 مِنْ كُلِّ مَنْتَقِبِ بَوْرَدَةٍ خَجَلَةٍ،
 فِي عَمَّةٍ خَلَعَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةً؛
 ضَافِي رِدَاءِ الْمَجْدِ، طَمَاحِ الْعُلَا،
 جَرَّارِ أَذْيَالِ الْمَعَالِي وَالْقَنَا،
 طَرَدَ الْقَنِيصِ بِكُلِّ قَيْدِ طَرِيدَةٍ،
 مَلْتَقَّةٍ أَعْطَافُهُ بِحَيِيرَةٍ،
 يَرْمِي بِهِ الْأَمَلَ الْقَصِيَّ، فَيَنْشِي
 وَبِكُلِّ نَائِي الشُّوْطِ أَشْدَقِ أَصْدِرِ،
 يَفْتَرُّ عَنِ مِثْلِ النَّصَالِ، وَإِنَّمَا
 مُسْتَقْرِيًّا أَثَرَ الْقَنِيصِ عَلَى الصَّفَا،
 مِنْ كُلِّ مَسْوَدٍّ، تَلَهَّبَ طَرْفُهُ،
 وَمُورَسِ السَّرْبَالِ، يَخْلَعُ قَدَّهُ

(١) المعجاجة: الغبار النائر - سفر عن: كشف.

(٢) القتام: الغبار - الحفيظة: الحمية التي تدفع إلى الذود عن المكارم والأعراض.

(٣) أراد بالطريدة هنا: الفرس النشيط - زجل: ذو صوت - مورّد: مدمى، مصبوغ بلون الورد.

(٤) الحبيرة: البرد المزركش - النضار: الذهب.

(٥) القصي: البعيد - راء الظفر والمنقاد: أي الطرف من هذين الاسمين ويلاحظ أنه حرف الراء.

(٦) النائي: البعيد - الأشدق: الواسع الشدق أي الفم - طاوي الحشى: نحيل الخصر - حالي المقلد: أي جیده مزین بالحلي.

(٧) مستقرياً: مخفف مستقرئاً، متتبعاً - بشملة قار: أي بثوب أسود.

(٨) السربال: القميص.

عطفَ الضُّمُورُ سَرَاتَهُ، فكأَنَّهُ،
ولربَّ رَوَّاعٍ، هنالك، أنبِطِ،
يجري على حذرٍ، فيجمعُ بسطَه،
ممتدَّ حَبَلِ الشَّأْوِ، يعسِلُ راتِعاً،
متردداً يرمي به خوفُ الرّدى
ولربَّ طَيَّارٍ خفيفٍ، قد جرى
من كلِّ قاصرةِ الخطى، مُختالَةٍ،
مخضوبةِ المنقارِ، تحسَّبُ أنَّها
لا تستقرُّ بها الأيادي، خشيةً
ولو استجارتَ منهما بحمى أبي
حَرَمٍ، إذا اشتملَ الطريدُ بظُلَّه،
تقفُ الرِّياحُ، بجانبيه، هَيبةً،
ويَقِيلُ، من أمنٍ به، ظبيُّ النِّقا
خدمَ القضاءَ مُرادُهُ فكأَنَّمَا
وعنا الزمانُ لأمرِه، فكأَنَّمَا
وجلا الإمارةَ في رقيقِ نضارةِ،
في حيثُ وشَحَّ لَبَّةً بِقِلادةِ

والنَّفْعُ يَحجُبُه، هِلالُ سِرارِ^(١)
خَلقِ المِسامِعِ، أَطلسِ الأَطمارِ^(٢)
يَهوي، فينعطفُ انعطافَ سُوارِ
فيكادُ يُفلتُ أيدي الأقدارِ^(٣)
كُرَّةً، تهادتها أكَفُ قِفارِ
فشَلا بجارِ، خلفه، طَيَّارِ
مَشِي الفَتاةِ تجرُّ فَضَلَ إِزارِ
كَرَعَتِ، على ظَمِإٍ، بكاسِ عُقارِ
من ليلٍ وِيلٍ، أو نهارِ بَوارِ^(٤)
يحيى، لأمَّنْها أعزَّ جَوارِ
لم يَخشَ من جَورِ، هنالك جاري
ويُعَبُّ بحرُ العِسكرِ الجَرَّارِ
في جحرِ خيسِ الضَّيغمِ الزَّارِ^(٥)
ملكَتِ يداهُ أَعنَّةَ الأقدارِ
أصغى الزمانُ به إلى أَمَّارِ
جَلَّتِ الدُّجى في حُلَّةِ الأنوارِ
منها، وحلَّى مِعصماً بِسِوارِ^(٦)

(١) السراة: الظهر.

(٢) الأنبط: الأبيض فما تحت الإبط - الخلق: من خلق خلقا الشيء: سواه ملسه، وخلق: لان
واملس.

(٣) الشأو: الشوط - يعسل: يضطرب في مشيته.

(٤) الويل: الهلاك، حلول الشر - البوار: الكساد.

(٥) يقيل: ينام القيلولة، أي نوم الظهيرة - خيس: أجمة - الضيغم: الأسد - الزار: الذي يزأر بشدة.

(٦) اللبة: موضع القلادة من الصدر، واللفظة من لُب الشيء، أي خالصه.

أَيْدِي الْعُقَاةِ، وَأَعْيْنَ الزُّوَارِ
 أَسْرَى، وَيَبِينُ غَمَامَةَ مِدْرَارِ
 مِتْفَنُّسٌ عَنِ رَوْضَةِ مِعْطَارِ^(١)
 مُسْتَمْتَعُ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ
 مَعَهُ الرِّيَّاحُ النَّكْبُ فِي مِضْمَارِ^(٢)
 إِنَّ الْعَقْفَافَ لَشِيمَةُ الْأَحْرَارِ
 وَكَفَاكَ مِنْ نَارٍ بِهِ وَمَنَارِ
 شَرَفًا بِحَيْثُ سَمَا سَمَا فَخَارِ
 مَلَاتِ، رُوءَاءَ، أَعْيْنَ التُّظَّارِ
 تَدْبِيرِ ذَاكَ الْفَارِسِ الْمِغْوَارِ
 وَاسْتَلَّ صَارِمَهُ، يَدُ الْمِقْدَارِ
 يَدُهُ، وَبَاعُ الْأَبْيَضِ الْبِتَّارِ^(٣)
 مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارِ
 وَالْجَوْكَاسِ، وَالسِّيُوفِ مَدَارِي^(٤)
 وَتَظَلُّ تَسْبِخُ فِي الدَّمِ الْمَوَّارِ^(٥)
 لُؤْيَتُ عُرَى، مِنْهَا، عَلَى أَزْرَارِ
 فَكَأَنَّهُ صَدَأٌ عَلَى دِينَارِ
 فِي كَفِّ صَوَالٍ بِهِ سَوَّارِ^(٦)

جَذْلَانِ يَمَلَأُ مِئْخَةَ وَبِشَاشَةَ
 مِتْقَسِّمٌ مَا يَبِينُ بَدْرِ دُجْنَةَ
 أَرْجَ النَّيْدِيِّ بِذِكْرِهِ، فَكَأَنَّهُ
 فِي حُسْنِ مَنْطِقِهِ، وَهَشَّةٍ وَجْهَهُ،
 جَارِي الرِّيَّاحِ إِلَى السَّمَاحِ، فَمَا جَرَتْ
 وَزَكَا، فَشَدَّ عَلَى الْعَقْفَافِ إِزَارَهُ؛
 يَقِظُ ذَكَا فَهَمَّاءَ، وَأَشْرَفَ هَمَّةً؛
 لَبَسَ التَّوَاضِعَ عَنِ جَلَالِ، وَارْتَقَى
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ، بِالْأُمُورِ، إِمَارَةً،
 فَعِنَانُ تِلْكَ الدَّوْلَةِ، الْعُرَّاءِ، فِي
 بَطْلٍ جَرَى الْفَلَكُ الْمُحِيطُ بِسَرَجِهِ،
 يَمْتَدُّ جَبَلُ الْأَسْمَرِ الْخَطِيَّ فِي
 بِيَمِيْنِهِ، يَوْمَ الْوَعَى، وَشِمَالِهِ،
 فَالْشَّمْسُ خَمْرٌ، وَالْجِيَادُ عَرَائِسُ،
 وَالْخَيْلُ تَعَثْرُ فِي شَبَا شَوْكِ الْقَنَا،
 وَالْبَيْضُ تُحْنِي فِي الطُّلَى، فَكَأَنَّمَا
 وَالنَّقْعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَا شَمْسِ الضُّحَى،
 صَحْبَ، الْحَسَامِ، النَّصْرُ صُحْبَةٌ غِبْطَةٌ،

(١) أَرَجَ: فَاحٍ - المِعْطَارُ: الْكَثِيرُ التَّعْطُرِ.

(٢) النَّكْبُ: جَمْعُ النَّكْبَاءِ: الرِّيحُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ الصَّبَا وَالشَّمَالِ.

(٣) الْأَسْمَرُ الْخَطِيَّ: الرَّمْحُ - الْأَبْيَضُ: السِّيفُ - الْبِتَّارُ: السِّيفُ الْقَاطِعُ.

(٤) الْمَدَارِي: جَمْعُ مَدْرَى، وَهُوَ الْمَشْطُ.

(٥) تَعَثْرُ: تَكْبُو وَتَنْزَلُ - الشَّبَا: حَدُّ كُلِّ شَيْءٍ جَمْعُ الشَّبَابَةِ.

(٦) الْحَسَامُ: السِّيفُ - الصَّوَالُ: الشَّدِيدُ السُّطُو وَالْقَهْرُ - سَوَّارُ: وَثَابٌ.

يوماً، لثَارَ فلم يَنَمَ عن ثَارِ
تحت العَجَاجِ، وَضِحْكَةُ استبشَارِ
كَلِيفِ بِأَطْوَارِ مِنَ الأوطَارِ
وَخِلا بِأَبكَارِ مِنَ الأفكَارِ
فكَأَنَّمَا نَادَتْه خَلْفَ جِدَارِ:
مِنَحاً لِإِبْرَاهِيمَ، فَهِيَ عَذَارِي^(١)
لِيَمِينِ يُمْنِ، أَوْ يَسَارِ يَسَارِ
عِنهَا، وَتُعْشِبُ كُلُّ سَاحَةِ دَارِ
بِيَضِّ السِّوْفِ وَأَوْجُهُ الكُفَّارِ
وَيَذَلُّ، رُغْمَاً، مَعْطَسُ الجَبَّارِ
كَرَمِ النِّفُوسِ وَرِقَّةِ الأَبْشَارِ^(٢)
إِنَّ الشَّمْسَ لِعَلَّةِ الأَقْمَارِ
إِنَّ البَحَارَ لَمَنْشَأُ الأَمْطَارِ
وَالدِّينُ يُنْمِيهِمُ إِلَى الأَنْصَارِ^(٣)
أَعْلَى مَنَارِ فِي أَعَزِّ دِيَارِ
يَهْمِي، وَقِرْنِ، فِي الوَغَى، هَذَا
أَمْوَاجُ بَحْرِ، قَدْ طَمَى، زَخَارِ^(٤)
مَنْ قَيْدِ إِعْسَارِ وَقَيْدِ إِسَارِ
بِالْحَمْدِ، لَا يَبْلَى عَلَى الأَعْصَارِ

لو أَنه أَوْحَى إِلَيْه بِنَظْرَةٍ،
وَمَضَى، وَقَدْ مَلَكَتْهُ هِزَّةُ عِزَّةِ،
وَلرَبِّ صِفْرِ الكِفِّ، هَاذِ بِالْمَنَى،
قَدْ أَسْبَلَ الظُّلْمَاءَ سِتْرًا، دُونَهُ،
صَاحَتْ بِهِ الأَيَّامُ، تَرْفَعُ صَوْتَهَا،
دَعِ عَنْكَ ثَيْبَ كُلِّ نُعْمَى، وَالتَّمَسِ
وَارْبِعَ بِحَيْثُ تَصُوبُ، أَرْضَكَ، دِيْمَةً
هَطْلَاءُ، تَضْحَكُ كُلُّ زَهْرَةٍ صَفْحَةَ
مِنْ مَعْشَرٍ تَدْمَى بِهِمْ، يَوْمَ الوَغَى،
وَتَحَوِّرُ نَفْسُ المَسْتَطِيلِ مَهَابَةً،
جَمَعَ التَّدَى بِهِمْ، وَصَدْرُ المُتَدَى،
سَادَ السَّرَاةُ بِمَا اسْتَفَادُوا عَنْهُمْ؛
وَسَخَا الكِرَامُ بِمَا اسْتَمَدُوا مِنْهُمْ؛
تُنْمِيهِمُ الدُّنْيَا إِلَى صِنْهَاجَةٍ؛
شَادَتْ يَدُ العَلِيَاءِ فِي عَرَصَاتِهِمْ،
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ، لِلسَّمَّاحَةِ، وَاكْفِ،
يَتَّبَعُونَ إِلَى الصَّرِيخِ، كَأَنَّهُمْ
كَمْ مَطْلَقٍ، لِنَدَاهُمْ وَطُبَاهُمْ،
وَرْدَاءِ مُجْدٍ، طُرِّزَتْ أَعْطَافُهُ

(١) الثَّيْبُ: أصلاً المرأة غير العذراء - المنع: جمع منحة الهبات والعطايا - العذاري: الأَبْكَارِ.

(٢) الأَبْشَارُ: جمع بشرة، جلد الجسم الظاهر.

(٣) صِنْهَاجَةٌ: من القبائل الإفريقية التي تسَّتم زعماءها حكم البلاد خلال حقبة من الزمن - الأَنْصَارِ:

أراد أهل المدينة الذين نصرُوا الإسلام عند نشأته.

(٤) الصَّرِيخُ: المستجير - طَمَى البَحْرُ: علا موجه - البَحْرُ الزَّخَارُ: الزاخر، الموار.

فلو إنهم خلدوا خلودَ ثنائهم، وإليك، من حوكِ البديع، قوافياً، زفت، أبا بكر، إليك محاسناً، فأصخ إلى هزج المديح، فإنما هزت معاطف سامعيها حكمةً، مسحت جفونَ الركب من سنة الكرى، ورأتك كُفواً، فانتحتك على الثوى فاطلع، لروضتها، صباحاً نيراً، واسلم، أبا يحيى، لها من دولةٍ وانهد لها، فالسيفُ في يد فارس، واشفع على شحطِ الديارِ لآمل،

لم تنفصم عنهم عُرى الأعمارِ
هزَّ النشيدُ بها متونَ شفارِ
جاءتك تحمِلُ عُذرةَ الأ Bakar
صدحت، بأغصانِ السطورِ قماري^(١)
كادت تهزُّ معاطفَ الأسطارِ
ولومهُمُ طرباً على الأكوar^(٢)
والبعد، بعدَ السّنةِ الأقطارِ
يستضحك الثّوارُ للأنوارِ
كسّت الليالي رونقَ الأبحارِ
يسطوبه، والسّهْمُ في يدِ باري
أهدى الثّناءَ على تنائي الدارِ

(٨٩)

كما تهوى العُلا

نظم هذه القصيدة مادحاً أبا الحسن بن نعيم:

وبت تحت ليل، للوصال، قصير^(٣)
بغرة رَقراقِ الشبَابِ غريرِ
ولا العيش، إلا في صريرِ سريرِ^(٤)
بطرة ظل، فوق وجهِ غديرِ
وما اهتز من أيك عليه مطيرِ

تشفع بعلقي، للشباب، خطير؛
ونل نظرة من نُصرةِ الحُسن، وانتعش
فما الأنس، إلا في مُجاجِ زجاجة؛
وإنني، وإن جئت المشيب، لمولعُ
فيا حبذا ماءً بمُنعرجِ اللوى،

(١) أصخ: استمع - صدحت: غرّدت - القماري: من ضروب الحمام الحسن الصوت.

(٢) الكرى: النوم.

(٣) العلق: النفيس - الوصال: خلاف الهجر والصّرم.

(٤) المجاج: الريق، ومجاج النحل: العسل وقوله: مجاج زجاجة عنى الخمر.

ونفحة ريح، للربيع، ذكيّة،
 ونعسة طرف العين من سِنَّة الكرى،
 وقد لاح وجه الصبح، يندى، كأنه،
 وأشرق نجمٌ للثريا، كأنه،
 فتى شاب، في عصرِ الشبيبة، حنكة،
 وأصغى، إلى داعي الندى، سمع أروع
 فبات، وللأبناء فيه تأرُّج،
 وللروضِ سرّاً شافهتنا به الصبا،
 وللمدحِ أَلحانٌ، تهزُّ، شجيّة،
 وقد أغضتِ الشّعري العبورُ لهمة،
 تُواقِعُ أبكارَ العُلا، غيرَ أنّها
 وتصفحُ، لا عن ذلّة، صفحَ رحمة،
 وتجلو سوادَ المُشكلاتِ بخاطرٍ،
 إذا قستَ ما بينَ الحُسامِ وبينه،
 من آلِ رَحيم، حيثُ لا هضبةُ العُلا
 منَ القومِ، أدّتهم إلى خيرِ أبطنٍ
 ترى المُزنَ تُجّاجاً بهم، متهللاً
 غياري على الأيدي العذارى، كأنما

ولمحة وجه، للشباب، نضيرِ
 لرجعِ خريبر، أو لشجوة هديرِ
 وراءِ قناعِ الليل، وجهُ بشيرِ
 أيادي نعيم، أو هضابِ ثبير^(١)
 وقامَ صغيراً في جلالِ كبيرِ
 مُجيب، على بُعدِ الصّريخ، مُجيرِ
 تطيبُ به أنفاسُ كلِّ سَميرِ
 سُحيراً، فألهى من حديثِ خيرِ
 تُنسى بها المُكّاءَ كلَّ صفيرِ^(٢)
 تُقلّبُ، دونَ المجدِ، لحظَ غيورِ^(٣)
 ترى أنّ بحرَ الجودِ خيرٌ ظهورِ
 فترسلُ، دونَ الذنبِ، سترَ غفورِ
 تركبُ من نارٍ، تُشبُّ، ونورِ
 تبسّم، واهتزّ اهتزازَ سُرورِ
 لهدّ، ولا بحرُ الندى لُعبورِ^(٤)
 تخيّرَن، للأبناء، خيرَ ظهورِ
 سماحةُ أيدي، وابتسامُ تُغورِ^(٥)
 تُزفُّ، من الكتمانِ، خلفَ سُتورِ

(١) ثبير: اسم جبل.

(٢) المُكّاء: من الطيور.

(٣) الشّعري: كوكب يطلع في الجوزاء من شدة الحرّ - اللحظ: النظر بمؤخر العين.

(٤) الهدّ: الهدم - الندى: الجود.

(٥) المزن: السحاب الممطر - تُجّاجا: شديد الانهمار - متهللاً: متلألئاً.

لطيّ، ولا أسرارهم لنشور^(١)
 إذا ما دَهَى خَطْبٌ، قلوبُ صخورِ
 طُلُوعِ بدُورِ، في ارتجاجِ بحُورِ
 ذكاءِ قلوبِ، في اتساعِ صُدُورِ
 بأبيضِ سَمامِ الفِرندِ، طريرِ^(٢)
 بأرقشِ مُصَفَّرِ القميصِ، قصيرِ
 خضيبِ، ورندِ، لليراعِ، نضيرِ
 برجعِ صليلِ راعِ، وصريرِ^(٣)

فها هم كما تهوى العُلا، لا ثناؤهم
 يذوبون ظرفاً، غيرَ أن قلوبهم،
 ترى بهم من نَصْرَةٍ في سماحةِ،
 وتعشوا إلى نارٍ بهم في مفازةِ،
 فما البطلُ الحامي، وقد صافحَ الطلي
 بأطولَ باعاً من رحيمِ، وقد سَطَا
 فيا حُسنَ مرأى المَلِكِ بين مهتدِ
 وقد طارحَ السيفُ اليراعِ، فأطربا

(٩٠)

فاهناً بها

قال مادحاً الوزير أبي الحسن بن رحيم:
 وهوى تهاوى بالمطيّ على الشرى^(٤)
 ما شاقني، فإذا هزرتُ تأطراً^(٥)
 فلو التفكُّ لما عرفتُ الأسمرا
 شيّة، ويتعلُّ الرِّياحِ، إذا جرى
 ركضاً، ويحملُ لبده لَيْثَ الشرى^(٦)

جفنٌ، تجافى للخليّ عن الكرى؛
 ومثقفٌ لذنُ المهزُّ، يشوقه
 وقد اشتبهنا سُمرَةً ونخافةً،
 وأقبُ يحتملُ الصباحِ، إذا مشى،
 قد باتَ يَحْمِلُ لبده ظبيَ النقا،

(١) الطي: الكتمان - النشور: خلاف الطي.

(٢) الحامي: الذي يحامي ويزود عن الحمى - الطلي: جمع الطلاة: العنق - الأبيض: السيف -
 الفرند: جوهر السيف.

(٣) اليراع: القلم - صليل: صوت السيوف - الصرير: الصوت، أراد صوت اليراع.

(٤) تجافى عن الكرى: لم يجد سبيلاً إليه، لم ينم - تهاوى: سقط في المهواة، وتهاوى الرجل:
 سار شديداً المطي: الراحلة، السرى: السير ليلاً.

(٥) المثقف: الريح - ولدن المهز: لين الحركة - تأطّر: تشنّى.

(٦) اللبد: الصوف أو الشعر المتلبّد. - الليث: الأسد - الشرى: واد تكثر فيه الأسود.

أزجى، هناك، غمامة، برق سرى^(١)
فكان رُكناً خراً، فيها، من حرا^(٢)
ثوباً بأطرافِ الرِّمَّاحِ مُدَنِّرا
فالتفتِ الأنجادُ، حولي، عسكرا
زَهواً بِعِزَّةِ رَبِّهِ، فتَبَخَّرا
بروائه، ليلَ السَّرارِ لأقمرا^(٣)
إِلَّا أَرْتِكَ بِهِ الصِّبَا حَةَ نَيِّرا^(٤)
فكان، في بُردِيه، روضاً أزهر
قمر، تطلَّعَ في غَمَامِ أَمَطِرا
فوقَ القَميصِ، منَ الحَياءِ، مُعَصِّرا
فمشى اليَراعُ بكفِّه مُتَبَخِّرا
حَسَدتِ بِرَاحِتهِ القَصِيرَ الأَصْفِرا
أهديتها روضاً، إليك، مُنَوِّرا
وتنفَّستِ طيباً، بحمدِكَ، مُجَمِّرا
فارغَبَ بِسَمِعِكَ عَن حَدِيثِ يُفْتِري

وحنا الثُّرابَ على الصِّبَا، فكأنما
واسترجفَ الأرضَ الفَضَاءَ بوُثْبَةٍ،
مَزَّقْتُ من خِلَعِ العِجَاجَةِ، فوقه،
وصرختُ: يا لَبْنِي رَحِيمِ، صرِخَةً،
من كَلِّ طَلَقِ الوَجْهِ، تاهَ جَواذُه
صَلَّتِ الجَبِينِ، لو أَنِّي مُسْتَقْبِلُ،
ما إن سَقَتَكَ بِهِ السَّمَا حَةَ مُزْنَةً،
وأغرَّ، أزهر، باتَ يَعبَقُ نَفْحَةً،
طَلَقَ المُحَيَّا واليَدِينِ، كأنه
لَبَسَ الرِّداءَ، من الثَّنَاءِ، مطرِّزاً،
استمجدَ الأشرافُ من شَرَفِ بِهِ،
فلرُبَّ سَمراءِ الأديمِ، طويِلَةِ،
وإليكَها، فاهناً بها، من مِدْحَةٍ،
فتلَّلاتِ حُسنًا، بِمجدِكَ، حُلَّةً،
وسوايَ يَكذِبُ، في سواها، مِدْحَةً

(٩١)

رُبَّ يَوْمٍ

ألا رُبَّ يَوْمٍ حَثَّتِ الكاسُ خطوَه،
عثرُ بِذَيْلِ السُّكْرِ فِيه، عَشِيَّةً،
فطارَ، وأيامُ السُّرورِ قِصارُ
وللريحِ في مَوجِ الخَلِيجِ عِشارُ

(١) أزجى: ساق.

(٢) الركن: الأساس - حرا: مخفف حراء، من جبال مكة.

(٣) صلت الجبين: ناصع الجبين - الرواء: البهاء والحسن - السرار: آخر ليلة من الشهر.

(٤) السماحة: الجود - الصبابة: اشراقه الوجه.

وقد فضَّض الثَّوَارُ كُلَّ رِبَاوَةٍ، وسألَ عليها للأصِيلِ نُضَارُ^(١)

(٩٢)

الماءُ صَفْحَةٌ ضاحِكُ

يصف الشاعر مفاتن الطبيعة وهو يجوب في أرجائها

عن صَفْحَةٍ، تَنَدَى مِنَ الأَزْهَارِ^(٢)

أخْلَافَ كُلِّ غَمَامَةٍ مِدْرَارِ^(٣)

دُرَرَ النَّدى ودراهمَ الثَّوَارِ

حَلَى الحَبَابِ، سَوَالِفُ الأَنْهَارِ^(٤)

جَذَلِ، وحيثُ الشَّطْبُ بدءُ عِذارِ

والطَّلُّ يَنْضَحُ أَوْجُهُ الأشْجَارِ^(٥)

مِن رِدْفِ رايبةِ، وَخَصِرِ قَرَارِ

والصُّبْحُ يُسْفِرُ عن جَيِّينَ نَهَارِ^(٦)

خَلَعَتْ عَلَيْهِ مُلَاءَةَ الأَنْوَارِ

وَكِمَامَةٍ حَدَرَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهَا،

فِي أَبْطَحِ، رَضِعَتْ ثُغُورُ أَقْاحِهِ

نَشَرَتْ، بِحَجْرِ الأَرْضِ فِيهِ، يَدُ الصَّبَا

وَقَدْ ارْتَدَى غَصْنَ النَّقَا، وَتَقَلَّدَتْ،

فَحَلَلْتُ حَيْثُ المَاءُ صَفْحَةٌ ضاحِكِ،

وَالرِّيحُ تَنْفُضُ، بُكْرَةً، لِمَمِ الرُّبَى؛

مَتَقَسَّمُ الأَلْحَاظِ بَيْنَ مُحَاسِنِ،

وَأَرَاكِي سَجَعِ الهَدِيلِ بِفَرَعِهَا،

هَزَّتْ لَهُ أَعْطَافَهَا، وَلرَبَّمَا

(٩٣)

حُلُو السَّجِيَّةِ

امتدح بهذه القصيدة الوزير أبا محمد طاهر بن عامر:

حَدَرَ القِنَاعَ عن الصَّبَاحِ المُسْفِرِ؛ وَلوى القَصِيبَ على الكَثِيبِ الأَعْفِرِ

(١) النضار: الذَّهَبُ.

(٢) الكمامة: أكمام الزهر - حدر الصباح قناعها: أنزله.

(٣) الغمامة المِدرار: الغزيرة.

(٤) الحباب (هنا): الندى الذي يزين في نظر الشاعر أوراق الأغصان.

(٥) بكرة: باكرأ - اللمم: جمع لمة: شعر مقدَّم الرأس، ولمم الرَبَى من باب الاستعارة - الطَّل: الندى - ينضح: يرش ويبل.

(٦) الأراكة: واحدة الأراك، شجر يستاك بأغصانه - الهديل: الحمام.

وتملكتُهُ هِزَّةً فِي عِزَّةٍ
متنفساً عن مثلِ نَفْحَةِ مِسْكَةٍ؛
سَلَّتْ عَلَيَّ، سِوْفَهَا، أَجْفَانُهُ،
متجلداً أرباباً بنفسي أن يُرى
فحشاً بطَعْتَيْهِ حَشَى متنفّسٍ،
يغشى رِمَاحَ الخَطِّ، أوَّلَ مُقْبِلٍ،
فتراه بينَ جِراحتين: للحظةِ
نَزَرَ الكَرَى، يرمي الظلامَ بمُقْلَةٍ
من ليلةِ أرخى عليَّ جَنَاحَهُ،
لا يستقلُّ بها الشُّرَى، فكأنما
ولقد أقولُ لبرقِ ليلٍ هاجني،
اقرأ على الجِزَعِ السلام، وقُلْ له:
بيني وبينك ذمَّةٌ مَرَعِيَّةٌ،
وإذا غَشِيَتْ ديارَ ليلي باللَّوى،
والمح صحيفةٌ صَفْحَتِي، فاقرأ بها
كَتَبْتُهُمَا، تحتَ الظلامِ، يدُ الضَّنَى،
ولقد جريتُ، مع الصُّبَا، جَرِي الصُّبَا،

فارتجَّ في ورَقِ الشَّبَابِ الأخضرِ
متبسِّماً عن مثلِ سِمَطِي جَوْهَرٍ^(١)
فلقيتُهِنَّ، من المَشِيبِ، بِمَغْفَرٍ^(٢)
هذا الهزبرُ قَتِيلَ ذاكِ الجُوذُرِ^(٣)
تحتَ الدُّجَى، عن مارجٍ متسَعِرٍ^(٤)
ويكُرُّ، يومَ الرُوعِ، آخرَ مُدْبِرِ
مكسورةٍ، ولعاملي متكسِّرِ
سَهَرَتْ لِأخرى، تحتَه، لم تَسْهَرِ
فيها، غُرَابٌ دُجْنَةٌ لم يُزَجَّرِ
باتت تُسْرِي عن صباحِ المَحْشَرِ
فمسحتُ عن طَرفٍ به مستعْبِرِ
سُقِّيْتُ من سَبَلِ الغمامِ الممطرِ^(٥)
فإذا تُنوسيتِ المودَةَ، فاذكُرِ
فاسأل رِيحَ الطَّيْبِ عنها تُخْبِرِ
سَطْرين من دَمَعٍ بها متحدِّرِ
خوفَ الوُشَاةِ، بأحمرٍ في أصفرِ
وشربتها من كَفِّ أَحْوَى أَحورٍ^(٦)

(١) سمطا وسمطي: مثنى سمط، وهو القلادة، العقد.

(٢) سلَّتْ سيوفها: أخرجتها من أغمادها، وأراد بالسيوف: نظرات العين الفاتنة.

(٣) الهزبر: الأسد - الجوذور: الطيبي.

(٤) المارج: النار - المتسعر: المتوقد.

(٥) سبل الغمام: المطر.

(٦) الأحوى: الذي به حوة والحوة السواد إلى الخضرة أو الحمرة إلى السواد - الأحور: الذي في عينيه حور، والعين الحوراء التي اشتدَّ بياضها وسوادها.

قَبَّلْتُهُ، فَلَمَّمْتُ وَجَهَ الْمُشْتَرِي (١)
 شَرِبْتُ، عَلَى ظَمِيٍّ، بِمَاءِ الْكَوْثَرِ (٢)
 يَوْمَ الْغَمِيمِ، بِنَسْبَةِ فِي قَيْصَرِ
 مَا بَيْنَ جُوذِرِ كِلَّةٍ، وَعَضْنَفَرِ (٣)
 فإِخَالَهُ غَصْنًا بِشَاطِئِ جَعْفَرِ (٤)
 فَرَمَيْتُ جَانِبَهُ بِعَطْفِ أَزُورِ
 أَنْسْتُ مَا أَنْكَرْتُهُ لَمْ أَزَارِ
 فَأَقَامَ تَحْتَ غَمَامَةٍ لَمْ تُمَطِّرِ
 لَسَقَّتَهُ بَيْنَ مَلَامَةٍ وَتَشْكُرِ
 وَبِلَاءٍ، وَتَحْصُبُ سَمْعَهُ بِالْجَوْهَرِ (٥)
 فِي عَارِضٍ، مِنْ بَرِّهِ، مَسْتَمَطِّرِ (٦)
 مَصْطَفَّةً، وَطَرَقْتُهُ فِي عَسْكَرِ
 فَسَبَحْتُ فِي بَحْرِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ
 وَلرَبَّمَا أَبْكَيْتُ عَيْنَ السَّمْهَرِيِّ
 فَسَفَرْتُ، لَيْلًا، عَنْ صَبَاحِ مُسْفَرِ (٧)
 يَنْقُضُ فِي غَبْشِ الْعَجَاجِ الْأَكْدَرِ
 وَنَزَلَتْ مِنْهُ، ظَافِرًا، عَنْ أَشْقَرِ (٨)

نَاجِيَتْ مِنْهُ عَطَارِدًا، وَلرَبَّمَا
 تَنَدَى بِفِيهِ أَقَاحَةٌ نَفَّاحَةٌ
 شَهِدْتُ لَهُ فَتَكَائِهِ فِي مُهْجَتِي،
 وَلَقَدْ خَلَوْتُ بِهِ أَقْسَمَ نَظَرَتِي،
 يَثْنِي مَعَاظِفَهُ، وَأَذْرَفُ عَبْرَتِي،
 وَأَهَابَ بِي شَرْحُ الشَّبَابِ، لَرِيبَةٍ،
 وَأَخِ زَارْتُ لَهُ، وَلَوْلَا أَنَّنِي
 أَنْسْتُ مَا أَنْسْتُهُ مِنْ عَتْبِهِ،
 وَلَوْ التَّقِينَا، حَيْثُ يَصْغِي سَاعَةٌ،
 تَهْمِي بِمَاءِ الْوَرْدِ، فِي أَرْدَانِهِ،
 وَعُغْلَاهُ، لَوْلَا بَرْقُ وَعْدِ شِمْتِهِ
 لَنَسَخْتُ أَسْطَارَ الْكِتَابِ كِتَابًا،
 وَمَقَامِ بَأْسِ، فِي الْكَرِيهَةِ، قُمْتُهُ،
 أَضْحَكْتُ نَغْرَ النَّصْرِ فِيهِ مِنَ الْعَدَى،
 وَرَمَيْتُ هَبْوَتَهُ بَلْبَّةَ أَشْهَبِ،
 يَجْرِي فَتَحْسُبُهُ، انْصِبَابًا، كَوَكْبًا
 أَوْرَدْتُهُ نُطْفَ الْأَسْنَةِ أَشْهَبًا،

(١) العطارد والمشتري: من الكواكب، من باب المجاز.

(٢) الكوثر: نهر في الجنة.

(٣) الغضنفر: الأسد.

(٤) جعفر: اسم نهر.

(٥) تهمي: تسيل - الأردن: جمع ردن أطراف الأكماء الواسعة.

(٦) العارض: السحاب الممطر.

(٧) الهبوة: الغبرة، والجمع هبوات.

(٨) نطف: جمع نطفة، الصافي من الماء - الأسنة: رؤوس الرماح.

ولقد خبطتُ الغابَ، أسألُ، ليلةً،
وحططتُ عن بنتِ الزنادِ قناعها،
ومسحتُ منها عن معاطفِ مَهرةٍ
وجرى الحديثُ ببعضِ ذكري طاهرٍ،
وظفقتُ أذكيها وأذكرُ ذهنه،
فكأنها، والريحُ عابثةٌ بها،
ولدتُ به أُمُّ السيادةِ أوحداً،
تُعدي علاه دياره، فلها به،
وإذا وطئتُ جنابه قدسُته،
أتتِ العلى منه بأوحدٍ أضيدي،
وأغرَّ، أروع، ملءِ سمعِ المُتقى،
حلَّت أواصره به عن عامرٍ،
طلقِ الجبينِ، كأنني مستقبلٌ،
رطبِ الكلامِ، على سماعِ جلسيه،
لا تعتريه شبهةٌ، فكأنما
متحمِّلِ العبءِ الثقيلِ بمنكبٍ
فكأنه متصوَّبٌ، في المرتقى،

عن سرِّ صُبحٍ في حشاه مُضمَرٍ
ليلاً، لسارٍ، تحته، متنوِّرٍ^(١)
شقراء، تُذعرُ من شمالِ صرصرٍ^(٢)
فجعلتُ جَزَلَ وقودها من عَبيرٍ
فإخالُ ذاكِ وهذه من عُضُرٍ
تُزهى، فترقصُ في قميصِ أحمرٍ
متضمناً معنى العديدِ الأكثرِ
في مُرتقى زُحَلٍ، جمالِ المشتري^(٣)
فكأنني أمشي به في مشعرٍ^(٤)
حُلُوِ السجّيةِ، طلقِ وجهِ المخبِرِ
حُرَّ الكلامِ، وملءِ عينِ المُبصرِ
في حيثُ حلَّتْ مُقلَّةٌ من محجَرٍ^(٥)
بلقائه، وجهَ الشابِ المدبرِ
فكأنَّ، في فيه، لسانَ مبشِّرٍ
يمشي على وضحِ النهارِ النَّيرِ
أيدٍ، ولم يشدُّ له من مئزرٍ^(٦)
دمتُ المسالكِ، في الطريقِ الأوعرِ

(١) بنت الزناد: شرارة النار، شبه بها المهرة - الساري: السائر ليلاً.

(٢) تذعر: تخاف - الشمال: ريح الشمال - الصرصر: الريح الشديدة الهبوب.

(٣) زحل: من الكواكب السيارة.

(٤) المشعر: من مناسك الحج.

(٥) الأواصر: جمع أصرة، والأصرة صلة النسب والقرابة.

(٦) الأيد: القوّة.

(٩٤)

لَا حَ صُبْحُ الشَّيْبِ

أَلَا قَانِعٌ مِنْ مُلْكِ كِسْرَى بِكِسْرَةٍ، فَمَا الْوَجْدُ إِلَّا الْخُلْدُ، لَا مَا جَنَى كِسْرَى^(١)
فَمَا بَالُنَا، وَالْمَالُ عُرْضَةٌ حَادِثٌ، تَرَكْنَا مَطَايَا الرِّيحِ فِي إِثْرِهِ حَسْرَى
وَمَا الْغَيْءُ إِلَّا أَنْ يُعْبَدَنَا الْهَوَى، وَلَمْ نَدْرِ، جَهْلًا، أَنَّنَا مَعْشَرٌ أَسْرَى^(٢)
وَقَدْ لَا حَ صُبْحُ الشَّيْبِ، وَانْسَلَخَ الصَّبَا، فَيَا صَبْحُ مَا أَجْلَى، وَيَا لَيْلُ مَا أَسْرَى!
فَيَا لَيْتَ أَنِّي مَا خُلِقْتُ لِمَطْعَمٍ، وَلَمْ أَدْرِ مَا الْيَسْرَى هُنَاكَ، وَمَا الْعُسْرَى^(٣)
وَلَسْتُ أَرَانِي، وَالْمَغْبَةَ خِسَّةً، فِي غَسْلِي الْيُمْنَى لَغَسْلِي بِالْيُسْرَى^(٤)

(٩٥)

صُرُوفُ اللَّيَالِي

لَا الْعَطَايَا، وَلَا الرَّزَايَا بَوَاقٍ؛ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى بَلَى وَدُثُورٍ^(٥)
فَالَهُ عَنِ حَالَتِي سُرُورٍ وَحُزْنٍ، فإِلَى غَايَةِ مَجَارِي الْأُمُورِ
وَإِذَا مَا انْقَضَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي، فَسَوَاءٌ لَيْلَا الْأَسَى وَالسُّرُورِ

(٩٦)

قَدْ يَبْكِي الْخَلِيلُ

لَقَدْ أَصْخَتْ إِلَى نَجْوَاكَ مِنْ قَمَرٍ، وَبِئْتُ أَدْلِجُ بَيْنَ الْوَعْيِ وَالنَّظْرِ
لَا أَجْتَلِي مُلْحَاً، حَتَّى أَعِي مُلْحَاً، عَدَلًا مِنَ الْحَكْمِ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ^(٦)

(١) الوجد: الثراء والغنى - كسرى: من ملوك الفرس.

(٢) الغي: الضلال - يعبدنا: يجعلنا عبيداً.

(٣) العسرى: خلاف اليسرى.

(٤) مغبة الأمر: عاقبته.

(٥) الرزايا: المصائب - الدثور: الفناء والبلى.

(٦) الملح: البياض يداخله السواد، والمقصود هنا الشيب الملح (الثانية): جمع ملححة وهي الطريف من النوادر والمستملح من الكلام.

وقد ملأتُ سوادَ العينِ من وضَح،
فلو جمعتَ إلى حُسنِ مُحاورةٍ،
وإن صَممتَ، ففي مرآك لي عِظَةٌ،
تمرُّ من ناقصِ حَوراءٍ، ومكتملِ
والناسُ من مُعرضِ يلهو، وملتفتِ
يلهو بساحاتِ أقوامٍ تحدُّنا،
فإن بكيتُ، وقد يبكي الخليلُ، فعن

(٩٧)

أَقْلَبُ جَفْنًا

أما وشبابٌ قد ترامت به النَّوى،
لقد رَكبتَ ظهرَ الشُّرى بي نومةً،
أَقْلَبُ جَفْنًا، لا يجفُّ، فكَلِّمًا
فها أنا لا نَفْسُ يَخِفُّ بها المُنَى،
وإني، إذا ما شاقني لحمامةٍ
لأجمعُ بينَ الماءِ والنَّارِ، لوعةً،
وقد خفَ خَطْبُ الشيبِ في جانبِ الردى،
وللشعرِ عندي، كَلِّمًا ندب الصِّبا
فليتَ حديثاً للحدائِةِ لو جرى

(١) الوضع: بياض الصبح، وبياض القمر، والمراد طلعة المحبوب - قرط السمع: من قرط الجارية

ألبسها قرطاً أي شنف السمع بالغناء المطرب - السمر: حديث الليل.

(٢) الشكرى: العين المغرورقة بالدمع.

(٣) الخطب: الأمر الجلل - الردى: الموت.

(٤) الشُّعْرَى: نجمان بهذا الاسم: الشعري الغميصاء والشعري اليمانية.

(٩٨)

بين الرَّعدِ والقَطْرِ

أما ومَسِيلٍ مائِلِ الغَيْثِ كالسَّطْرِ، كما أَتَرَخَ الساقِي الزُّجاجةَ بالخمرِ
لقد بَثُّ بينَ الرَّعدِ والقَطْرِ أَشْكَي بَسْمَعِي من وَقْرِ، وظَهْرِي من وَقْرِ^(١)
وها أَنَا مَبْلُولُ الجَنَاحِ مِنَ الحَيَا ومذعور الفِراخِ مِنَ الوَكْرِ^(٢)
وَأَسْقَيْتُهَا مِن دِيمَةٍ إِثْرَ دِيمَةٍ، فمالتَ بِها الجُدرانُ سَطْرًا على سَطْرِ
فَمِن عَارِضٍ يَسْقِي، وَمِن سَقْفِ مَجْلِسِ يُغْنِي، وَمِن بَيْتِ يَمِيلُ مِنَ السُّكْرِ^(٣)
إِذَا ما هَوَى رُكْنَ فَأَهْوَى، فَإِنِّي لأشجى مِنَ الخَنساءِ تَبْكي على صَخْرِ

(٩٩)

جَنَّةُ الخُلْدِ

يا أَهْلَ أَنْدَلُسِ! اللهُ دَرُّكُمْ؛ ماءٌ وظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشجارٌ
ما جَنَّةُ الخُلْدِ إِلَّا فِي ديارِكُمْ، ولو تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَختارُ
لا تَخَشُّوا، بَعْدَ ذَا، أَنْ تَدْخُلُوا سَقْرًا، فليسَ تُدْخَلُ، بَعْدَ الجَنَّةِ، النارُ^(٤)

(١٠٠)

صَحَّ الهوى

صَحَّ الهوى منك، ولكنني أعجَبُ من بينِ لنا يُقدَرُ
كأنَّنَا في فَلكِ دائِرِ، فأنتَ تَخْفَى، وأنا أَظْهَرُ

(١) الوقر: الثقل، العبء الشديد.

(٢) الحيا: المطر - مذعور: من الذعر وهو الخوف الشديد.

(٣) العارض: السحاب الممطر - السكر: يقصد النشوة.

(٤) سقر: من أسماء جهنم.

(١٠١)

أَيْكَةٌ خَفَاقَةٌ

أَذِنَ الْغَمَامُ بِدِيمَةٍ وَعُقَارٍ ، فَا مَزُجَ لُجَيْنًا ، مِنْهُمَا ، بِنُضَارٍ (١)
وَارْبَعٌ عَلَى حُكْمِ الرِّيْعِ بِأَجْرِعِ هَزَجِ النَّدَى ، مِنْ مُفْصِحِ الْأَطْيَارِ
نَثَرَتْ بِحِجْرِ الرَّوْضِ فِيهِ ، يَدُ الصَّبَا ، دُرَّرَ النَّدَى وَدِرَاهِمَ الْأَنْوَارِ (٢)
وَهَفَّتْ بِتَغْرِيدٍ هِنَالِكَ ، أَيْكَةٌ ، خَفَاقَةٌ بِمَهَبِّ رِيحِ عَرَارٍ (٣)

(١٠٢)

تَعَلَّقَتْهُ

تَعَلَّقَتْهُ نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرِ رِيْقِهِ ، لَهُ رَشْفُهَا دُونِي ، وَلِي دُونَهُ السُّكْرُ
تُرْقِرُقُ مَاءً مُقْلَتَايَ وَوَجْهَهُ ، وَيُذَكِّي ، عَلَى قَلْبِي وَوَجْتِهِ ، الْجَمْرُ
أَرْقٌ نَسِيْبِي فِيهِ رَقَّةٌ حُسْنِهِ ، فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ مِنْهُمَا ، قَبْلَهَا ، السَّحْرُ
وَطَبْنَا مَعًا شَعْرًا وَثَغْرًا ، كَأَنَّمَا لَهُ مَنَظِقِي ثَغْرٌ ، وَلِي ثَغْرٌ ، وَلِي ثَغْرُهُ شِعْرٌ

(١٠٣)

جَنِيْتُ رَوْضًا

يصف الشاعر طوافه في جنة المحبوب مفتوناً بمحاسن

الشباب

لَمْ أَنْسَ لَيْلَةَ رُعْتِ سِرْبِكَ زَائِرًا ، فَكَأَنَّمَا رَوَّعْتُ فِيهَا جُوذْرًا (٤)
فَأَقَمْتَ عِطْفًا أَزُورًا ، وَجَلَوْتَ وَجْهًا أَزْهَرًا ، وَأَدْرَتَ طَرْفًا أَحْوَرًا (٥)

(١) الديمة: السحابة الممطرة - العقار: الخمر - اللجين: الفضة - النضار: الذهب.

(٢) الحجر: الحظن - الصبا: الريح الناعمة.

(٣) هفت بتغريد: خفقت - الأيكة: الشجر الكثير الملتف - العرار: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة.

(٤) الجوذر: الطبي.

(٥) الأحور: الذي فيه حور، وهو اشتداد بياض وسواد العين.

وضفا رداءً، من شبابِك، ابيضُ،
وبدا هلالٌ، في نقابِك، طالعُ،
وجنيتُ روضاً، في قناعِك، أزهرًا،
ثم اثنتيتُ، وقد لبستُ مُصنَدلاً،
والصُّبْحُ محطوطُ النَّقَابِ، قد احتبى

ولربّما اعترضَ الحياءُ، فعصفرا^(١)
ولربّما انحدرَ النَّقَابُ، فأقمرًا^(٢)
وقضيبَ بانٍ، في وشاحِك، أثمرًا
وطويتُ من خَلَعِ الظلامِ، مُعَبِّرا^(٣)
في شَمْلَةٍ وَزَيَّيَّةٍ، فتأزرا^(٤)

(١٠٤)

أفلاكٌ تُدارُ

وأراكةٍ ضربتُ سماءٍ، فوقفنا،
حَفَّتْ بدَوَحَتِهَا مجرَّةٌ جَدُولِ،
وكأنها، وكأنَّ جَدُولَ مائِها،
زَفَّ الزُّجَاجُ بها عروسَ مُدامَةٍ
في روضةٍ جنحُ الدُّجى ظلُّ بها،
غَنَاءَ يَنْشُرُ، وشيهُ، البَزَّازُ لي
قامَ الغناءُ بها، وقد نضحَ النَّدى
والماءُ، من حَلِي الحَياءِ، مقلِّدُ،

تَنَدَى، وأفلاكُ الكؤوسِ تُدارُ
نَثَرْتُ عليه، نُجومِها، الأزهارُ
حَسَناءُ شُدَّ، بِخَصَرِها، زِنَارُ
تُجَلَى، ونُوارُ العُصونِ نِثارُ
وتَجَسَّمتُ، نَوراً، بها الأنوارُ
فيها، وَيَفْتَقُ، مِسْكَه، العِطَارُ^(٥)
وَجَهَ الثَّرَى، واستيقَظَ الثُّوارُ
زَرَّتْ عليه جُيوبِها، الأشجارُ

(١) ضاف الرداء: طال - عصفرا: صار بلون العصفرا، وهو شبه أصفر اللون.

(٢) النَّقَاب: القناع، تجعله المرأة على مارن أنفها وتستتر به وجهها - أقمر: تكشف عن قمر.

(٣) المصنَدل: ما طيب بالصنَدل - والصنَدل جنس شجر هندي أبيض الزهر، خشبه طيب الرائحة - الخلع: الأثواب - معبِّرا: المطيب بالعنبر وهو من الطيوب التي يميل لونها الأصفر إلى السواد - والبيت ينطوي على افتنان في التشبيه فقد مثل ضوء الصباح بالصنَدل لبياضه وسواد الليل بالعنبر لميله إلى السواد.

(٤) الشملة: ما يلتف به من الثياب - الوردية: الحمراء اللون - تأزرا: لبس الإزار، وهو الرداء.

(٥) البزاز: بائع البز، والبز الثياب من قطن أو كتان.

(١٠٥)

ما شاء الهوى

كتبْتُ، وقلبي، في يدك، أسيرُ يُقيمُ، كما شاء الهوى، ويسيرُ
وفي كلِّ حينٍ، من هَواك وأدمعي، بكلِّ مكانٍ، روضةً وغديرُ

(١٠٦)

يُقَبِّلُ ثَغْرَهُ

يصف ساقياً أسود اللون فشَبَّهه بآبن الليل أو بكيس من
الفحم.

رُبَّ ابْنِ لَيْلٍ سَقَانَا، والشمس تَطْلِعُ غُرَّةً^(١)
فَظَلَّ يَسْوَدُ لَوْنَا، والكأسُ تَسْطَعُ حُمْرَةَ
كَأَنَّهُ كَيْسُ فَحْمٍ، قَدْ أُوقِدَتْ فِيهِ جَمْرَةَ^(٢)
وَلِلْمُدَامِ مُدِيرُ، يُشْبِهُ جَمْرَةَ خَمْرَةَ
تَضَاحَكْتَ عَنِ حَبَابِ، يَقْبَلُ الْمَاءَ ثَغْرَةَ^(٣)
فَظَلْتُ أَخْذُ يَاقوتَةَ، وَأَصْـرِفُ دُرَّةً^(٤)
حَتَّى تَشَيَّبْتُ غُصْنَا، وَاصْفَرَّتِ الشَّمْسُ نَقْرَةَ^(٥)
وَارْتَدَّ لِلشَّمْسِ طَرْفُ، بِهِ مِنَ السُّقْمِ فَتْرَةَ
يَجْوُلُ لِلغَيْمِ كُحْلُ فِيهِ، وَلِلقَطْرِ عِبْرَةَ

(١) أراد بآبن الليل: الساقى الأسود اللون.

(٢) كأنه: أي الساقى وقوله: كأنه كيس فحم: من باب التشبيه لانحناء ظهره واسوداد لونه.

(٣) الحباب: ما يعلو المدام والماء ونحوها من فقاقيع بيضاء.

(٤) أراد بالياقوتة: الخمر لاحمرارها وأراد بالدرّة الحباب لبياضه.

(٥) النقرة(هنا): سبيكة الذهب.

(١٠٧)

حَمَامَةٌ أَيْكَةٌ

ونشوان غتته حمامة أَيْكَةٍ،
فهَبَّ، وريحُ الفجرِ عاطرةُ الجنى،
وطافَ بها، والليلُ قد رثَّ بُردُه،
وأصغى إلى لحنِ فصيحٍ يهزُّه،
تَهَشُّ إليه النفسُ، حتى كأنه،
على حينَ طرفِ النجمِ قد همَّ أن يكرى^(١)
لطيْفَةُ مَسِّ البَرْدِ، طيْبَةُ المَسْرَى
وللصبحِ في أخرى الدجى منكبٍ يعرى^(٢)
كما هزَّ نَشْرُ الرِّيحِ رِيحَانَةَ سَكْرَى
على كِبِدِ نَعْمَى، وفي أُذُنِ بُشْرَى

(١٠٨)

رَشْفَةٌ

وليلٍ طرقتُ المالكِيَّةَ، تحته،
فخالطتُ أطرافَ الأسنَةِ أنجماً،
فلم يكُ إلا رَشْفَةٌ واعتناقَةٌ؛
أجَدَّ، على حُكْمِ الشَّبَابِ، مَزَارَا
ودُسَّتْ لِهَالَاتِ البَدْوَرِ دِيَارَا
ويُعجِبُنِي أَنِّي أَعُفُّ إِزَارَا

(١٠٩)

يَسْرِي فِي فَرْوَةٍ

يصف ذئباً طاف به وهو سار وسط الظلماء
يَسْرِي، ولا فَلَكَ بِهَا دَوَّارٌ^(٣)
في كَفِّ زَنْجِيِّ الدُّجَى، دِينَارُ
دُوَلَا، كما يَتَمَوَّجُ التِّيَّارُ^(٤)
ومَفَازَةٌ، لا نَجْمَ فِي ظَلْمَائِهَا
تتلهَّبُ الشُّعْرَى بِهَا، وكأنها،
تَرْمِي بِهِ الغِيطَانَ فِيهَا والرُّبَى،

(١) يكرى: ينام، من الكرى وهو النوم.

(٢) البرد: الثوب، ورث برده: بلي: المنكب: الكتف: للصبح منكب يعرى: كناية عن انبلاج الصبح وطلوع الفجر.

(٣) المفازة: الفلاة الخالية من الماء والإنس.

(٤) الغيطان: جمع غوطة، الأرض الكثيرة الشجر والماء - دولا: أي بصورة متداولة.

قَدْ لَفَّنِي فِيهَا الظَّلَامُ، وَطَافَ بِي
 طَرَاقُ سَادَاتِ الدِّيَارِ، مُسَاوِرٌ،
 يَسْرِي، وَقَدْ نَضَحَ التَّدَى وَجَهَ الصَّبَا،
 فَعَشَوْتُ فِي ظَلْمَاءٍ، لَمْ تُقَدِّحْ بِهَا،
 وَرَفَلْتُ فِي خُلُجٍ عَلَيَّ مِنَ الدُّجَى،
 وَاللَّيْلُ يَقْضِرُ خَطْوَهُ، وَلرَبِّمَا
 قَدْ شَابَ مِنْ طَرَفِ المَجْرَّةِ مَفْرِقٌ

(١١٠)

فُتَاتُهُ مِسْكِ

يصف الخال في صحن خدَّ المحبوب
 وطوراً يحييني بآسِ عِذَارٍ (٥)
 شَمَمْتُ عَلَيْهَا نَفْحَةَ لِعَرَارٍ (٦)
 فُتَاتَةَ مِسْكِ، فَوْقَ جُذُودِ نَارٍ

أَلَمَّ يُسْقِينِي سُلَافَةَ رِيقِهِ،
 فَنِلْتُ مُرَادَ النَّفْسِ مِنْ أَقْحَوَانَةٍ،
 وَوَجِهٍ تَخَالَ الخَالَ، فِي صَحْنِ خَدِّهِ،

(١١١)

ضَيْفُ طَارِقٍ

يَا حَبَّبَا، وَالطَّيْفُ ضَيْفُ طَارِقٍ،
 طَيْفٌ عَلَى شَحِطٍ أَجَدَّ مَزَارَا (٧)

(١) الذئب المساور: الجسور على الناس، أيضاً: السوار: شارب الخمر الذي يواثب نديمه إذا سكر.

(٢) يسري: يسير ليلاً - يصف ما أصابه من اقشعرار في تلك الليلة الباردة.

(٣) عشا إلى النار: قصدها.

(٤) رفل: ماس زهواً - الخلع: الأثواب - شبه النجوم بأزرار الثوب للمعانها وسط ظلام الليل.

(٥) السلافة: الخمر، والمراد خمرة ريق المحبوب.

(٦) العرار: زهر البهار الطيب الرائحة.

(٧) الشحط: التوى، البعد.

تلكوي الشَّمَالُ به قضيباً، رَبِّمَا
فَلَمْتُ، فِيمَا قَدْ لَمْتُ، عَلاَقَةٌ،
مَا إِنْ دَرَيْتُ، وَقَدْ نَعِمْتُ بِلَثْمِهِ،
عَاطَى بِسُوسَانٍ، هُنَاكَ، عَرَارَا
خَدّاً يَسِيلُ مَعَ الْعُقَارِ عُقَارَا
مَاذَا رَأَيْتُ أَجِنَّةً أَمْ نَارَا

(١١٢)

يَجْرَحُنِي طَرْفُهُ

يصف فاتنة قلبه، تميمس بأعطافها كشجرة بان فينانة ظليلة .

يا بانة، تهتز، فينانة،
الله أعطافك من خوطية؛
علقت طرفاً فاتناً، فاتراً،
ونابلاً، مستوطناً بابلاً،
إذا رنا يجرحني طرفه،
فيصبغ الدر عقيقاً به،
وجهه به من بدع الحسن ما
قد طبع الحسن به درهماً،
من يلق من لاعج وجد به
تحفيق أحشائي به دوحه،
تدور بالأعين، من وجهه،
فلي به عين مجوسية،
وروضة، تنفح، معطاراً^(١)
وحبذا نورك نواراً^(٢)
منك، وغراً منك غراراً
نفاك لحظ العين، سحاراً^(٣)
لحظته أجرحه ناراً
وأصبغ الثوار أزهاراً
يقيم، للعشاق، أعذاراً
تسبك منه العين ديناراً
ريحاً، فقد لاقيت إعصاراً
وتنثر الأعين نواراً
كعبه حسن، حيثما داراً
تعبد، من وجته، ناراً

(١) البانة: جمع البان: شجر لين تشبه به قدود النساء - الفينانة: الشجرة الظليلة وأراد هنا المرأة الطويلة الشعر من باب الاستعارة المكنية.
(٢) الخوطة: استعارة للمرأة الناعمة.
(٣) النابل: الطرف (أي العين) الذي يرمي بلحظه نابلاً.

(١١٣)

العَيْشُ مُدَامٌ

إِنَّمَا العَيْشُ مُدَامٌ أَحْمَرٌ، قَامَ يَسْقِيهِ غَلَامٌ أَحْوَرٌ
وعلى الأقداح والأدواح، مِنْ حَبَبٍ، نَوْرٌ، وَتَبْرٌ أَصْفَرٌ
فكَأَنَّ الدَّوْحَ كَأَنَّ أَرْبَدَتِ؛ وَكَأَنَّ الكَاسَ دَوْحٌ مُزْهَرٌ

(١١٤)

رَفَفْتُهَا بِكَرَأٍ

نَدَى النسيمُ، فما أَرَقَّ وأعطرا؛ وَهَذَا القَضِيبُ، فما أَعْضَّ وَأَنْضَرَا
فَرَفَفْتُهَا بِكَرَأٍ، إِذَا قَبَلْتَهَا أَلَقْتَ، على وجهي، قِنَاعاً أَحْمَرَا
ورداً شمس، قد تمزَّق، أَصْفَرَا وَرَفَلْتُ بَيْنَ قَمِيصٍ غَيْمٍ هَلْهَلِ،
رَطْباً، وَتَفَتَّقَ، مِنْ غَمَامٍ، عَنَبَرَا والريحُ تَنْخُلُ، مِنْ رَذَاذٍ، لَوْلَوْأ

(١١٥)

لَثَمْتُهَا كَلْفًا بِهَا

يصف زهرة كلف بها.

أرأيتَ أَيَّ بُنْيَـةٍ، تُعْزِي إِلَى الرُّوضِ النُّضِيرِ^(١)،
أهدى الـرَّيْبِعُ صَغِيرَةً، مِنْهَا، تَهَشُّ إِلَى الكَبِيرِ
فلثمتُهَا كَلْفًا بِهَا؛ وَالشَّيْخُ يَكْلِفُ بِالصَّغِيرِ

(١١٦)

لَاذَ بِهِ النَّسْرُ

يصف ركوبه متن الليل، وفي الأفق جبل شامخ الذرى...

وصَهْوَةٌ عَزِمَ قَدْ تَمَطَّيْتُ، وَالذُّجَى مُكَبِّ، كَأَنَّ الصَّبْحَ، فِي صَدْرِهِ، سِرٌّ^(٢)

(١) البنية: كناية عن الزهرة بوصفها ابنة الطبيعة.

(٢) الصهوة: ظهر المظية، كنى بها عن سعيه إلى المطامح - تمطى: امتطى، ركب.

وقد أَلْحَفْتَنِي، شَمْلَةَ الظِّلِّ، شَمَالٌ،
 وَأَشْرَفَ طَمَاحُ الذَّوَابِ، شَامِخٌ،
 وَقَوْرٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي، كَأَنَّمَا
 تَمَهَّدَ مِنْهُ كُلُّ رُكْنٍ رَكَانَةً،
 وَلَاذَ بِهِ نَسْرُ السَّمَاءِ، كَأَنَّمَا
 فَلَـمِ أَدْرٍ مِنْ صَمْتٍ لَه، وَسَكِينَةٍ،
 يَـقْلِقُلُ أَحْشَاءَ الأَرَاكِ بِهَا دُـعْرٌ^(١)
 تَنْطَقُ، بِالجَوَازِءِ، لَيْلًا، لَهُ خَصْرٌ^(٢)
 يُصِيخُ إِلَى نَجْوَى، وَفِي أذْنِهِ وَقْرٌ
 فَقَطَّبَ إِطْرَاقًا، وَقَدْ ضَحِكَ البَدْرُ
 يَحِنُّ إِلَى وَكْرٍ بِهِ ذَلِكَ النَسْرُ
 أَكْبَرَةُ سِنِّ وَقَّرَتْ مِنْهُ أَمْ كِبَرٌ؟

(١١٧)

فَضَحَ الغَزَالَةَ

وَمُهْفَهْفٍ طَاوِي الحَشَا،
 مَلَأَ العَيُونََ بِصُورَةٍ،
 فِإِذَا رَنَّا، وَإِذَا مَشَى،
 فَضَحَ الغَزَالَةَ، وَالعَمَامَةَ،
 خِنِثِ المَعَاطِفِ وَالتَّنْظُرِ^(٣)
 تَلَيَّتْ مَحَاسِنُهَا سُـوَرٌ
 وَإِذَا شَدَا، وَإِذَا سَفَّرَ^(٤)
 وَالعَمَامَةَ، وَالقَمَرِ^(٥)

(١١٨)

بَحْرُ لَيْلٍ طَمَا

يَا لَيْلَ وَجِدِ بَنَجِدِ،
 وَمَا لِدَمْعِي طَلِيقًا،
 أَمَا لَطِيفِكَ مَسْرَى؟
 وَأَنْجِمُ اللَّيْلِ أَسْرَى؟

(١) أَلْحَفْتَنِي: أَلْبَسْتَنِي - الشَّمْلَةُ: الرِّدَاءُ وَمَا يَلْتَفِ بِهَ الجِسْمِ - الشَّمَالُ: رِيحُ الشَّمَالِ - الأَرَاكِ: شَجَرٌ يَسْتَاكُ بِهِ، جَمْعُ أَرَاكَةٍ.

(٢) أَرَادَ بِالأَشْرَفِ: الجَبَلَ العَالِي المَشْرَفِ - وَقَوْلُهُ: طَمَاحُ الذَّوَابِ اسْتِعَارَةٌ لِقَمَمِهِ العَالِيَةِ - الجَوَازِءِ: نَجْمٌ.

(٣) المَهْفَهْفُ: الدَّقِيقُ الخَصِرُ - طَاوِي الحَشَا: ضَامِرٌ - خِنِثِ المَعَاطِفِ: لَيْتِنِ الأَعْطَافِ.

(٤) رَنَا: نَظَرَ - سَفَّرَ: كَشَفَ عَنِ مَحَاسِنِ وَجْهِهِ.

(٥) وَصَفَ فِي هَذَا البَيْتِ مَفَاتِنَهُ وَشَبَّهَهُ بِالغَزَالَةِ جَيِّدًا وَبِالعَمَامَةِ بِيَاضًا، وَبِالحَمَامَةِ رِقَّةً وَصَوْتًا، وَبِالقَمَرِ حَسَنًا وَطَلْعَةً.

وقد طمى بحر ليل، لم يُعقب المَدَّ جَزْرًا
لا يُعْبُرُ الطَّرْفُ، فيه، غيَّرَ المَجْرَةَ جِسْرًا

(١١٩)

بِتُّ أَنَا جِيه

وأغيد حُلُو اللَّمَى، أَمَلِدِ، يُذَكِّي عَلَى وَجْتِهِ الْجَمْرُ^(١)
بِتُّ أَنَا جِيه، وَلَا رِيْبَةً، تَعَلَّقُ بِي فِيه، وَلَا وَزْرُ^(٢)
والليلُ سِتْرٌ، دُونَنا، مُرْسَلٌ، قَدْ طَرَّرَتْهُ أَنْجَمٌ حُمْرُ
أَبْكِي، وَيَشْجِينِي، فِي وَجْتِي وَجْتِي وَجْتِي
وَأَقْرَأُ الْحُسْنَ بِهِ سُورَةَ، كَانَ لَهَا، مِنْ وَجْهِه، عَشْرُ^(٣)
وَبَاتَ يَسْقِينِي، تَحْتَ الدُّجَى، مَشْمُولَةً، يَمْزُجُهَا الْقَطْرُ
وَابْتَسَمْتُ، عَنِ وَجْهِه، لَيْلَةً، كَأَنَّهُ، فِي وَجْهِه، ثَغْرُ

(١٢٠)

زَوَّارٌ مَعَ اللَّيْلِ

يصف الذئب في ليلة داجية .
سَرَى يِرْتَمِي، رَكْضًا بِهِ، كُلَّ مَوْجَةٍ، تَرَامِي بِهَا بَحْرًا مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرُ^(٤)
وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا طَرِيرٌ مُهَنَّدٌ، وَمُعْتَدِلٌ لَدُنَّ الْمَهْرَةَ أَسْمَرُ^(٥)
وَأَطْلَسُ زَوَّارٌ، مَعَ اللَّيْلِ، أَغْبَشُ، سَرَى خَلْفَ أَسْتَارِ الدُّجَى، يَتَنَكَّرُ^(٦)

(١) اللمى: سمرة الشفاه - أملد: ناعم - يذكي: يوقد - يذكي الجمر: شبه حمرة وجنتيه بالجمر المتوقع.

(٢) الريبة: الشك - الوزر: الذئب العظيم.

(٣) في هذا البيت تلميح إلى آيات القرآن العواشر في نهاية العشر.

(٤) بحر الليل الأخضر: أي الليل الأسود.

(٥) المهند الطرير: السيف المشحوذ - اللدن الأسمر: الرمح اللين.

(٦) الأطلس: الذئب الأغبر اللون المائل إلى السواد - الأغبش: أي لونه أبيض يخالطه سواد.

تثاءبَ من مسّ الطوى، فهو يشتكي، فيعوي، وقد لفته نكباء صرصر^(١)
 ودون أمانيه شرارة لهذم، يُقلبُ فيها مثلها، حينَ ينظر^(٢)
 فمن جوعَةٍ تُغريه بي، فهو مُدّن؛ ومن روعةٍ تُشبه عني، فيقصر^(٣)

(١٢١)

أيها الصبُّ

يا أيها الصبُّ المعنى به، ها هولا خلّ، ولا خمرُ
 سوّد ما ورّد من خدّه، فعاد، فحمأ، ذلك الجمرُ

(١٢٢)

السهي والقمر

بهرتِ جمالاً، فرُعتِ البصر، وذُبتُ سقاماً ففُتُ النظر^(٤)
 فصرتُ، إذا أمكنت لقيّة، أريك السهي، وتريني القمر^(٥)

(١٢٣)

كأنه مركب

تقبّل المهر من أخي ثقيّة، ارسلَ ريحاً به إلى مطرٍ
 مشتملاً بالظلام من شيّة، لم يشتمل ليها على سحر^(٦)
 منتسباً لونه وغرّته، إلى سوادِ الفؤادِ، والبصرِ

(١) الطوى: الجوع - النكباء: الريح - الصرصر: الباردة.

(٢) اللهزم: سنان الريح.

(٣) مدّن: دان، قريب - الروعة: الفزع - تشنيه: تمنعه من الإقدام.

(٤) راعت البصر: من الروعة وهي شدّة الافتتان - فتّ النظر: كناية عن نحوله وسقمه الشديد الذي جعله خافياً عن الأنظار.

(٥) اللقية: اللقاء - السهي: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

(٦) الشية: العلامة المميّزة.

تَحْسِبُهُ، مِنْ عُلَاكَ، مُسْتَرْقَاً،
 حَنَّ إِلَى رَاحَةِ تَفِيضِ نَدَى،
 تَرَى بِهِ، وَالنَّشَاطُ يُلْهِبُهُ،
 لَوْ حَمَلَ اللَّيْلُ حُسْنَ دُهُمَّتِهِ،
 أَحْمَى مِنَ النِّجْمِ، يَوْمَ مَعْرَكَةِ،
 اسْوَدَّ وَابْيَضَّ فَعُلَّهُ كَرَمَاً،
 كَأَنَّهُ، وَالنَّفْسُ تَعَشَّقُهُ،
 فَازْدَدَ سَنَا بِهَجَةٍ بِدُهُمَّتِهِ،
 وَمِثْلُ شُكْرِي، عَلَى تَقْبُلِهِ،
 بِهَجَةٍ مَرَأَى، وَحُسْنَ مَخْتَبِرِ
 فَمَا لَ ظِلَّ بِهِ عَلَى نَهْرِ
 مَا شَتَّ مِنْ فَحْمَةٍ، وَمِنْ شَرِّ (١)
 أَمْتَعَ طَرْفَ الْمُحِبِّ بِالسَّهْرِ (٢)
 ظَهْرًا، وَأَجْرَى بِهِ مِنَ الْقَدْرِ (٣)
 فَالْتَفَتَ الْحُسْنُ فِيهِ عَنِ حَوْرِ
 مُرَكَّبٍ مِنْ مَحَاسِنِ الصُّوْرِ
 فَاللَّيْلُ أَذْكَى لُغْرَةَ الْقَمَرِ
 يَجْمَعُ بَيْنَ النَّسِيمِ وَالزَّهَرِ

(١٢٤)

فِي هَوَى مِثْلِهَا

وَبَيضاءَ، فِي صَفراءَ، تَحْمِلُ نَفْحَةَ
 خَلَعَتْ رِداءَ الصَّبْرِ فِيهَا عِلاقَةَ،
 وَلَا غَرَوًا أَنْ تَرَوِي بِهَا عَيْنُ نَاطِرِ،
 تَنْفَسُ عَنْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ وَالْجَمْرُ (٤)
 وَيَحْسُنُ، إِلَّا فِي هَوَى مِثْلِهَا، الصَّبْرُ
 وَباطِنُها ماءٌ وَظاهِرُها خَمْرُ (٥)

(١٢٥)

الْفَرَسِ النَّارِي

وَحُسامٍ بِكَفِّ أَشْوسَ، أَجْرَى فِي الطَّلَى مَاءً، وَأَضْرَمَ نارَةَ (٦)

(١) من فحمة: إشارة إلى سواد لونه - الشرر: كناية عن شدة جريه وحركته.

(٢) الدهمة: السواد.

(٣) أحمى: أكثر حماية - أجرى: أكثر سرعة.

(٤) المندل: عود البخور.

(٥) تروي: ترتوي.

(٦) الأشوس: الناظر بمؤخر عينه - الطلى: جمع الطلاة: الجيد.

عَطَفَ الضَّرْبُ مِنْهُ عَارِضَ شَيْبٍ،
فَوْقَ وِرْدٍ، مَحْجَلٍ، مَزَجَ الْحُسْنَ،
خَلَّصَتْهُ نَارُ الطَّيْبَةِ سَبْكَأً؛
قَدَحَ الرِّكْضُ زَنْدَهُ فَاسْتَطَارَتْ،
يَضْحَكُ الْحَلِيُّ، فَوْقَهُ، عَنَ أَقْحَ،
فَانْجَلَى يَخْضِبُ النَجِيعُ عِذَارَةَ^(١)
بِمِرَّاهِ، مَاءَهُ وَعُقَارَةَ^(٢)
وَأَسَالَتْ لُجَيْنَهُ، وَنَضَارَةَ^(٣)
فِي دُخَانِ الْعَجَاجِ، مِنْهُ، شِرَارَةَ
نَثَرَتْهُ الصَّبَا عَلَى جُلْنَارَةَ^(٤)

(١٢٦)

مَلَأَ الْمَسَامِعَ مَحَاسِنًا

وَمَغْرَدٌ، هَزِجَ الْغِنَاءِ، مَطْرَبٌ،
سَفَرَ الشَّبَابُ لِنَابِهِ عَنِ غُرَّةٍ،
غَازَلْتُهُ حَيْثُ الْمُدَامَةُ وَالْحَبَابَةُ
وَالْمُزْنُ طِرْفٌ، جَالٍ يَصْهَلُ، أَشْهَبٌ؛
فَكَأَنَّهُ، وَالسُّكْرُ يَلْوِي عِطْفَهُ،
مَلَأَ الْمَسَامِعَ وَالْعُيُونَ مَحَاسِنًا،
يُلْقَى بِهِ لَيْلُ التَّمَامِ، فَيَقْصُرُ^(٥)
يُرْمَى بِهَا لَيْلُ السَّرَارِ، فَيَقْمِرُ^(٦)
وَجَنَّةٌ تَدْمَى وَعَيْنٌ تَنْظُرُ^(٧)
وَالْبَرْقُ جُلٌّ قَدْ تَمَزَّقَ أَحْمَرُ^(٨)
غُصْنٌ تُعَانِقُهُ الرِّيَّاحُ، مُنَوَّرٌ
فَلَمْ أَدْرَ! هَلْ أَضْغِي إِلَيْهِ أَمْ أَنْظُرُ

(١) العارض هنا: الخد والعارض أصلاً السحاب - يخضب: يصبغ - النجيع: الدم -، العذار أصلاً: جانب الوجه والمراد هنا عذار السيف.

(٢) الورد: الفرس المائل إلى الاحمرار - العقار: الخمر.

(٣) اللجين: الفضة - النضار: الذهب.

(٤) الحلبي: السرج أو ما يماثله - الجلنار: زهر الرمان شبه به لون الفرس التاري.

(٥) يصف مغنياً حسن الصوت من سمعه ليلاً لم يحسن بطول الليل.

(٦) ليل السرار: الليلة الأخيرة من الشهر القمري، وهي غير مقمرة.

(٧) المدامة: الخمر - الوجنة: صفحة الوجه وقوله تدلى: إشارة إلى إحمرار خديه.

(٨) الجلل: السرج أو ما يشبهه.

(١٢٧)

هِيَ الظَّبْيُ

وقوراء بيضاء المحاسن، طلقة،
يزرُّ عليها الصُّبحُ، نُورا، قميصه،
هزرت، لأغصان القُدودِ، معاطفاً
فسقياً لأيام، هناك، تقلَّصت
إذا شئتُ غنَّاني وشاخُ وجليَّةُ
هي الظَّبْيُ طَرْفاً أحوراً، وملاحظاً
أفاضت، على عطفِ القضيبيِّ، ملاءة؛
وحيثُ بِأسٍ إثرِ كاسٍ تُديرُها،
لبستُ بها اللَّيْلَ البهيمَ نهاراً^(١)
وقد لبسَ الجَوْ الظَّلَامَ صداراً^(٢)
بها، ولرُمانِ النهودِ ثماراً
ذيولاً على حُكْمِ الشَّبابِ قصاراً
لِحسنا، غصتُ دُمُجاً وسواراً
مِراضاً، وجيداً أتلعاً، ونفارا^(٣)
ولفتت، على ظهرِ الكثيبِ، إزاراً^(٤)
فقبَّلتُ جيداً مِنْهُمَا وعذاراً

(١٢٨)

خَمْرُ الصِّبَا

وضيف طيفِ أمِّ من هاجر،
وقد جلا الحُسنُ لَهُ سُنَّةً،
وصحفَةٌ تُشَرُّ مِنْ صفحة،
زار، وريحُ الفَجْرِ قد قلَّصتُ
وقلَّدتُ أجيادَ تلكِ الرُّبَى
والصبحُ قد مزَّق، عن صدره،
باتَ به المَشْكُوُّ مشكوراً
يلقى بها المغذولُ معذوراً^(٥)
رأيتُ فيها الحُسنَ مسطوراً
ذيلَ غَمَامٍ، باتَ مَجْرُوراً
دُراً، مِنَ النُّوَارِ، مَنُشُوراً
جَيْبَ ظَلَامٍ، باتَ مَزْرُوراً

(١) قوراء: مستديرة، والمراد الدارة القوراء وهي التي يصفها في هذه الأبيات.

(٢) الصدار: القميص الساتر للصدر وليس له كمان.

(٣) الجيد الأتلع: العنق العالي المشرب.

(٤) يقول: إن قامتها المديدة كالقضيبي وردفاها كالكثيب من الرمل لامتلائهما.

(٥) السنة: المحيّا، الوجه.

فانجابت الدُّهْمَةُ عَنْ شُهْبَةٍ، وَآلَتِ الْمِسْكَةُ كَافُورًا^(١)،
 بِحَيْثُ خَيْلُ اللَّيْلِ مَطْرُودَةٌ،
 ثُمَّ مَضَى يُعْشَى بِهِ خَاطِرِي
 كَمَا انْتَنَى غِصْنُ النَّقَا أَمْلَدًا،
 قَدْ أَسْكَرَتْ خَمْرُ الصَّبَا عِطْفَهَ،
 مُعَرِّبِدًا يَجْرَحُنِي طَرْفَهَ،
 وَأَرْسَلَ اللَّحْظَةَ مَكْسُورَةً
 وَسَالَ قَطْرُ الدَّمْعِ فِي خَدِّهِ،
 وَتَقَتَّ الْجُوذُرُ مَدْعُورًا^(٢)
 فَمَادَ، فِي بُرْدِيهِ، مَخْمُورًا
 وَكَانَ ذَنْبُ الشُّكْرِ مَغْفُورًا
 مِنْ تَرْفٍ، وَالْخُطُوءُ مَقْصُورًا
 فَرَفَّ رَوْضُ الْحُسْنِ مَمْطُورًا

(١٢٩)

شُعْلَةٌ نَارٍ

يصف سَيْفًا باترًا فيبدو له لساناً من النار

وْمُرْهَفٍ كِلْسَانِ النَّارِ، مُنْصَلِتٍ،
 تَخَالَ شُعْلَةَ نَارٍ مِنْهُ طَائِرَةٌ
 يَمْضِي، فِيهِوِي، وَرَاءَ النَّقْعِ، مُلْتَهَبًا،
 يَعْشَى، فَتَحْرُقُ نَارٌ فِيهِ مُوقَدَةٌ
 يَشْفِي مِنَ الثَّارِ، أَوْ يَنْفِي مِنَ الْعَارِ^(٣)
 فِي عَارِضٍ، مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ، مَوَارٍ^(٤)
 كَمَا تَصَوَّبَ، يَجْرِي كَوَكْبٍ سَارِي^(٥)
 تَخْمِي، وَيَغْرُقُ مَاءً، فَوْقَهُ، جَارِي

(١٣٠)

نَثَرَتْ ثَمَارًا

يَا بَارِقًا قَدَحَ الزُّنَادَ، وَعَارِضًا مُتَهَلِّلًا رِكْبَ الرِّيَّاحِ فَسَارًا^(٦)

(١) الدهمة: العتمة والظلام - آلت: صارت وتحولت - المسكة: سواد الليل بجامع السواد - الكافور: بياض النهار بجامع الأشراق.

(٢) الغصن الأملد: الناعم - الجوذور: ولد البقرة الوحشية.

(٣) المرهف: السيف الحاد المضرب - منصلت: مسلول.

(٤) تخال: تحسب - العجاج: الغبار - الموار: المتحرك بقوة.

(٥) النقع: الغبار - تصوب: انحدر.

(٦) العارض: السحاب الممطر.

قُولًا لِأَحْوَى، بِاللَّوَى، مُتَنَصِّرٍ، عَقَدَ التُّحُولُ، بِخَضْرِهِ، زَيْتَارًا^(١)
 يَا غُصْنَ حُسْنٍ قَامَ يَنْشُرُ فَرَعَهُ وَرَقًا، وَيَفْتِقُ نَوْرَهُ نُوَارًا^(٢)
 مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ هَصَرْتُكَ لَيْلَةً، فَتَنَزَّتْ، مِنْ قَبْلِ، عَلَيَّ ثَمَارًا^(٣)

(١٣١)

أَتْتَنِي بِهِ النَّارُ

وَمِثْلُكَ مَدَّ يَمِينَ النَّدَى، بِعَلَقٍ يُطِيلُ عِنَانَ النَّظَرِ^(٤)
 بِأَزْرَقَ سَالَتْ بِهِ صُفْرَةٌ، كَمَا طَرَزَ الْبَرْقُ ثُوبَ السَّحَرِ
 أَتْتَنِي بِهِ النَّارُ فِي صُورَةٍ، أَرَى لِلجِنَانِ عَلَيْهَا صُورَ
 فَطَرَفُكَ مَا رَاقَ مِنْ مَسْحَةٍ عَلَيْهِ، وَلِلشَّمْسِ نُورُ الْقَمَرِ
 فَإِنَّ تَكُ دَهْمًا لِيَالِي النَّوَى، فَإِنَّ تَحَايَاكَ فِيهَا غُرَزُ^(٥)

(١٣٢)

رَقَصَ الْقَضِيبُ بِهَا

مَجْلِسُ شَرَابٍ فِي جَنَابَاتِ حَدِيقَةٍ فِيحَاءِ
 رِيحٌ، تُلْفُ فَرُوعَهَا، مِعْطَارُ^(٦) وَصَقِيلَةَ الْأَنْوَارِ تَلْوِي عَطْفَهَا
 سَحَابٌ أَذْيَالِ الشُّرَى، سَحَارُ^(٧) عَاطِي بِهَا الصَّهْبَاءِ أَحْوَى أَحْوَرُ،
 وَالنُّورُ عِقْدٌ، وَالغُصُونُ سَوَالِفُ، وَالجِدْعُ زَنْدٌ، وَالخُلَيْجُ سِوَارُ^(٨)

(١) الأحوى: ذو الحوة وهي سمرة مستحبة في الشفة - النحول: ضمور الخصر.

(٢) الفرع: الشعر - النور: الزهر.

(٣) هصرتك: من هصر الغصن: أي لواه باتجاهه، وهو يلمح هكذا إلى اشتهاه قرب الحبيب وعناقه.

(٤) العلق: النفيس من كل شيء.

(٥) الليالي الدهم: السوداء - التحايا: جمع تحية السلام - الغرر: البيض.

(٦) صقيلة الأنوار: أي بيضاء الأزهار.

(٧) الصهباء: الخمر - سحار: فاتن.

(٨) النور: الزهر - السوالف: شعر جانبي الوجه - الجدع: أصل الشجرة.

بحديقةٍ ظلَّ اللَّمى ظلًّا بها، وتطلَّعتِ شَنبًا بها الأنوارُ^(١)
 رقصَ القضيْبُ بها، وقد شربَ الثرى، وشدا الحمامُ، وصفَّقَ التَّيارُ
 غَناءَ الحفِّ عطفَها الورقُ النَّدي، والتفَّ في جنَّباتِها النَّوارُ^(٢)
 فتطلَّعت، في كلِّ موقعٍ لحظةٍ، من كلِّ عُصن، صفحةً وعذارُ

(١٣٣)

ومائِسةٍ

ومائِسةٍ تُزهى، وقد خلعَ الحيا، عليها، حُلَى حُمراً، وأرديةً خُصراً^(٣)
 يذوبُ لها ريقُ الغمامةِ فِضةٍ، ويجمُدُ، في أعطافها، ذهباً نَصراً

(١٣٤)

أروَع، أمجدَ

وأروَع، أمجدَ، قرَّظْثُهُ؛ ويبيضُ اللَّالي لبيضِ النَّحورِ^(٤)
 وشعَّعتِ الخمرُ أخلاقه، فأطَّلَعَهَا غُرراً للبدورِ
 وهاتيكِ آدابُه لُجَّةٌ، فمن لي، وقد زخرتُ، بالعُبورِ؟
 وما أرغيتِ الكأسَ في كَفِّه، ولكنها ضحكك عن سرورِ
 إذا ما جرى، فوقَ قُرطاسِه، يَراعُ، جرى جبرُه بالحبورِ
 فنلثم أوضاعَ تلك الرِّقاعِ، ولُعمسَ مَراشفِ تلك السُّطورِ^(٥)
 فهل نَقُسه من سوادِ اللَّمى، ومُهَرَّقُه من بياضِ الثُّغورِ؟^(٦)

(١) الشنب: بياض الأسنان.

(٢) الحديقة الغناء: الكثيرة الأشجار.

(٣) المائسة: المتمايلة زهواً - تزهى: تتيه إعجاباً - الأردية: الحلل، جمع رداء.

(٤) الأروَع: الذي يثير إعجابك بروعته - قرَّظ فلاناً: مدحه وأطرى محاسنه.

(٥) نلثم: نقبل - المراشف اللعس: الشفاه التي فيها سواد مستحسن.

(٦) النقس: الحبر - اللَّمى: السمرة المستحسنة في باطن الشفة.

(١٣٥)

أَحْجَمْتُ عَنْ لَمَامٍ

بلغه أن أحد أصدقائه غمز من قناته فأنشد:

مُغِيرٍ عَلَى عَرِضِ الصَّدِيقِ، مُغَامِرِ
أَحْلُ بَرَبِعٍ، لِلبَشَاشَةِ، عَامِرِ
وَجَادَتِ بَصَوْبٍ، لِلغَضَاضَةِ، هَامِرِ^(١)
وَلَاكَ بَعْرِضِي، مُضْغَةً، كُلُّ سَامِرِ
بِأَذْكَى ثَنَاءٍ مِنْ أَرِيحِ الْمُجَاهِرِ
فِيكَرْعٍ فِي مَاءٍ، مِنَ الْبِشْرِ، غَامِرِ
كَرَامِ الْحُلِيِّ، وَالْمُتَمَتِّي، وَالْأَوَاصِرِ
وَإِنِّي لَمَطْوِيٌّ عَلَى بُأْسِ عَامِرِ
هَنِيئًا مَرِيئًا، غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرِ
بِصَهْلَةٍ خَوَارِ الْأَعْتَةِ، ضَامِرِ

لَكَ الْخَيْرُ، أَيُّ الْخَيْرِ، فِي رَدِّ صَاحِبِ
يَهْشُ مَعَ اللَّقِيَا إِلَيَّ، كَأَنَّمَا
وَمَهْمَا نَأَى، غَامَتِ عَلَيَّ سَمَاوُهُ،
فَجَرَّ بِلِحْمِي، ظَالِمًا، كُلُّ ذَاكِرٍ؛
وَإِنِّي لِأَلْقَى الرَّكْبَ يَهْبِطُ أَرْضَهُ،
وَيَطْرُقُنِي، ضَيْفًا، مَعَ اللَّيْلِ، طَيْفُهُ،
فَأَغْضَيْتُ إِغْضَاءَ الْكَرِيمِ لِفَتِيَةٍ
وَأَحْجَمْتُ، جُبْنًا، عَنِ لَمَامِ بَعْتَبَةٍ،
وَقَلْتُ، وَحَسَنُ الصَّبْرِ خَيْرٌ مَعْبَةٍ:
وَلَوْ شِئْتُ رَعْتُ الْقِرْنَ، وَالْبَيْدُ بَيْنَنَا،

(١٣٦)

سَدَّدَ بِلَفْظَةٍ

دعا بهذه الأبيات إلى توسيع مدارك أفهام الأطفال:

سَدَّدُ مِرَامِي الطُّفْلِ، فِي شَأْنِهِ،
بِلَفْظَةٍ تَشَدَّدُ بِهَا أَرْزَهُ^(٢)
وَإِنَّ الْمِبَادِي، أَبَدًا، نَزْرَهُ^(٣)
وَالدَّوْحَةَ اللَّفَاءَ مِنْ بَزْرَهُ^(٤)
أَمَا تَرَى النَّيْرَانَ مِنْ شُعْلَةٍ،

(١) الغضاضة: من غَضَّ غضاضة من فلان: وضع من قدره - الهامر: المنصب.

(٢) سَدَّد: صَوَّب - المرامي: الغايات - شَدَّ أَرْزَهُ: أعانته وآزره.

(٣) نَزْرَهُ: قليلة.

(٤) الدَّوْحَةُ اللَّفَاءُ: الضخمة.

(١٣٧)

ارم الكريهة بالكريمة

هذا غرابٌ دُجاكٌ ينعَبُ فازجُرِ، وعُبابٌ ليلكٌ قد تَلاطَمَ فاعْبُرِ
واستَفَّ من نُطفِ النجومِ على السُّرى، والتَفَّ في ورَقِ الظلامِ الأخضرِ^(١)
والبَسَ رِداءَ السِّيفِ، وهو مُطرَرٌّ، تحتَ العِجاجةِ، بالنَّجِيعِ الأحمَرِ
وَأزمِ الكَريهةَ بالكَريمةِ، وارْتَشِفْ صَفوَ الحَيَاةِ مِنَ العِجاجِ الأكدَرِ^(٢)

(١) استف: شرب بكثرة.

(٢) الكريهة: ما هو مكروه - العجاج: الغيرة.

قافية السين

(١٣٨)

فانهض بأمل

رفع ابن خفاجة هذه القصيدة إلى صديقه الفقيه عبدالله محمد
ابن أحمد بن حمدين:

جرزُ مُلاءةَ كلِّ يومِ شامِسٍ؛
واطلُغْ بكلِّ فلاةِ أرضِ غُرَّةَ،
وانزلْ بها ضيفاً لليثِ خادرٍ،
وإذا طعمتَ فمن قنيصِ فلذةٍ؛
والريحُ تُلوي عطفَ كلِّ أراكِ،
وسلِّ الغنى من ظهرِ طرفِ أشقرٍ،
وازجُمْ برأيك شذوقَ ليثِ ضاغمٍ،
وارغبْ بنفسك عن مقامةِ فاضلٍ،
فالحُرُّ مُفتَقِرٌ إلى عزِّ الغنى،
واسحبْ ذؤابةَ كلِّ ليلٍ دامِسٍ^(١)
غراءً، في وجهِ الظلامِ العابسِ
يقريك، أو جاراً لظبيِ كانِسٍ^(٢)
وإذا شربتَ فمن غمامِ راجِسٍ^(٣)
ليِّ السرى، وهناً، لعطفِ الناعِسِ
يطأ القتيلَ، وصدرِ رُمحِ داعِسِ
طلبَ الثراءِ، ونابِ صلِّ ناهِسِ^(٤)
قد قامَ يمثُلُ في خصاصةِ بائِسِ
فقرَ الحُسامِ إلى يمينِ الفارسِ

(١) اليوم الشامس: الساطعة شمسه - الدامس: الحالك السواد.

(٢) الليث الخادر: القايح في خدره - الكانس: الذي لزم كناسه أي بيته.

(٣) القنيص: الصيد المقتنص - الغمام الراجس: السحاب الراعد.

(٤) الناهس: الناهش.

وَإِذَا عَزَمْتَ، فَلَا عَثْرَتَ بِحَادِثِ،
فَأَفْرَعُ إِلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ، رَهْبَةً،
وَاسْتَسْقٍ مِنْهُ، إِنْ ظَمِئْتَ، غَمَامَةً
فَإِذَا رَوَيْتَ بِمَاءِ ذَاكَ الْمُجْتَلِي
مِنْ آلِ حَمْدِينَ الْأُولَى حَلَيْتَ بِهِمْ،
مِنْ أَسْرَةٍ نَشَأُوا غَمَائِمَ أَزْمَةٍ،
مُتَطَلِّعِينَ إِلَى الْحُرُوبِ، كَأَنَّمَا
وَجَرُوا بِمَيْدَانِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
وَجَنُوا ثَمَارَ النَّصْرِ، مِنْ غَرَسِ الْقَنَا،
فَهُمْ لُبَابُ الْمَجْدِ نَجْدَةٌ أَنْفُسِ،
وَهُمْ رِيَاضُ الْحَزَنِ نُضْرَةٌ أَوْجِهِ،
مِنْ كُلِّ أَرْوَعِ رَاعٍ كُلِّ ضَبَارِمِ
خَلَعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ أَكْرَمَ حَلِيَّةِ،
سَلِسُ الْكَلَامِ عَلَى السَّمَاعِ، كَأَنَّهُ
مَا إِنْ يُمَارُ، مِنْ الشَّهَابِ، طَلَاقَةٌ،
تَرَكَ الْأَعَادِي بَيْنَ طَرْفِ خَاشِعِ
وَزَكَ فَلَـمْ يُطْرَفُ بِنَظْرَةِ خَائِنِ،
مُتَقَلِّبٌ مَا بَيْنَ عَزْمِ غَارِسِ

فَرَكِبْتَ مِنْهُ ظَهَرَ صَعِبِ شَامِسِ (١)
تَضَعُ الْعِنَانَ بِخَيْرِ رَاحَةٍ سَائِسِ (٢)
يَخْضَرُّ عَنْهَا كُلُّ عُودٍ يَابِسِ
فَحَذَارِ مِنْ أَلْهُوبِ ذَاكَ الْهَاجِسِ (٣)
قَدَمًا، صُدُورُ كِتَابٍ وَمَدَارِسِ
وَلِرَبِّمَا طَلَعُوا بُدُورَ حَنَادِسِ (٤)
يَسْتَطْلِعُونَ بِهَا وُجُوهَ عَرَائِسِ
وَكَأَنَّمَا رَكِبُوا ظُهُورَ رَوَامِسِ (٥)
بِأَكْفِهِمْ، وَلِنَعْمَ غَرَسُ الْغَارِسِ
وَذَكَاءَ أَلْبَابِ، وَطِيبَ مَغَارِسِ
وَجَمَالَ أَرْدَانِ، وَحُسْنَ مَجَالِسِ
بِأَسَاءِ، وَذَلَّلَ نَفْسَ كُلِّ مُنَافِسِ
يُزْهِى بِهَا، فِي الدَّسْتِ، عِطْفُ اللَّابِسِ
سِنَّةٌ تَرَقَّرَقُ بَيْنَ جَفْنَيْ نَاعِسِ
حَتَّى تُمَدَّ إِلَيْهِ كِفُّ الْقَابِسِ
لَا يَسْتَقِيلُ، وَبَيْنَ رَأْسِ نَاكِسِ
يَوْمًا، وَلَمْ يُعْرِفْ بَعْهَدِ خَائِسِ (٦)
لِلْمَكْرُمَاتِ، وَبَيْنَ حَزْمِ حَارِسِ

(١) الشامس: الحرن غير المنقاد.

(٢) فزع إلى فلان: لجأ إليه، احتتمى به.

(٣) روى: أطفأ ظمأه - الألهوب: الحريق - الهامس: الخاطر.

(٤) الحنادس: جمع حدنس، الظلام.

(٥) الروامس: الرياح التي ترمس الآثار أي تمحوها لما تحمل من الرمال.

(٦) العهد الخائس: الغادر.

لم يَأْتَمِنْ، ظَبْتِيهِ، عَاتِقُ فَارِسٍ
 فِيهِ، الْمُعَلَّى خَطْوُهُ بِالنَّافِسِ^(١)
 قَدْ قَامَ مِنْهَا فِي غَدِيرِ حَامِسِ^(٢)
 تَحْتَ الْعَجَاجِ، وَوَجْهِ طَرْفِ عَابِسِ
 لَعِبَ التُّعَامِي بِالْقَضِيْبِ الْمَائِسِ
 حُسْنِ الْفَتَاةِ وَلُبْسِ خُلُقِ الْعَانِسِ
 قَدْ قَامَ فَوْقَ قَرَارِ دِينَ أَنْسِ
 صَحَّتْ بِهَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ نَاخِسِ^(٣)
 تَنَدَى، وَبُرْدِ، لِلْعَشِيَّةِ، وَارِسِ^(٤)
 قَدْ جَابَ دُونَكَ كُلَّ خَرَقِ طَامِسِ^(٥)
 يَعُجِ الْمَطْيِي بِرَسْمِ رَبْعِ دَارِسِ
 يَمْدُدُ إِلَى الْخَضْرَاءِ رَاحَةَ لَامِسِ
 تَجْدِبُ بِهِ مِنْ ضَبْعِ جَدِّ جَالِسِ^(٦)
 وَمَحَوْتِ فِيهِ سَوَادَ ظَنِّ الْبَائِسِ
 وَبِشَاشَةِ، وَوُقَيْتِ عَيْنِ النَّافِسِ^(٧)

وَذِكَاؤُ فَهَمٍ لَوْ تَمَثَّلَ صَارِمًا
 وَمَقَامُ حُكْمٍ عَادِلٍ لَا يَزْدَرِي،
 وَمَجَالُ حَرْبٍ جَرَّفِيهِ لَامَةً،
 يَطَأُ الْعِدَى مَا بَيْنَ نَضْلِ ضَا حِكْ،
 فِي حَيْثُ يَلْعَبُ بِالْقَنَاءِ، شَهَامَةً،
 أَحْسَنَ بِقَرْطُبَةِ، وَقَدْ حَمَلَتْ بِهِ
 وَتَوَوَّجَتْ بِمِنَارِ عِلْمٍ سَاطِعِ،
 وَتُخَايَلَتْ عِزًّا بِهِ، فِي عِضْمَةِ،
 يُزْهَى بِرَيْطِ، لِلصَّبِيحَةِ، أَيْضِ،
 فَانْهَضَ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ بِأَمَلِ
 عَاجِ الرَّجَاءِ عَلَى عُكَاكٍ بِهِ، فَلَمْ
 فَاشْفَعَ لِمُعْتَرِبِ رَجَاكَ، عَلَى النَّوَى،
 وَامْدُدْ إِلَيْهِ بِكَفِّ جَدِّ قَائِمِ،
 فَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ رَفَعْتَ بِهِ الْمُنَى،
 وَبَقِيَتْ تَجْتَلِبُ النُّفُوسَ نَفَاسَةً

(١) النفاس: القدح الخامس من قدها الميسر، والمعلى: السابع.

(٢) الحامس: الشديد الصلابة.

(٣) الداء الناخس: الداء المزعج، من نخست الدابة إذا هاجت.

(٤) الريط: الملاءة - الوارس: الأحمر اللون.

(٥) الخرق الطامس: الطريق الخفي غير الواضح.

(٦) الضبع: العضد.

(٧) النفاس: الذي يحسد ويصيب بالعين، العائن.

(١٣٩)

أوجعتني كُرْبَةٌ

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ رَجْفَةٌ لِمِلْمَةٍ بِفَقْدِ خَلِيلٍ، يَمَلَأُ الْعَيْنَ، مُؤْنِسِ
أَيْتٌ لَهُ تَنْدَى جُفُونِي لَوْعَةً، كَمَا دَمَعْتُ، تَحْتَ الْحَيَا، عَيْنُ نَرْجِسِ
وَحَسْبِي، إِذَا مَا أَوْجَعْتَنِي كُرْبَةٌ، بِمُؤْنِسِ يَعْقُوبٍ وَمُنْقِذِ يُؤْنِسِ^(١)

(١٤٠)

واشوقي

إِنَّ لِلْجَنَّةِ، فِي الْأَنْدَالِسِ، مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرِيًّا نَفْسِ
فَسْنَا صُبْحَتِهَا مِنْ شَنْبٍ؛ وَدَجَى ظَلَمَتِهَا مِنْ لَعْسِ
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً، صِحْتُ: وَاشْوَاقِي إِلَى الْأَنْدَالِسِ!

(١٤١)

تروق العين

يصف جارية فيعتمد محاسنها وبهجة المجلس بها...
إِذَا مَا وَاعْتَرَزَ السِّيفِ وَالنَّدَى بِخَيْرِ مَلِيكَ، هَشَّ فِي صَدْرِ مَجْلِسِ
بَدَا بَيْنَ كَفِّ لِلسَّمَاحِ مُغِيْمَةٍ، تَصُوبُ، وَوَجْهٍ لِلطَّلَاقَةِ مُشْمِسِ
لَقَدْ زَفَّ بِنْتَاً، لِلخَمِيلَةِ، طَلَقَةً، يَهْزُ إِلَيْهَا الدَّسْتُ أَعْطَافَ مَغْرَسِ
تَنُوبُ، عَنِ الْحَسَنَاءِ وَالِدَارِ، غُرْبَةً، فَمَا شِئْتَ مِنْ لَهْوِ بِهَا وَتَأْنِسِ
تُشِيرُ إِلَيْهَا كُلُّ رَاحَةٍ سُوسَنِ، وَتَشَخَّصُ فِيهَا كُلُّ مُقْلَةٍ نَرْجِسِ
فَحَقَّتْ بِهَا رِيحٌ بَلِيلٌ وَرَبْوَةٌ، بِمَسْرِي غَمَامٍ، جَادَهَا، مُتَبَجِّسِ
فَجَاءَتْ تَرُوقُ الْعَيْنِ فِي مَاءِ نُضْرَةٍ، تَشُنُّ، عَلَى أَعْطَافِهَا، ثُوبَ سُنْدُسِ^(٢)

(١) يقول: حسبي الله مؤنس يعقوب وهو أبو أسباط بني إسرائيل، ومنقذ يونس وهو يونان الذي ابتلعه الحوت.

(٢) السندس: الحرير الأخضر اللون.

وتملأ عينَ الشمسِ لآلاءَ بهجةٍ وحُسنٍ، وأنفَ الرِّيحِ طيبَ تنفُّسِ

(١٤٢)

السَّاقِي الأَسْوَدُ

وكأس أنسٍ قد جَلَّتْهَا المُنَى، فباتتِ النفسُ بها مُعْرِسَةً
طافَ بها أسودٌ مُحدودِبٌ، يُطربُ من يلهو به مجلسَةً
فخلتُه، من سبَّحٍ، رِيوَةٌ قد أنبتت من ذهبٍ نرجسَهُ^(١)

(١٤٣)

شَهِيّ الجَنَى

يصف التين فيفتن في التشبيه ويتمثل شاهده كريق الحبيب
أما واهتصارِ غُصُونِ البَلَسِ، وقد قلَّصَ الصُّبْحُ ذَيْلَ الغَلَسِ^(٢)
ومالَ يَسِيلُ جَنَى شَهْدِهِ، كما سالَ رِيْقُ حَبِيبِ نَعَسِ
لقد ساقَ، من رائِقِ المُجْتَلَى، شَهِيّ الجَنَى، مُسْتَطَابَ النَّقَسِ^(٣)
فَهَمَّتْ له بِيَاضِ الثُّغُورِ، وأحبيتُ فيه سوادَ اللُّعَسِ

(١٤٤)

مَعشُوقَةُ الحُسْنِ

ومعشُوقَةُ الحُسْنِ مَمشُوقَةٌ، يَهيمُ بها الطَّرْفُ والمَعطِيسُ^(٤)
لها نُضْرَةٌ سَمْتُهَا نَظْرَةٌ، وتكَلِّفُ، بالأنفُسِ، الأنفُسُ
فَمِن مَاءِ جَفْنِي لها مَكْرَعٌ، فسيحُ، ومن راحتي مَعْرِسُ

(١) السبج: نوع من الخرز الأسود - النرجسة: كناية عن كأس الخمرة المذهبة.

(٢) البلس: ثمر التين - الغلس: حلقة آخر الليل.

(٣) المجتلى: الظاهر للعين.

(٤) المعطس: الأنف.

(١٤٥)

فَرَسٌ أَشْقَرٌ

وأشقرٍ تُضَرِّمُ مِنْهُ الْوَعْيَى، بُشْغَلَةٌ مِنْ شُغَلِ الْبَاسِ
مِنْ جُلْنَارٍ نَاضِرٍ خَدُّهُ، وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْآسِ
تَطْلُعُ لِلغُرَّةِ، فِي وَجْهِهِ، حَبَابَةٌ تَضْحَكُ فِي كَاسِ

(١٤٦)

لَوْلَا الْحَيَاءُ

قال يصف حنينه إلى الشراب بعد أن أقلع عنه .
يا حَبَّذا نَادِي التُّدَامِ، وَمُجْتَلَى سِرِّ الشُّرُورِ بِهِ، وَمَسْلَى
وَلَيْتَنِ كَفَفْتُ عَنِ المُّدَامِ، فَإِنَّ لِي نَفْسًا تَهَشُّ بِصَدْرِ ذَاكَ المَجْلِسِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنَ المَشِيبِ لَقَبَلْتُ ثَغَرَ الْحَبَابِ بِهِ، وَعَيْنَ التَّرْجِسِ

(١٤٧)

شَأْنٌ مِثْلِي

غَيْرِي مَنْ يَعْتَدُّ، مَنْ أَنْسِهَ، مَا نَالَ مِنْ سَاقٍ وَمِنْ كَاسِهِ
وَشَأْنٌ مِثْلِي أَنْ يُرَى خَالِيًا بِنَفْسِهِ، يَبْحَثُ عَنِ نَفْسِهِ

(١٤٨)

دَرَسُوا الْعُلُومَ

دَرَسُوا الْعُلُومَ لِيَمْلِكُوا بِجِدَالِهِمْ، فِيهَا، صُدُورَ مَرَاتِبٍ وَمَجَالِسِ
وَتَزَهَّدُوا، حَتَّى أَصَابُوا فُرْصَةً فِي أَخْذِ مَالِ مَسَاجِدِ وَكَنَائِسِ

قافية الصاد

(١٤٩)

رَبِّ ذَيْلٍ . . . سَحْبَتُهُ

ألا إنها سنّ تزيدُ فأنقصُ؛
 فيها أنا أمحو ما جنيْتُ بعبرتي،
 وألمحُ أعقابَ الأمورِ، فأرعوي،
 ويا ربَّ ذيلٍ للشبابِ سَحْبَتُهُ،
 ولمحةٍ عيشٍ بين كأسِ رويّةٍ
 ألا بانَ عيشُ كان يندى غُضارةً؛
 وعزُّ شبابٍ كان قد هانَ برهةً؛
 فمن مبلِّغٍ تلكَ الليالي تحيَّةً
 على حينَ لا ذاكَ الغمامُ يُظلُّني،
 وقد طلعتُ، للشَّيبِ، بيضُ كواكبٍ،
 كأن لم أقبلَ صفحةَ الشَّمسِ ليلةً؛
 ولا بثَّ مغشوقاً، تطيرُ بأضلعي

وَنَفْضَةُ حُمَى تَغْتَرِينِي فَأَرْقُصُ
 وانظُرُ، في ما قد عملتُ، أمحصُ
 ويُعمى عليَّ الأمرُ طوراً، فأفحصُ
 وما كنتُ أدري أنه سيقلِّصُ
 تُدارُ، وطبني باللَّوى يتقنَّصُ
 فيا ليتَ ذاكَ العيشَ لو كان ينكصُ!
 ألا إنها الأغلاقُ تغلُّو وترخصُ
 تُعمُّ بها طوراً، وطوراً تُخصِّصُ
 ولا برُدُّ تلكَ الرِّيحِ يسري ويخلصُ
 أقلبُ فيها ناظري، أتخرِّصُ^(١)
 ولم يتعلَّ بي، دونها، الشمسُ، أخصِّصُ^(٢)
 قِطاةً، لها بين الجوانحِ مَفحصُ

(١) أتخرص: من التخرص وهو الظنّ وعدم القدرة على اليقين.

(٢) الأخصص: باطن القدم الذي لا يصيب الأرض.

قافية الضاد

(١٥٠)

مَضَى .. فَانْقَضَى

أَلَا مَضَى عَضْرُ الصَّبَا، فَانْقَضَى؛ وَحَبَّذَا عَضْرُ شَبَابٍ مَضَى
 بِثُّ بِهِ تَحْتَ ظِلَالِ الْمُنَى، مُجْتَنِبًا مِنْهُ ثِمَارَ الرُّضَا
 ثَمَّ مَضَى أَحْسِبُهُ كَوَكَبًا، أَوْ بَارِقًا مُومِضًا
 فَمَا تَصَدَّى يَتَّحِي مُقْبِلًا، حَتَّى تَوَلَّى يَنْثَنِي مُعْرِضًا
 وَمَرًّا لَا يَلْبُوِي، وَمَا ضَرَّ مَنْ أَعْرَضَ لَوْ سَأَمَ، أَوْ عَرَّضَا
 وَإِنَّمَا ضَاءً، بِلَيْلِ الصَّبَا، صُبْحُ مَشِيبٍ، سَاءَنِي أَنْ أَضَا
 لَاحَ، فَفِي عَيْنِي نُورُ الْهُدَى مِنْهُ، وَفِي قَلْبِي نَارُ الْعُضَا^(٢)
 وَابْيَضَّ مِنْ فَوْدِي بِهِ أَسْوَدُ، كُنْتُ أَرَى اللَّيْلَ بِهِ أَيْضًا^(٣)

(١) أعرض: أضرب وصدّ - عرض (به): عناه ولم يصرّح أشار إليه.

(٢) الغضا: شجر ناره لا تخمد سريعاً.

قافية العين

(١٥١)

اللهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ

قالها مادحاً القائد، أبا إسحاق ويذكر محاصرته لحصن
المؤربلة، ويهنته بتقلده كورة اشبيلية:

أَرَأَيْكَ أَمْضَى أَمْ حُسَامُكَ يَقَطْعُ، وَمَرَكَ أَبْهَى أَمْ حَدِيثُكَ يُسْمَعُ؟
وكلّ له، في جانبِ المُلْكِ، مَسَلِّكَ كَرِيمٌ، وَمِنْ نَفْسِ الإِمَارَةِ مَوْقِعُ
لك الخَيْرُ ما أَهْدَاكَ، وَالسَّهْمُ صَائِبٌ يَطِيشُ، وما أَعْدَاكَ، وَالخَيْلُ تَمزَعُ^(١)
ولا غيرَ أَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مِقْوَلٌ يُبِينُ، ولا غيرَ الفَرَائِصِ مِسْمَعُ
وما الوَشْيُ، حُسْنًا، غيرَ بِيضِ محاسِنِ لَبَسَتْ على عِطْفِي عُلاكَ، وتَخَلَعُ
ولا النَّجْمُ، نايًا، ذُرْوَةَ مَعْقِلِ، تَدُوذُ العِدَى عن جَانِبِيهِ، وتَمْنَعُ
تَفُوتُ رجاءَ المُرتَجِينَ وُعودِهِ، وَيَدْنُوبُهُ سَعْدُ الأَمِيرِ، فَيَطْمَعُ
أَحَطَّتْ به حَصْرَ الإِحاطَةِ مُضْعِفًا، تُزَلْزِلُ مِنْ أركانِهِ وتُضْغِضُ
وأَمْطَرْتَهُ غَيْشًا، مِنَ العَيْثِ، واكِفًا، يُظَاهِرُهُ وَبَلُّ، مِنَ التَّبَلِّ، يَهْمَعُ^(٢)
تَضُمُّ جَنَاحَ الجَيْشِ حَوْلِيهِ ضَمَّةً، تَكَادُ بِها أَضْلاَعُهُ تَتَّقَعُ^(٣)

(١) تمزع الخيل: تسرع.

(٢) يهمع: يهطل غزيراً.

(٣) تتقعع: تضطرب، وتصوت عند التحرك.

فكم ضربة فوهاء ثم ومقلة،
ولا بأس إلا من سيوفك تنتضى،
وهل أنت إلا رحمة الله تنكفي،
فكم حرز عز قد غشيت ببطشة،
وغادرت من معقل، وهو معقر
فأنجز فيه، موعد السيف، فاتك،
وأهوى به طيب الحديث، فنشره
إذا هز أعطاف المعالي حسبته
وحسبك من فلج، لأبيض واضح،
ويارُب جيش للعدو كأنه
عرضت له، والليث دونك جراءة،
ولقيته ربح المهابة بارحاً،
وأذبر لا يلوي على متعذر،
وقد جال دمع القطر في مقلة الدجى،
له، من صدور الأعوجية والقنا،
وظفره، في ملتقى الخيل، ساعد
وأبيض يتلو سورة الفتح، ينتضى،
ومنجرد ضخم الجزارة، أوحد،
وحصداً تزري بالسنان، حصينة،
رتعت على حكم السباح بربعه،

جرت هذه تدمى وهاتيك تدمع^(١)
ولا سعد إلا في رماحك تُسرع
عذاباً، على أهل المعاصي، فتقمع؟
تصم العدى رجاتها حين تُسمع
لمعتقديه مصنعاً، وهو مصرع
يهون عليه الجانب المتمع
يخب به ركب الثناء ويوضع^(٢)
يدير بها كأساً، عليه، تُشغع
يعيد وييدي، في المعالي، فيندع^(٣)
عباب خصم، قد طمى يندفع
فأجفل إجمال النعامة يجزع
فأقلع إقلاع الغمامة تقشع
حذار فتى يسري إليه، فيسرع
ولفت نواصي الخيل نكباء زعزع
شفيح، إلى نيل الأمانى مشفع
اللف، وقلب، بين جنبيه، أصمع^(٤)
ويستقبل الفرق الكريم، فيركع
يطيّر به، تحت العجاجة، أربع^(٥)
ووجه وقاح، بالحديد، مقنع^(٦)
ومربع أبناء السماحة مرتع

(١) الضربة الفوهاء : الواسعة .

(٢) يوضع : يقاد ويساق .

(٣) الفلج : الغلبة والظفر .

(٤) القلب الأصمع : القلب الفطن .

(٥) الجزارة : الأطراف .

(٦) الحصداً : الدرع المحكمة النسيج .

بَرِيْقُ تَرَاءى، آخِرَ اللَّيْلِ، يَلْمَعُ
 وَيُمْنَى أَبِي إِسْحَاقَ لِلْبَحْرِ مَبْنَعُ^(١)
 وَأَبْطَحُهُ أَنْدَى مُرَاداً وَأَمْرَعُ
 وَمَنْ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَالْحَقُّ أَصْدَعُ؟
 إِلَى الْمَجْدِ، بَيْتٌ، طَاوَلَ النَّجْمَ، أَرْوَعُ
 إِلَيْهِ، وَلِلْيَيْتِ الْحَرَامِ تَطْلَعُ
 يَلُوحُ، وَعِرْقاً لِلْخِلَافَةِ يَنْزَعُ
 وَقَدْ طَوَّقْتَنِي، وَالْحَمَامَةُ تَسْجَعُ
 حَدِيثٌ بِمَلْقَاهُ إِلَيْهَا يُرْجَعُ^(٢)
 وَشَيْكُ نَوَاهُ، وَالْحَوَادِثُ تُوجِعُ
 وَشَافَهَنِي، قَبْلَ الْوَدَاعِ، تَوَدُّعُ
 فَعَلَّمَنِي دَاعِي النَّوَى كَيْفَ تَدْمَعُ
 أُشِيعُهَا فِي مَنْ، هُنَاكَ، أُشِيعُ
 بِهِ، مَلِكاً، وَاللَّهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ

وَعُجَّتَ عَلَيْهِ عَوَجَةَ الصَّبِّ شَاقَهُ
 وَلَمْ أَرِدِ الْأَوْشَالَ أَنْقَعُ غُلَّةً،
 وَهَضْبُتُهُ أَحْمَى جَنَاباً لِخَائِفِ؛
 فَمَنْ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَالصُّبْحُ أَبْلَجُ؛
 إِمَامٌ تَدَانَى رَافَةً، وَسَمَا بِهِ،
 تَجَلَّى، وَمَنْ بَطْحَاءَ مَكَّةَ حَنَّةُ
 تَرَى لِقْرِيْشٍ فِيهِ بَرْقٌ مَخِيلَةٌ
 أَمَا وَأَيَادٍ أَنْطَقْتَنِي بِحَمْدِهِ،
 لِيَنْ هُزَّ مِنْ أَرْجَاءِ حِمَصٍ، مَسْرَّةً،
 لَقَدْ نَابَ مِنَّا، وَالخُطُوبُ مُمَضَّةُ،
 وَفَارَقْتَنِي صَبْرِي لِذِكْرِي فِرَاقِهِ؛
 وَكُنْتُ جَمَادَ الْعَيْنِ، أَجْهَلَ مَا الْبُكْيِ،
 فَاسْتَوَدَعُ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَمُهْجَةً
 وَهَنْتَهَا مِنْ دَارِ مُلْكٍ، وَهَنْتُ

(١٥٢)

أَقْلَبُ طَرْفِي . . .

عَشِيَّةَ غَنَائِي الْحَمَامُ، فَرَجَعَا^(٣)
 يَسِيلُ، وَصَبْرٌ قَدْ وَهَى، فَتَضَعُضَعَا^(٤)
 فَاسْكُنَ أَنْفَاساً وَأَهْدَأَ مَضْجَعَا

أَجَبْتُ وَقَدْ نَادَى الْغَرَامُ، فَاسْمَعَا،
 فَقُلْتُ، وَلِي دَمْعٌ تَرَفَّرَقَ، فَانْهَمَى
 أَلَا هَلْ، إِلَى أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، أَوْبَةٌ،

(١) الأوشال: جمع وشل القليل من الدمع.

(٢) أراد بـ «حمص»، إشبيلية.

(٣) رجع: ردّد الغناء ونحوه.

(٤) انهى: انسكب - وهى الصبر: ضعف وتلاشى.

مَعَاظِفَ هَاتِيكَ الرَّبِّي، ثُمَّ أَقْشَعَا^(١)
تَحُطُّ الصَّبَا عَنْهَا، مِنَ الْغَيْمِ، بُرْقُعَا^(٢)
نَسِيمٌ تَمْشَى بَيْنَهَا، فَتَضْوَعَا^(٣)
تَرِفُ بِوَادِيهَا، وَيَنْضَحُ أَجْرَعَا
وَحَسْبُكَ مُصْطَافَا، هُنَاكَ، وَمَرْبَعَا
وَجَنْبِ تَقْلَى، لَا يُلَائِمُ مَضْجَعَا
أَشِيمٌ سَنَا بَرْقِ، هُنَاكَ، تَطَّلَعَا

وَأَغْدُو بِوَادِيهَا، وَقَدْ نَضَحَ النَّدَى
أَغَازِلُ فِيهَا لِلْغَزَالَةِ سُنَّةً،
وَقَدْ فَضَّ عَقْدَ الْقَطْرِ، فِي كُلِّ تَلْعَةٍ،
وَبَاتَ سَقِيطُ الطَّلِّ يَضْرِبُ سَرْحَةً
وَأَيْنَ فَنَا دَارِ إِلَيَّ حَبِيْبَةً،
لَقَدْ تَرَكْتَنِي بَيْنَ جَفْنِ جَفَا الْكَرَى،
أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ، لَعَلَّنِي

(١٥٣)

أَذِنَ الرَّحِيلُ

إِنَّ اللَّيَالِي نَزْرَةَ الْإِمْتَاعِ
زَمَنِ، خَلَامِنَه، قَصِيرِ الْبَاعِ
إِلَّا إِلَي تَعْنِيقَةَ لِمَزْمَاعِ^(٤)

أَذِنَ الرَّحِيلُ بِلُقْيَةِ لِيُودَاعِ؛
فَأَطَلْتُ عَضَّ أَنْامِلِي أَسْفَا عَلَى
لَمْ يَنْفَصِمَ عَنْ ضَمَّةٍ لِإِقَامَةٍ،

(١٥٤)

أَشِيمُ سَنَاهُ

يصف وميض البرق وذبول السحاب والليل نديّ الجناح
تَشَطَّتْ حَصَاةُ الْقَلْبِ، فِي حَبِهِ، صَدْعَا
تَطَّلَعَ مِنْ نَجْدِ، فَحَيَّا اللَّوَى رَبْعَا
كَمَا اغْرورَقَتْ عَيْنِي، لِرُؤْيَيْتِهِ، دَمْعَا
بِمَعْطِفِهِ خَفَقَا، وَمَبْسِمِهِ لَمْعَا

أَرَقْتُ، وَقَدْ نَامَ الْخَلِيُّ لِإِنَاذِحِ،
وَمَا شَاقَنِي إِلَّا وَمِیْضُ غَمَامَةٍ،
أَشِيمُ سَنَاهُ، وَالسَّمَاءُ مُغِيْمَةٌ،
فَذَكَّرَنِي، وَاللَّيْلُ يَنْدَى جَنَاحَهُ،

(١) اقشع: انكشف وتبدد.

(٢) السنّة (هنا): الصورة، الشكل.

(٣) تضووع النسيم: انتشرت رائحته.

(٤) لم ينقصم: لم ينقسم أو يتفرق - الزماع: العزم على الأمر.

وَمَسْحَبٍ ذِيلٍ لِلسَّحَابِ بِذِي الغُضَا،
فَقُلْ فِي أَتَيٍّْ قَدْ تَهَادَى، كَأَنَّهُ،
وَمَاءٍ مَسِيلٍ سَائِلٍ لِقَرَارَةٍ،
بُرُودِ رُضَابِ المَاءِ، أَحْوَى لِمَى المَرَعَى (١)
إِذَا مَا ثَنَى أَعْطَا فَه، حَيَّةٌ تَسْعَى (٢)
فَبَيْنَا تَرَى مِنْهُ حُسَامًا تَرَى دِرْعَا

(١٥٥)

شَيْدٍ وَرَفَعٍ

قالها يمجذ مكارم الأمير أبي إسحاق: ويعدد مناقبه
وَمَا كُنْتُ، لَوْلَا أَنْ يُغْنِي، لِأَسْجَعَا،
وَوَظِلَّ غَمَامٍ، لِلصَّبَا، قَدْ تَقَشَّعَا (٣)
عَفَا، أَمَّ مَصِيفًا، مِنْ سُلَيْمَى، وَمَرْبَعَا
شَبَابٌ عَلَى رُغَمِ الأَحْبَةِ وَدَّعَا
وَأَنْدَى مُحِيًّا ذَلِكَ الصَّبْحَ مَطْلِعَا
وَأَطِيبَ ذَاكَ العَيْشَ ظِلًّا وَمَرْتَعَا
تَسُومُ حَصَاةَ القَلْبِ أَنْ تَتَّصِدَّعَا
وَجَعْتُ، عَلَى طُولِ التَّلْدُدِ، أَخْدَعَا (٤)
وَرِيًّا الخُزَامَى مِنْ أَجَارِعِ لَعْلَعَا؟ (٥)
لَوَانِي، عَلَى ظَهْرِ المَطْيَى، تَوَجُّعَا
فَمَا انْفَضَّ حَتَّى حَارَ، فَارْفَضَّ أَدْمُعَا
أُكْفِكِفُ مِنْهَا بِالْبَنَانِ تَصَنَّعَا (٦)

سَجَعْتُ، وَقَدْ غَنَى الحَمَامُ فَرَجَعَا،
وَأَنْدَبَ عَهْدًا بِالمُشَقَّرِ سَالِفَا،
وَلَمْ أَدْرِ مَا نَبِكِي: أَرَسَمَ شَبِيهَةَ
وَأَوْجَعُ تَوَدِيْعِ الأَحْبَةِ فُرْقَةً،
وَمَا كَانَ أَشْهَى ذَلِكَ اللَّيْلَ مَرَقْدَا؛
وَأَقْصَرَ ذَاكَ العَهْدَ يَوْمًا وَوَلَيْلَةً؛
زَمَانٌ تَقَضَّى، غَيْرَ عَهْدِ مَحَاسِنِ،
تَحَوَّلْتُ عَنْهُ لَا اخْتِيَارًا، وَرُبَّمَا
وَمَنْ لِي بِرَدِّ الرِّيحِ مِنْ أَبْرِقِ الحِمَى،
وَقَدْ فَاتَ ذَاكَ العَهْدُ إِلَّا تَذَكُّرًا
وَكُنْتُ جَلِيدَ القَلْبِ، وَالسَّمْلُ جَامِعٌ،
وَبَلَّغْتُ نِجَادِي عَبْرَةَ مُسْتَهْلَةً،

(١) ذو الغضا: علم على موضع.

(٢) الأتْي: السيل.

(٣) المشقَّر: موضع - تقشع الغمام: تبدد.

(٤) قوله: لا اختياراً: أي بدون إرادة - الأخدع: ويريد في العنق.

(٥) الإبرق: موضع أرضه غليظة - الأجارع: الأرض الماحلة التي لا تنبت زرعاً - لعلع: اسم جبل.

(٦) النجاد: محمل السيف.

وإني، وعيني بالظلام كحيلّة،
وأكبرُ شأنًا أن أرى الصُّبحَ، أبيضًا،
كأنّي لم أذهب مع اللّهُوِ ليلّة؛
ولم أتّحامل بين ظلِّ سرحة،
ولم أزم أمالي بأزرق صائب،
وأبلىق خوّار العنان، مطهّهم،
جری وجرى البرق اليماني عشيّة،
كان سحاباً أسحماً، تحت لبده،
وحسبُ الأعادي منه أن يزجروا به،
كانّ على عطفه، من خلع الشرى،
ركضتُ به بحراً تدفع مائحا؛
يؤلّل من أذن فأذن تشوّفاً
كانّ له، من عامل الرُّمَح، هادياً
فسكّنتُ منه بالتعني على الشرى،
ولما انتحى ذكر الأمير استخفّه،
حيناً، إلى الملك الأغرّ، مُردّداً،
ففي حبِّ إبراهيم أعرب صاهلاً؛
ملكُ تباهى الحمْدُ وشياً مُذهّباً

لأبي لجنبي أن يُلائم مَضَجعا
بعين ترى رُبَع الشَّيبَة بَلَقعا
ولم أتعاظ البايلي المشعشعا^(١)
وسَجع لغريدي، وماء بأجرعا
وأبيض بَسام، وأسمر أضلعا
طويل الشوى والساق، أقود، أتلعا^(٢)
فأبطأ عنه البرق عجزاً، وأسرعاً
يضاحك عن برقي سري، فتصدعا
مغيراً، غراباً صبَّح الحيّ، أبقعا
قميص ظلام بالصباح ترقعا
وأقبلت أم الرّال نكبأ زعزعا^(٣)
إلى صرخة من هاتف، أو تطلعا^(٤)
منيفاً، ومن ذلق الأسنّة مسمعا^(٥)
أمسح من أعطافه، فتسمعا
فخفّض من لحن الصَّهيل، ورفعا
وشجواً، على المسرى القصي، مُرجعا
وفي نصر إبراهيم كرت تشيعا
به، وتراعى المجد تاجاً مُرصعا

(١) البايلي : خمره بابل .

(٢) خوّار العنان : غير صعب الانقياد - الشوى : الأطراف - الأقود : القوي العنق - أراد بالأتلع :

الفرس الطويل العنق .

(٣) مائحا : مختالاً - الرال : ولد النعامه - الزعزع : الريح الشديدة الهوجاء .

(٤) يؤلّل الشيء : يحدّد طرفه .

(٥) الأسنّة الذلق : الحادّة .

وَأَطِيبَ أَفْيَاءَ، وَأَمْرَعَ مَرْبَعَا
تَدَفَّقَ فِي أَرْجَائِهَا فَتَدَفَّعَا
وَحَسْبُكَ مِنْ سُقْيَاهُ أَنْ سَجَمَا مَعَا
وَمَا طَائِرُ الْبُشْرَى بِأَحْسَنَ مَسْمَعَا
وَقَعَقَعَ إِرْعَاداً بَنَجِدِ، فَأَطْعَمَا^(١)
وَرَأَقُكُمَا بَرَقُ الْبَشَاشَةِ، فَارْتَعَا
وَأَشْهَى نَدَى ظِلِّ، وَأَعَذَّبُ مَكْرَعَا
فَعَاوَدَ مِنْ رُحْمَاهُ مَا كَانَ أَقْلَعَا
طَوِيلِ نِجَادِ السِّيفِ، أَبْلَجَ، أَرَوْعَا^(٢)
وَأَحْرَمَ مَطْرُورَ الظُّبَا لَا تَوَزُّعَا
تَصَوَّبَ أَسْرَى مِنْ شِهَابٍ وَأَطْلَعَا
بِأَسْطَى، وَرَاءَ النَّقْعِ، مِنْهُ وَأَسْطَعَا
فَلَبَّى عَلَى شَرِّخِ الشَّبَابِ وَأَهْطَعَا^(٣)
وَعَبَّ، كَمَا عَبَّ الْخِضْمُ، تَبْرُعَا
تَرَدَّى غُلَاماً بِالْعُلَى، وَتَلَفَّعَا^(٤)
بِأَطْوَعٍ مِنْ يُمْنَاهُ فِعْلًا، وَأَطْبَعَا
فَصِيحَاً، وَإِفْرِنْدَا كَرِيمَاً، وَمَقْطَعَا
وَرَفَّهُ فِي جَنْبِ الْإِلَهِ وَرَفَّعَا
وَزَلْزَلَ مِنْ رُكْنِ الْعَصِيِّ وَضَعُضَعَا
تَطَامَنَ، مِنْ أَعْنَاقِهَا، مَا تَرَفَّعَا

غَشِيَتْ بِهِ أُنْدَى مِنَ الْمُزْنِ رَاحَةً،
طَمَى الْجُودُ فِي يُمْنَاهُ بَحْرًا، وَرُبَّمَا
وَأَعْدَى نَدَاهُ الْغَيْثُ، فَانْهَلَّ وَاكِفَاً؛
فَرُبَّ حَدِيثٍ، عَنْ عُلاهِ، سَمِعْتُهُ،
فِي شَائِمِي بَرَقِ تَوْضُحِ مَوْهِنَاً،
إِذَا كَفَّ، مِنْ قَطْرِيكُمَا، عَارِضِ النَّدَى،
فِي أَنْ أَبَا إِسْحَاقَ أَخْصَبُ تَلْعَةً،
وَحَسْبُكُمَا أَنْ قَدْ تَأَسَّى بِهِ الْحَيَا،
وَعَزَّ الْهُدَى مِنْهُ بِأَمْجَدَ أَوْحَدِ،
أَحَلَّ بِهِ الْعُودَ السَّلِيبِ، سَمَاحَةً،
إِذَا دَبَّ أَخْفَى مِنْ خِيَالِ مَكِيدَةٍ،
وَمَا السِّيفُ، مِنْ كَفِّ الْكَمِيِّ مَجْرَدَاً،
دَعَا بِاسْمِهِ دَاعِي الْحَفِيزَةِ وَالنَّدَى،
وَهَبَّ، كَمَا هَبَّ الْحُسَامُ، شَهَامَةً؛
وَجَرَّ بِهِ ذَيْلَ الْخَمِيسِ ابْنَ غَابَةِ،
وَدَاسَ الْعِدَى رَكْضًا وَأَجْرَى إِلَى الْوَعَى
فَلَمْ يُدْرَأِ أَيُّ مِنْهُمَا النَّصْلُ مَنْطِقَاً
فَشَيَّدَ مِنْ ذَاتِ الْمَكَارِمِ وَابْتَنَى؛
وَخَفَّضَ مِنْ صِيْتِ الْأَبِيِّ وَصَوْتِهِ؛
وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ، بِالْمَقَادَةِ، قَادَةً،

(١) توضح البرق: لمع - موهناً: في فترة من الليل.

(٢) طويل نجاد السيف: كناية عن الفروسية.

(٣) أطمع إطماعاً: أسرع.

(٤) الخميس: الجيش - ابن غابة: كناية عن الأسد، والمقصود بمدوحه.

فأصْبَحَ خَوَّارَ الشَّكِيمَةِ طَيْعاً^(١)
تَبَوَّأْتُ مِنْهُ، حَيْثُ شِئْتُ، تَمْتَعاً
فَأَشْرَفْتُ إِبْضَاعاً وَأَشْرَفْتُ مَوْضِعاً^(٢)
إِلَى الْقَلَمِ الْأَعْلَى، يَخْطُ مُوقِعاً؟
وَلَا الْوَابِلُ الْغَادِي بِأَكْرَمِ مَصْنَعَا
وَلَمْ يَكُ لَوْلَا أَنْ طَلَعْتَ لِيطْلُعَا
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ، فَيَسْمَعَا
نَسِيمٌ، كَأَنْفَاسِ الْعَذَارَى، تَضْوَعَا
وَيَمْسَحُ، مِنْ مَسْرَى الْغَمَامَةِ، مَدْمَعَا

وَدَّلَلْ، مِنْ أَخْلَاقِهِ، كُلُّ رِيضٍ،
فَمَنْ مُبْلِغُ الْأَيَّامِ عَنِّي أَنْبِي
وَطَرْتُ ثَنَاءً، وَأَطْلَعْتُ ثَنِيَّةً،
وَهَلْ بَقِيَتْ لِلنَّفْسِ إِلَّا أَطْلَاعَةٌ
فَمَا الْقَمَرُ السَّارِي بِأَجْمَلِ غُرَّةٍ؟
فَهُتَّتْ عِيداً، قَدْ تَلَقَّاكَ، قَادِماً،
وَحَسْبُكَ جَدَّ قَدْ أَظْلَكَ قَادِماً،
وَحَيَّاكَ مِنْ فَرَجٍ لِأَشْرَفِ دَوْحَةٍ،
يُلَاعِبُ، مِنْ خُوطِ الْأَرَاكَةِ، مَعْطِفَا؟

(١٥٦)

إِيكهَا غَرَاءُ

قال ابن خفاجة هذه القصيدة وكتب بها إلى ابن عائشة

مِنْ لَيْلَةٍ لِلرَّعْدِ فِيهَا صَرْخَةٌ،
خَلَعْتُ عَلَيَّ بِهَا، رِذَاءَ غَمَامَةٍ،
وَالصُّبْحُ قَدْ صَدَعَ الظَّلَامَ، كَأَنَّهُ
فَرَفَلْتُ فِي سَمَلِ الدُّجَى، وَكَأَنَّمَا
وَدَفَعْتُ فِي صَدْرِ الدُّجَى عَنْ مَطْلَبٍ،
وَقَبَضْتُ ذَيْلِي رَغْبَةً عَنْ مَعْشَرٍ
لَا تُسْتَطَابُ، وَلِلْحَيَا إِيْقَاعُ^(٣)
رِيحٌ تُهْلَهُهُ، هُنَاكَ، صِنَاعُ^(٤)
وَجْهٌ وَضِيءٌ، شَفَّ عَنْهُ قِنَاعُ
قَزَعُ السَّحَابِ، بِجَانِبِيهِ، رِقَاعُ^(٥)
بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ فِيهِ قِرَاعُ
عُوجِ الطَّبَاعِ، كَأَنَّهُمْ أَضْلَاعُ

(١) أصبح خوار الشكيمة: أي بات واهياً وصار سهل الانقياد.

(٢) الثناء: المدح والإطراء - الثنية: المكان العالي - الإبضاع: مصدر ابضع في حديثه: جعله بيناً وبلغاً.

(٣) الحيا: المطر - الإيقاع (هنا): صوت سقوط المطر.

(٤) الصنعة: البارة في صنعتها.

(٥) السمل: الثوب البالي والجمع أسمال - قزع السحاب: قطعه.

جَارِينَ فِي شَوَاطِئِ الْعِنَادِ، كَأَنَّهُمْ
يَرْمُونَ أَعْطَافِي بِنَظَرَةِ إِحْنَةٍ
أَفْرَغْتُ مِنْ كَلِمِي، عَلَى أَكْبَادِهِمْ،
وَوَصَلْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ،
فَظَفَرْتُ مِنْهُ، عَلَى الْمَشِيبِ، بِصَاحِبِ
قَدْ كُنْتُ أُغْلِي فِي ابْتِياعِ وَدَادِهِ،
وَالْيَكْهَا غَرَاءً، لَوْلَا حُسْنُهَا
عَبَقْتُ بِهَا، فِي كُلِّ كَفٍّ، زَهْرَةً،

سَيْلٌ، تَلَاطَمَ مَوْجُهُ، دَفَّاعٌ
وُقِدَّتْ، كَمَا تُذَكِّي، الْعُيُونَ، سِبَاعٌ
قَطْرًا، لَهُ أَسْمَاعُهُمْ أَقْمَاعٌ
حَتَّى كَأَنَّا مِعْصَمٌ وَذِرَاعٌ
خَلَفِ الشَّبَابِ، فَلِي إِلَيْهِ نِزَاعٌ
لَوْ أَنَّ أَعْلَاقَ الْوَدَادِ تُبَاعُ^(١)
لَمْ تُفْتَقِ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ
فُتِقَتْ لَهَا، مِنْ خَمْسِهَا، أَقْمَاعٌ

(١) الأعلاق: جمع العلق، وهو النفيس من كل شيء.

قافية الفاء

(١٥٧)

طَرْفُهُ فَاتِنٌ

أَيَجْنِي، عَلَى مُهَجَّتِي، طَرْفُهُ، وَيُخْضَبُ مِنْ دَمِهَا كَفُّهُ،
 وتَلَدَغُنِي تَارَةً حَيَّةً، هُنَاكَ، يُسَاوِرُهَا رِدْفُهُ^(١)،
 وَيَرْشِفُ دُونِي لِثَامٌ لَهُ، نَدَى أَقْحُوَانٍ، حَلَا رَشْفُهُ^(٢)،
 فَسَائِلُ بِرَامَةٍ عَنِ رِيْمِهَا، وَهَلْ ضَلَّ، عَنِ سِرِّيْهَا، خِشْفُهُ^(٣)،
 وَهَلْ خَاضَ جَرَعَاءَ وَادِي الْغَضَا، يُلَاعِبُ، أَفْنَانَهَا، عِطْفُهُ
 فَأَعْدَى أَرَكَتْهَا هَزَّةً؛ وَأَرْجَ، أَنْفَاسَهَا، عَرْفُهُ^(٤)،
 أَمَا وَهَوَى مِثْلِهِ جُوذُرًا، يُطَابِقُ مَوْصُوفَهُ وَصْفُهُ
 لَهُ نَظْرٌ، فَاتِنٌ، فَاتِرٌ، يَحُلُّ قُوَى عَزَمَتِي ضَعْفُهُ
 لِثَنَ هَزٍّ، أَعْطَانَا، حُسْنُهُ، لَقَدْ بَزَّ، أَنْفُسَنَا، طَرْفُهُ^(٥)،
 وَأَقْبَلَ بِالْحُسْنِ إِدْبَارَهُ، يُلَاعِبُ، خُوطَتَهُ، حِقْفُهُ^(٦)

(١) الحية: الذؤابة، أي الضفيرة.

(٢) أراد بالأقحوان: الأسنان، من باب التمثيل والاستعارة - الرشف: المصّ بالشفيتين.

(٣) الرامة: موضع ماء - الخشف: ولد الظبي.

(٤) الأراكة: واحدة الأراك وهو شجر يستاك به - العرف: الرائحة ولا سيما الطيبة.

(٥) بزّ أنفسنا: غلبنا وتفوّق علينا.

(٦) الحقف: ما استطال من الرمل والمقصود القامة المديدة.

وَحَفَّتْ بِهِ الْخَيْلُ خَيْالَةً،
 وَهَشَّتْ، إِلَى رَكْضِهِ، ظَهْرُهُ؛
 وَأَقْوَمُ مَنْ رُمِحَهُ قَدُّهُ؛
 وَكُلُّ هُنَاكَ صَرِيحٌ بِهِ،
 أَلَا شَفَّ صَدْرِي عَنْ سِرِّهِ،
 وَخَفَّ بِقَلْبِي فِيهِ الْهَوَى؛
 فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى زَوْرَةٍ
 فَيَلْوِي، مَنْ غَصْنَهُ، هَضْرُهُ؛
 وَقَدْ كُنْتُ أُرِي، عَلَى عَفَّةٍ،

(١٥٨)

صَقِيلُ الْمَحَلِّيِّ وَالْحَلِيِّ

وَأَغِيدَ مَعْسُولِ اللَّمَى وَالْمَرَاشِفِ،
 أَنْخَتْ بِهِ، وَالْبَرْقُ يَهْفُو جَنَاحَهُ،
 فَنَادِمْتُ حُلُوَ الْبِرِّ وَاللَّفْظِ وَاللَّمَى،
 صَقِيلِ الْمَحَلِّيِّ وَالْحَلِيِّ وَالسَّوَالِفِ (٤)
 وَلِلدَيْمَةِ الْهَطْلَاءِ حَنَّةٌ عَاطِفِ (٥)
 جَمِيلِ الْمُحْيَا وَالْحَلِيِّ وَالْعَوَارِفِ (٦)

(١٥٩)

أَرَى الشَّمْسَ مَكْسُوفَةً

أَطَّلَ، وَقَدْ خُطَّ فِي خَدِّهِ،
 مِنْ الشُّعْرِ، سَطْرٌ دَقِيقُ الْحُرُوفِ

(١) الطَّرْفُ: الكَرِيمُ الطَّرْفَيْنِ مِنَ الْخَيْلِ.

(٢) السَّجْفُ: السِتَارُ وَالْجَمْعُ سَجُوفٌ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْقِنَاعُ السَاتِرُ لِلْوَجْهِ.

(٣) الْقُرْطَانُ: مِثْلُ الْقُرْطِ وَهُوَ الْحَلْقُ الَّذِي يَلْتَقِ فِي الْأُذُنِ - الشَّنْفُ: الْحَلِيّ الَّذِي يَلْتَقِ فِي أَعْلَى الْأُذُنِ.

(٤) الْمَرَاشِفُ: جَمْعُ مَرَشَفٍ وَهُوَ الثَّغْرُ - الْمَحَلِّيُّ: مَوْضِعُ الْحَلِيِّ.

(٥) الدَيْمَةُ: السَّحَابَةُ الْمَمْطِرَةُ - الْهَطْلَاءُ: الَّتِي تَهْطُلُ الْغَزَارَةَ.

(٦) الْبِرُّ: الْإِحْسَانُ - اللَّمَى: سَمْرَةُ الشَّفَاهِ - الْعَوَارِفُ: الْعَطَايَا جَمْعُ الْمَعْرُوفِ.

فقلت أرى الشمس مكسوفةً، فقوموا نُصَلِّي صلاةَ الكُسوفِ

(١٦٠)

رُبَّ يَوْمٍ

ألا رُبَّ يَوْمٍ لي بِيَابِ الزَّخَارِفِ،
لَهَوْتُ بِهِ، وَالدهرُ وَسَنَانُ ذَاهِلٌ،
أعَاطِي تَحَايَا الكَاسِ، وَالأنسُ فِتِيَةٌ
وذيْلُ رِدَاءِ الغَيْمِ يَخْفِقُ، وَالصَّبَا
يَطِيرُ بِنَا فِيهِ شِرَاعٌ، كَأَنَّهُ،
وقد بَلَّ، أعطَافَ الرُّبِيِّ، دَمْعُ مُزْنَةٍ،
زَمَانٌ تَوَلَّى بَيْنَ كَاسِ تَلِيدَةٍ
وَشَمْسٍ كَلَالَاءِ الزُّجَاجَةِ، طَلْقَةٍ،
رقيقِ حواشي الحُسنِ، حُلُوِ المَرَاشِفِ
وَعَصْنُ الصُّبَارِيَّانُ، لَدُنَّ المَعَاظِفِ (١)
تَخَايَلُ، سُودَ العُدْرِ بِيضِ السَّوَالِفِ (٢)
تَحُتُّ، وَمَوْجُ النَّهْرِ ضَخْمُ الرِّوَادِفِ
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ، أَحْشَاءُ خَائِفِ
تَحَيَّرَ فِي جَفْنِ، مِنَ النُّورِ، طَارِفِ
تُدَارُ، وَعَيْشِ، لِلحَدَائَةِ، طَارِفِ (٣)
وظِلُّ كَرِيَعَانِ الشَّيْبَةِ وَاِرِفِ

(١٦١)

فِي مَنَزَلِ القَصْفِ

ألا إنَّ خَفَضَ العِيَشِ
فجَرَّرَ ذِيوَلِ اللُّهُوِ
وَعَازِلُ بِهِ حُلُوِ
شَهِيَّ الجَنَى، لَذَنَ
تَنَقَّسَ بَيْنَ الرُّوَضِ،
فِي صَـرْخَةِ العَازِفِ،
فِي مَنَزَلِ القَصْفِ (٤)
الشَّمَائِلِ وَاللَّمَى،
السَّجِيَّةِ وَالعِطْفِ (٥)
يَخْطُرُ، وَالصَّبَا؛

(١) والدهر وسنان: أي والدهر غافل عنه.

(٢) الصبا: الشباب - العصن الريان: الغض الطري.

(٣) التليدة: القديمة - طارف: حديث.

(٤) القصف: اللهو.

(٥) السجية: الطبع.

وأَشْرَفَ بَيْنَ الْغُصْنِ،
وقد عَطَفَتْ، وهنأً،
وما كنتُ أدري الكأسَ
وناولتُهُ صَفراءَ
دهاقاً، على السَّاقِي،
فقلت، وقد ماسَتْ
فمِنْ مُجْتَلَى حَسَنِ،
أَمَا وَيَبِاضِ الثَّنْغِرِ
وحُسْنِ مَجَالِ السَّحَرِ
لئن كنتَ بَذَرَ
فإنَّ دُمُوعَ الصَّوْبِ

يأطُرُ، والحِقْفِ^(١)
به الكأسُ هاجِراً،
من أحرفِ العَطْفِ
لم يُرَ صِرْفُهَا،
فيلْحَنُ فِي الصَّوْبِ^(٢)
بِعَظْمَيْهِ نَشْوَةً،
ومِنْ مُجْتَلَى ظَرْفِ
فِي سُمْرَةِ اللَّمَى،
فِي فَتْرَةِ الطَّرْفِ
التَّمَّ حُسْناً وِرْفَعَةً،
من أنْجُمِ القَذْفِ^(٣)

(١٦٢)

مِنْ أَنْجُمِ السَّعْدِ

قال يصف فرساً كريماً أشهب القوى
ضافي سَيْبِ الدَّيْلِ والعُرْفِ،
طَرْفاً به أَسْرَعَ مِنْ طَرْفِ
لم يَعْبُدِ اللَّهَ عَلَى حَرْفِ
يَوْمَ الوَغَى، من أنْجُمِ القَذْفِ

ومُشْرِفِ الهادي، طويلِ الشُّرَى،
يَصْرِفُ الفَارِسُ، فِي لِبْدِهِ،
مُؤَدِّباً لو كان مُسْتَعْبِداً،
من أنْجُمِ السَّعْدِ، ولكنَّه،

(١) بأطر: يتمايل ويتمايس. الحقف: أراد القامة، والحقف أصلاً: ما استطال من الرمل.

(٢) الدهاق: الكأس المترعة - ألحن في الصرف: أخطأ.

(٣) الصب: المحبب المشتاق - أنجم القذف: هي تلك التي كان العرب يعتقدون أن الشياطين يقذفونها وهم يصعدون لاستراق السمع من الملائكة.

قافية القاف

(١٦٣)

ذِكْرُكَ نَفْحَةً

وكتب هذه القصيدة إلى ممدوحه الفقيه أبي بكر بن مفوز:

أورى بأفكك بارقُ يتألقُ؛ وسقى ديارك وإبلٌ يتدفقُ^(١)
وتحمّلاً عني إليك تحيةً تندى على نفس القبولِ، وتعبقُ^(٢)
ووقيتُ فيك من الليالي، إنها غربانٌ بين بالتفرُّقُ تنعقُ
فلقد نأى ما بيننا: فمغربُ مستوطنٌ ظهر النوى، ومشرقُ^(٣)
ولئن سلوت، وما إخالك، ناسياً كرم الإخاء، فإنني أتشوقُ
ويهيئني نفسُ النسيمِ، إذا سرى، ويشوقني فيك الحمامُ الأورقُ^(٤)
فإذا تطلّع من سمالك بارقُ، أو طاف زورٌ من خيالك يطرقُ
خفقتُ لذكرك أضلعي، فكأن لي، في كلِّ جانحةٍ، جناحاً يخفقُ
وتملكتني لوعةٌ مشبوبةٌ، شوقاً إليك، وعبرةٌ تترقُّ
ولئن شحطت، فإنَّ عهدك زهرةٌ تندى، وذكرك نفحةٌ تُتسَّقُ

(١) أورى (الزند): أخرج ناره - الوابل: المطر الشديد.

(٢) نفس القبول: الريح الجنوبية - تعبق: تفوح.

(٣) النوى: الفراق.

(٤) الحمام الأورق: الأبيض.

يا دَوْحَةَ العَلِيَاءِ

قَدَمَ هَذِهِ القَصِيدَةَ إِلَى مَدُوحِهِ أَبِي بَكْرٍ بنِ الحَاجِّ:

لِذِكْرِكَ مَا عَبَّ الخَلِيْجُ يُصَفِّقُ؛
وَمَنْ أَجَلِّكَ اهْتَرَّ القَضِيبُ عَلَى النَّقَا،
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ خُلِقَكَ رَائِقُ،
حَسُنْتَ غِنَاءً وَاجْتِلَاءً وَخِبْرَةً،
وَأَنْتَ لُبَابُ السَّيْفِ أَمَا فِرْنَدُهُ
فَهَلْ عَلِمْتَ تِلْكَ الإِمَارَةَ أَنَّهَا
فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ تَظْمَأُ لَوْعَةً،
وَكَمْ مَنْطِقِي فَضْلٍ، هُوَ الدُّرُّ يُجْتَلَى
صَدَعَتْ بِهِ، دُونَ الحَقِيقَةِ، سُدْفَةٌ،
وَيَا رَبِّ لَيْلٍ بَتَّهْ فَوْقَ مَضْجَعِ
يَقُومُ بِكَ القَلْبُ الأَبْيُّ، وَتَارَةً
فَلَمْ تَغْتَمِضْ، وَالنَّجْمُ قَدْ مَالَ سَحْرَةً،
وَلِئَلَّيْ لِظِلِّ، قَدْ تَقَلَّصْ، أَخْضَرُّ؛
وَجَدُّكَ يَسْتَوَلِي، وَرَأْيُكَ يَنْتَضِي،
وَمَا صَدَّتِ الحَسَنَاءُ عَنْكَ زَهَادَةً،

(١) الرحيق: الخمر - الممتعق: الذي عتق، أي حفظ زمناً طويلاً حتى بات قديماً معتقاً.

(٢) موموق: محبوب ومثلها متعشق.

(٣) الفرند: جوهر السيف - غرب السيف: حدّه - مذلوق: الممدد الطرف.

(٤) المضجع المقض: الخشن التابي.

(٥) الجد: الحظ - ينتضي: مضارع انتضى (السيف): استله، أخرجه من غمده - يستجري: أي

يجعل الخيل تجري وتركض.

(٦) قيل أراد بالحسنا: القلعة أو البلدة.

فَظَلَّتْ تَجْرُ الدَّيْلَ تَيْهًا، وَإِنَّهَا
وَالْأَفْمَا لِلْقَطْرِ قَدْ فَاضَ عَبْرَةً،
تَخِفُّ بِهَا ذِكْرَاكَ، حَتَّى كَأَنَّهَا
وَتُهْدِي إِلَيْكَ الرِّيحُ عَنْهَا تَحِيَّةً،
فَعَاذِلْ بِهَا، خَلَفَ الْحِجَالِ، عَقِيلَةً،
يَزُرُّ عَلَيْهَا الصَّبْحُ جَيْبَ قَمِيصِهِ،
وَتَسْحَبُ فِيهَا الشَّمْسُ ذَيْلَ عَشِيَّتِهَا،
فَدُونُكَهَا حَسَنَاءَ لَا أَنَّ رَبَّهَا
تَرُوقُ، فَمَا تَدْرِي الرُّكَّابُ: أبلدة
وَتَأْرَجُ أَنْفَاسًا، وَتَنْدَى غَضَارَةً،
فَخَيْمٌ بِمَثْوَى الْمَجْدِ وَالسَّعْدِ، نَاطِمًا،
تَضِيقُ بِهِ أَنْفَاسُهَا وَيَزِينُهَا؛
فَهَلْ مِنْ نَسِيمٍ قَدْ تَضَوَّعَ يَنْتَحِي
يُهْتَىءَ عَنِّي كُورَةَ الشَّرْقِ إِنَّهَا
تَطَابَقْتُمَا مَرَأَى جَمِيلًا وَمَخْبَرًا،
لَكَ اللَّهُ مِنْ سَهْمٍ، يُسَدِّدُ سَعِيَهُ،
يَهْزُبُ بِهِ، مِنْ حَمِيرٍ، فَرَعٌ سَوْدَدٍ،
يَقْلُبُ عَيْنًا لِلْحَيَاءِ مَرِيضَةً

لَأَغْلِقُ رَهْنًا، فِي هَوَاكَ، وَأَعْلَقُ^(١)
هِنَاكَ، وَمَا لِلرَّعْدِ قَدَبَاتٍ يَشْهَقُ؟
يَطِيفُ بِهَا، مِنْ مَسِّ حُبِّكَ، أَوْلَقُ^(٢)
تَفْوَهُ بِمَا تَحْتَ الضُّلُوعِ فَتَنْطِقُ
قُصَارُ هَوَاهَا رَشْفَةً وَتَعْتُقُ
فَتَكْرَعُ فِي مَاءٍ بِهَا يَتَدَفَّقُ
فَتَشْرَبُ مِنْ خَمْرٍ، هِنَاكَ، تُرُوقُ
قَلَاهَا، وَلَكِنْ رُبَّ حَسَنَاءٍ تَطْلُقُ
تَوْؤُمُ بِهَا، أَمْ كَوَكْبًا يَتَأَلَّقُ
فَتَحْسِبُهَا نُورًا تَتَفَتَّقُ^(٣)
عَلَى نَحْرِهَا، عِقْدًا، مِنَ الْخَيْلِ، يُنْسَقُ
وَأَنْفِيسٌ بِهِ عِلْقًا يَزِينُ وَيَخْنُقُ
مَعَ الْفَجْرِ، أَيُّو بَرْقٍ تَأَلَّقُ يَخْفِقُ؟
لَبْحَرِكِ شَطِّ، أَوْ لَشَمْسِكَ مَشْرِقُ
فَهَا أَنْتُمَا تَاجٌ، يَرُوقُ، وَمَفْرِقُ
إِذَا طَاشَتْ الْأَلْبَابُ، رَأْيِي مُوَفَّقُ
كِرِيمَ الْجَنَى وَالظَّلَّ، يَسْمُو وَيَسْمُقُ^(٤)
تَغُضُّ، وَأُخْرَى لِلذِّكَاءِ تُحَدِّقُ

(١) يقال أغلق الرهن: أي صار المرتهن ملكاً للمرهون عنده لعجز الراهن عن افتكاكه - يقول: إن هذه القلعة باتت رهينة حب الممدوح وقد تعذر افتكاكها - أعلق: أكثر تعلقاً أي حباً وشغفاً.

(٢) الأولق: الهوس الشديد، الجنون.

(٣) النوراة: الزهرة - تفتق: تفتتحت أكمامها.

(٤) حمير: بنو حمير، من قبائل اليمن - السؤدد: المجد - يسمق - يعلو ويرتفع.

له همّة تُملِي عليه، وعزيمة تُجربه، في حومة الحرب، حيّة وتنفخ ريح النصر في قبس به، وينطق عن سيف، بفكّيه، صارم؛ ويصدغ شمل الليلة الخبل، كلما فناهض أبا يحيى، بعزمتك، الصبا، شهوداً بأوضح المساعي، كأنما وسايير أحاك البدر يهوي ويرتقي وسحبك شتى من عذاب ورحمة: وكيف تهاب الليث يزأر صولة، ودونك، من فتق المثقف، زبيّة فخذها، كما حيّت بها الهند مسكّة، وعنبرة شهباء تحمّل نفحة، تُشبّ لها نفس العدو، فكلما أسلت بها في جبهة الدهر غرّة، تُرنّ بها الرُكبان شرقاً ومغرباً، وحسبك من شعر يكاد، لدونة،

تخطّ بأطراف الرّماح وتمشّق^(١) تُنضّض، أو فتخا، هناك، تُحلّق^(٢) فتخرق أقطار العجاج، وتُحرق ويرمق عن سهم، بجفنيه، يمرق بدا فيلق ملء الفضاء فيلق^(٣) تُباري بك العيس المّهاري، فتعق^(٤) جرى منك، في صدر الكتبية، أبلق^(٥) جلالاً، ويربّد انكشافاً ويشرق فمن عارض يسقي وآخر يصعق فيرعّد، أو يرنو إليك ويبرق تهول، ومن خرق المهّد خندق؟^(٦) تعطّر أنفاس الرواة، فتعبق تنفّس في صدر النديّ فتشّق أرى هذه تُذكي أرى تلك تحرق جرى الحسّن ماءً فوقها يترقرق فتشثم طوراً، بالثناء، وتغرق^(٧) يُعنى به النبت الهشيم، فيورق

(١) العزيمة: الإرادة الماضية - تمشّق: تسرع طعنا.

(٢) الفتخا: مخفف الفتخاء، وهي العقاب، من الطيور الجارحة.

(٣) الفيلق: الجيش أو القطعة منه.

(٤) العيس: الإبل - تعق: تسرع وتنشط في سيرها.

(٥) الأبلق: الأبيض.

(٦) الزبيّة: حفرة تعدّ لقنص الوحوش.

(٧) تشثم: تتجه نحو الشام، وتغرق: تتجه نحو العراق.

فيا دوحة العلياء حَيْتِكَ روضةً،
 لها من صَقِيلِ الثُّورِ ثَغْرٌ مُفْلَجٌ
 عليها رداء، للربيع، منمَّقٌ
 مع الريح تَنْدَى، أو مع الطيفِ يَطْرُقُ

(١٦٥)

أَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ

أَمَقَامٌ وَصَلِ أَمَ مَقَامٌ فِرَاقِ،
 خَفَاقَةٌ مَا بَيْنَ نَوْحِ حَمَامَةٍ،
 عَيْثُ بِهِنَّ يَدُ الثُّعَامَى سَحْرَةٌ،
 أَكْسَبَنَنِي خُلِقَ الْوَفَاءِ، وَرَبَّمَا
 ضَمًّا وَلَثْمًا وَاسْتِطَابَةَ نَفْحَةٍ،
 فَلَوْ أَنَّ سَرْحَةَ بَطْنِ وَاِدٍ، بِاللَّوَى،
 لَنَثَرْتُ بِالْجِرْعَاءِ عِقْدَ مَدَامَعِي،
 وَأَرَقْتُ فَضَلَ صُبَابَةٍ لَصَبَابَةٍ،
 فإِيكَ يَا نَفْسَ الصَّبَا، فَلَطَالَمَا
 هَا إِنَّ بِي لَمَّمَا يُؤرِّقُ نَاطِرِي
 سِرِّ وَادِعَا، لَا تَسْتَطِرُّ قَلْبًا هَفَا
 وَإِذَا طَرَقَتْ جَنَابَ قُرْطَبَةٍ، فَقِفْ،
 وَالثَّمَّ يَدَ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ عَنِ الْعُلَى،

فَالْقُضْبُ بَيْنَ تَصَافِحِ وَعِنَاقِ
 هَتَمْتُ، وَدَمَعِ غَمَامَةٍ مُهْرَاقِ^(١)
 فَوَضَعْنَ أَعْنَاقًا عَلَى أَعْنَاقِ^(٢)
 أَذْكَرَنَنِي بِمَوَاقِفِ الْعُشَاقِ
 وَخُفُوقِ أَحْشَاءِ وَفِيضِ مَآقِ
 حَيْثُهَا، تُصْغِي إِلَى مُشْتَاقِ
 فَفَضَضْتُ خَتَمَ الصَّبْرِ عَنِ أَعْلَاقِي
 فَرَفَعْتُ مَا أَخْلَفْتُ مِنْ أَخْلَاقِي^(٣)
 أَذْكَى نَدَاكَ حَرَارَةَ الْأَشْوَاقِ
 أَلْمَا، فَهَلْ مِنْ نَافِثِ، أَوْ رَاقِ؟^(٤)
 بِجِنَاحِ شَوْقِي، رِشْتِهِ، خَفَاقِ^(٥)
 فَكَفَاكَ مِنْ نَاسٍ وَمِنْ آفَاقِ
 مُتَشَكِّرًا، وَاضْمُمُهُ ضَمَّ عِنَاقِ

(١) المهرق: المنسكب الذي أريق، من هراق بمعنى أراق.

(٢) النعامي: ربح جنوية.

(٣) الصُّبَابَةُ: بقية الكأس - الصُّبَابَةُ: الشوق إلى المحبوب.

(٤) اللمم: المس من الجنون - النافث: اسم فاعل من نفث فلاناً: سحره - الراقي: الذي يستعمل

الرقية وهي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق في قوتها قوى الطبيعة.

(٥) رشت الجناح: جعلت له ريشاً، أي ساعدته على الطيران، والعبارة مجازية.

وافْتَقَ بِنَادِيهِ التَّحِيَّةَ زَهْرَةَ،
 كالشمس يوم الدَّجْنِ تَنَدَى مُجْتَنِي
 واهزُّزُ بِهَا مِنْ مِعْطَفِيهِ، فَأَتَمَّا
 وَالنَّوْرُ يَرْقُمُ مِنْ بَسَاطِ بَسْطَةِ؛
 وَسِمِ الحِمَامَةِ أَنْ تُجِيبَ تَغْنِيًّا،
 مُتْرَكِّبٍ عَنِ نَفْحَةِ فِي لَفْحَةِ؛
 وَخِطَابِ بَرِّ نَابٍ عَنْهُ سِفَارَةٌ؛
 تَنَدَى عَلَى كَيْدِي لُدُونَةُ مَنْطِقِي،
 فَهِنَاكَ أَرْوَعُ مَلءُ رُوعِ الْمُجْتَلِي،
 هَزَجَتْ بِهِ، هَزَجَ الحَمَامِ، مَحَامِدٌ،
 لَدُنَّ الحَوَاشِي، لَوْ أَطَلَّ غَمَامَةٌ
 شَرُفَتْ بِهِ فُقُرُ الشَّائِ، وَرَبَّمَا
 جَمُّ العُلَى، مَسَحَتْ بِهِ كَفُّ العُلَى
 يُزْهِى بِأَعْلَاقِ المعَالِي، حِلِيَّةٌ،
 طَالَتْ بِهِ، رُمَحَ السَّمَاءِ، يِرَاعَةٌ،
 مَا حَطَّ، مِنْ غُرْرِ الحِسَانِ، وَضَاءَةٌ،
 مُغْرَى بِأَغْرَاضٍ، تَهْوُلُ بِرَاعَةٌ،
 تَهْفُو بِهِ، طَوْرًا، قُدَامِي بَارِقِ
 أَقْسَمْتُ لَوْ أَخَذَ الهَيْلَالُ كَمَالَهُ

نَفَّاحَةً تُغْنِي عَنِ اسْتِشْقَاقِ
 ظِلِّ، وَتَحْسُنُ مُجْتَلَى إِشْرَاقِ^(١)
 شَعَشَعَتْهَا كَأَسَاءَ يُؤْمِنِي سَاقِ
 وَالعَيْمُ يَنْشُرُ مِنْ جَنَاحِ رِوَاقِ
 عَنِ مَنْطِقِ مَاضٍ، بِلُبِّي، بَاقِ
 وَكِفَاكَ مِنْ كَاسٍ، هِنَاكَ، دِهَاقِ
 إِنَّ الخِطَابَ، عَلَى البُعَادِ، تَلَاقِ
 فَتَقِي بِحُرِّ تَرَائِبِ وَتَرَاقِ
 يَقْظَانُ مُوْتَقُ عِقْدَةِ المِيثَاقِ^(٢)
 حَمَلْتُ حُلَاهُ مَحْمَلِ الأَطْوَاقِ
 لَخَلَا مِنْ الإِرْعَادِ وَالإِبْرَاقِ
 تَشَرَّفَ الأَطْوَاقُ بِالأَعْنَاقِ
 عَنِ حُرِّ وَجْهِ مُطَهَّهِمْ سَبَّاقِ
 إِنَّ المعَالِي أَنْفَسُ الأَعْلَاقِ
 تَسْتَضِعِفُ الجَوَازِءَ شَدَّ نِطَاقِ^(٣)
 حَتَّى اسْتَمَدَّ لَهَا مِنْ الأَحْدَاقِ
 وَرَفِيفِ أَلْفَاطِ، تَشْوِقُ، رِقَاقِ
 فِيهَا، وَأَوْنَةٌ، جَنَاحُ بُرَاقِ^(٤)
 عَنْهُ، لَتَمَّ تَمَامَ غَيْرِ مَحَاقِ^(٥)

(١) يوم الدَّجْنِ : يوم المطر الكثير .

(٢) الروع : القلب - يقظان : يقظ، شديد الوعي .

(٣) السماك : هو السماك الراح وهو من برج العذراء - الجوزاء : من الأبراج .

(٤) البراق : هي المطية التي امتطها النبي في ليلة المعراج وهي في الحجم بين الحمار والبغل .

(٥) المحاق : آخر الشهر القمري .

وَكَفَاكَ مِنْ غُصْنٍ، لَسَطِرٍ بِبَلَاغَةٍ،
مُسْتَبَدِعٍ حُسْنًا، فَمَنْ مَعْنَى لَهُ
مُتَوَلِّدٍ عَنِ خَاطِرٍ مُتَوَقِّدٍ،
وَلَوْ كَانَ يُرْهَفُ صَارِمًا، لَهَزَزْتُهُ

مَتَّاسِقِ الْأَثْمَارِ وَالْأَوْرَاقِ
حُرًّا، وَمِنْ لَفْظِ رَقِيقِ رَوَاقِ^(١)
لِهَيَا، وَطَبِيعِ سَلْسَلِ دَفَّاقِ
فِي مَاءِ إْفِرِنْدِ، لَهُ، رَقْرَاقِ

(١٦٦)

أُنْدُبُ الْمَجْدِ وَالنَّدَى

قال هذه المرثية نادباً الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

أَلَا لَيْتَ لَمَحَ الْبَارِقِ الْمُتَأَلَّقِ،
وِيرَكَبُ، مِنْ رِيحِ الصَّبَا، مَتَنَ سَابِحِ
فِيهِدِي إِلَى قَبْرِ، بِحِمَصِ، تَحِيَّةً
فَعَنْدِي لِحِمَصِ أَيُّ نَظْرَةٍ لَوْعَةٍ،
حَنَانًا إِلَى قَبْرِ، هِنَالِكَ، نَازِحِ،
وَكَيْفَ بِشَكْوَى سَاعَةٍ أَشْتَفِي بِهَا،
فَهَلْ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ مَا بَاتَ يَنْطَوِي
وَقَدْ أَذْكَرْتَنِي الْعَهْدَ بِالْأَنْسِ أَيْكَةً،
وَأَكْبَيْتُ أَبْكَيَ بَيْنَ وَجْدٍ، أَظْلَنِّي،
وَأَنْشَقُّ أَنْفَاسَ الرِّيَاحِ تَعْلُلًا،
وَلَمَّا عَلَتْ، وَجَهَ النَّهَارِ، كَابَةً،

يُلْفُ ذُيُولَ الْعَارِضِ الْمُتَدَفِّقِ
كَرِيمِ، وَمِنْ لَيْلِ السُّرَى، ظَهَرَ أَبْلَقِ
مَتَى تَحْتَمِلُهَا رَاحَةُ الرِّيْحِ تَعَبَقِ
وَلِلنَّجْمِ، وَهِنَا، أَيُّ نَظْرَةٍ مُطْرَقِ^(٢)
وَشِلْوِ، عَثَا فِيهِ الْبَلَى، مُتَمَرِّقِ^(٣)
وَدُونَ التَّلَاقِي كُلِّ بَيْدَاءَ سَمَلَقِ؟^(٤)
عَلَيْهِ الْحِشَا، مِنْ لَوْعَةٍ وَتَحْرُقِ؟
فَأَذْكَرْتُهَا نَوَاحِ الْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ^(٥)
حَدِيثِ، وَعَهْدِ، لِلشَّبِييَةِ، مُخْلِقِ
فَاعْدَمُ فِيهَا طِيبَ ذَاكَ التَّنَشُّقِ
وَدَارَتْ بِهِ، لِلشَّمْسِ، نَظْرَةُ مُشْفِقِ

(١) الرواق: الصفاء.

(٢) اللوعة: حرقة الحزن - وهنأ: ليلاً - نظرة المطرق: أي نظرة الصامت ورأسه منحني نحو الأرض.

(٣) عثا فيه البلى: بالغ في إفساده - البلى: من بلي الثوب، أي رث.

(٤) البيداء: الفلاة جمع بيد - السملق: القاع الصفصف.

(٥) الأيكة: الشجر الكثير الملتف - الحمام المطوق: واحده المطوقة وهي ذات الطوق.

عَطَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ أَجْهَشُ، تَارَةً،
 وَقَلْتُ لِمُغْفٍ لَا يَهُبُّ مِنَ الْكَرَى،
 لَقَدْ صَدَعَتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ شَمَلْنَا،
 وَإِنْ يَكُ، لِلخَلَّيْنِ، نَمَّ، التَّقَاءَةُ،
 فَأَعَزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَبَاعَدَ بَيْنَنَا،
 فَهَا أَنَا وَقَفْتُ بَيْنَ دَمْعٍ وَزَفْرَةٍ،
 فَسَقِيَا لِقَبْرِ بَيْنَ أَضْلَعِ تُرْبَةٍ،
 وَالْوَيِّ ضُلُوعِي أَنْدُبُ الْمَجْدِ وَالنَّدَى
 إِذَا قُمْتُ أَخْطُو خُطْوَةً بِفَنَائِهِ،
 وَمَهْمَا لَثَمْتُ الْأَرْضَ شَوْقًا لِلْحَدِ،
 وَمِثْلِي يَبْكِي لِلْمُصَابِ بِمِثْلِهِ،
 فَقَدْ كَانَ، يَوْمَ الرَّوْعِ، أَيْضًا صَارِمًا
 أَغْرُ طَلِيقُ الْوَجْهِ يَهْتَزُّ لِلْعُلَى،
 وَيَسْتَصْحَبُ الذَّكَرَ الْجَمِيلَ فَيَرْتَدِي
 وَيَرْمِي بِسَهْمٍ، لَا يَطِيشُ، مُفَوِّقٍ،
 نَفْضَى بَيْنَ كَفِّ، لِلسَّمَاحِ، مُغِيمَةٍ،
 وَكَمْ لِلْحَيَا مِنْ أَدْمَعٍ فِيهِ نَرَّةٌ؛
 وَلِلْبَرْقِ مِنْ قَلْبٍ بِهِ مُتَمَلِّمٍ؛
 كَأَنْ لَمْ أَشْمِ، مِنْ بَشِيرِهِ، بَرَقَ مُزْنَةٌ،
 وَلَا قَلْتُ مِنْهُ بَيْنَ ظِلِّ لِعَطْفَةٍ

وَأَلْثُمُ، طَوْرًا، تُرْبَهَا مِنْ تَشْوُفِي
 وَقَدْ بَتُّ مِنْ وَجْدٍ بَلِيلِ الْمُؤَرَّقِ^(١)
 فَهَلْ مِنْ تَلَاقٍ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ؟
 فَيَأَلَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ، أَوْ كَيْفَ نَلْتَقِي؟
 فَلَمْ يَدِرْ مَا أَلْقَى وَلَمْ أَدْرِ مَا لَقِيَ
 أَرَى ذَاكَ يُهْوِي حَيْثُ هَاتِيكَ تَرْتَقِي
 مَتَى أَتَذَكَّرُهُ بِهَا أَتَشْوَقُ
 بِأَفْصَحِ دَمْعٍ، تَحْتَ أَحْرَسِ مَنْطِقِ
 تَعَثَّرْتُ فِي دَمْعٍ بِهِ مُتَرَقِّقِ
 وَجَدْتُ نَرَاهَا طَيِّبَ الْمُتَشَشِّقِ
 فَإِنْ أَخْلَقَ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَأَخْلَقِ^(٢)
 بِكْفِي، وَيَوْمَ الْفَخْرِ، تَاجًا بِمَفْرِقِي
 وَيَمْضِي مَضَاءَ الْمَشْرِفِيِّ الْمَذَلِّقِ
 بِأَحْسَنَ مِنْ وَشِيِّ الرَّبِيعِ، وَأَعْبَقِي
 يُقْرِطُسُ فِي يُمْنِي سَعِيدٍ مُوَفَّقِ^(٣)
 تَفِيضُ، وَوَجْهِ، لِلطَّلَاقَةِ، مُبْرِقِ
 وَلِلرَّعْدِ مِنْ جَيْبٍ عَلَيْهِ مُشَقَّقِي
 وَلِلنَّجْمِ مِنْ طَرْفٍ عَلَيْهِ مُؤَرَّقِي
 تَصُوبُ بِوَكَّافٍ، مِنَ الْجُودِ، مُغْدِقِ^(٤)
 تَنْدَى، وَنُورِ، لِلْبَشَاشَةِ، مُونِقِي

(١) المغفي: النائم - الكرى: النوم - المؤرق: الذي لا ينام.

(٢) أخلق الصبر: صار خلقاً بالياً أي انعدم - أخلق: أي أجدر به أن يكون كذلك.

(٣) يقراطس: يحقق غرضه.

(٤) الجود المغدق: العطاء المتسع.

ولم أَلْتَفِتْ من وَجْهِه، لَيْلَةَ الشُّرَى،
 فما ابنُ شَمَالٍ باتَ يَهْفُو، كأَنَّمَا
 سَرَى بَيْنَ دَفَّاعٍ، من الودقِ، مُغْدِقِ،
 بأندى ذِيولاً من جُفُونِي، مَوْهِنَا،
 إلى فيلَقِي يَلْقَى الظَّلَامَ بِفَيْلَقِ
 به، خَلَفَ أَسْتارَ الدُّجَى، مَسُّ أَوْلَقِ^(١)
 يَسُخُّ، وَلَمَّاعٍ، من البَرَقِ، مُحْرِقِ
 وأهفى جَناحاً مِن ضُلُوعِي وأخْفَقِ

(١٦٧)

ثَمَارُ النَّارِنجِ

وَمَحْمُولَةٍ فَوْقَ المَنائِكِ، عِزَّةً،
 رَأَيْتُ بِمِراءِها المُنَى كَيْفَ تَلْتَقِي،
 يَضاحِكُها نَعْرُ، من الشمسِ، واضِحٌ،
 وتُجلى بها للماءِ والنارِ صُورَةٌ،
 لها نَسَبٌ، في رَوْضَةِ الحَزَنِ، مُعْرِقُ^(٢)
 وَشَمَلَ رِياحِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ تَفَرَّقُ
 وَيَلحَظُها طَرْفٌ، من الماءِ، أَرْقُ
 تَرُوقُ، فَطَرَفِي حَيْثُ يَغْرُقُ يُحْرِقُ^(٣)

(١٦٨)

تَخالُ خَيْلانَهُ كِواكِبِ

غازَلتَهُ من حَيْبٍ، وَجْهُه فَلَقُ،
 وارْتَجَّ يَعُثِرُ فِي أذْيالِ خَجَلتِهِ،
 تَخالُ خَيْلانَهُ، في نورِ صَفْحَتِهِ،
 عَجِبْتُ، وَالعَيْنُ ماءً وَالْحِشا لَهَبٌ،
 فما عدا أَن بَدَا في خَدِّه شَفَقُ^(٤)
 غُصْنٌ، بِعِطْفِيهِ، من اسْتَبْرَقِ ورَقِ^(٥)
 كِواكِباً، في شُعاعِ الشمسِ، تَحْتَرِقُ^(٦)
 كَيْفَ التَّقَّتْ بِهَما، في جَنَّةٍ، طُرُقِ

(١) الدُّجَى: الليل - مَسُّ أَوْلَقِ: مَسَّ الجنون.

(٢) الحزن: المكان المرتفع - المعرق: ذو النسب المتأصل.

(٣) النار: أراد لون النار وهو لون ثمار النارج الحمراء المعروفة بليمون أبو صفير.

(٤) الفلق: اشراق الصبح - الشفق: احمرار الأفق عند الغروب.

(٥) الاستبرق: الثياب الحريرية.

(٦) الخيلان: جمع الخال وهو عبارة عن الشامة في الخد أو موضع آخر من الجسم.

(١٦٩)

عِنْدِي لَوْعَةٌ

يا مُتَرْفِئاً يَمْشِي الْهُوَيْنَا، غِرَّةً،
جَمَعَتْ ذُؤَابِثَهُ وَنُورُ جَبِينِهِ
هل كان عندك أن عندِي لَوْعَةٌ،
طالَتْ مُرَاقِبَةُ الْخِيَالِ، وَدُونِهِ،
ما يبين نَحْرٍ بِالدموعِ مُقْلَدٍ
ويَهْزُ أَعْطَافَ الْقَضِيبِ الْمُورِقِ^(١)
بين الدُّجْنَةِ وَالصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ
يَنْبُو لَهَا طَرْفُ السَّنَانِ الْأَزْرَقِ^(٢)
رَغِي الدُّجَى، فَمَتَى أَنَامُ فَتَلْتَقِي
فرحاً، وَجِيدٍ بِالْعِنَاقِ مُطَوِّقِ

(١٧٠)

تَذُوبٌ عَلَيْهَا الْحَدَقُ

لِيَهْنَكَ وَإِفْدُ أَنْسِ سَرَى،
فَمَا شِئْتَ مِنْ مَاءٍ وَرِدٍ بِهِ
وَسَوْدَاءَ تَدْمَى بِهِ مَنَحَرًا،
وَأُقْسِمُ لَوْ مُثِّلْتُ، لَيْلَةً،
سَتَخْلَعُ، مِنْ فَرَوْهَا، ضَحْوَةً،
فِيَا حُسْنَ حَضْرٍ لَهَا أَحْمَرٍ،
وَمَا رَفَلْتَ فِي قَمِيصِ الظَّلَامِ،
وَلَكِنْ تَسِيلُ عَلَيْهَا الْقُلُوبُ
فسرَى، وَفَضْلُ سُرُورٍ طَرَقِ^(٣)
أَرَقًا، وَمِنْ ثُوبٍ حُسْنِ أَرَقِ
كَمَا أَعْتَرَضَ اللَّيْلُ تَحْتَ الشَّفَقِ
لِعَفْتُ الْكُرَى وَاسْتَطَبْتُ الْأَرَقِ
سَوَادَ الدُّجَى عَنْ بِيَاضِ الْفَلَقِ
وَمِئْزَرَ شَحْمٍ عَلَيْهِ يَقَقُ^(٤)
وَلَا اسْتَمَلَّتْ بِرِدَاءِ الْعَسَقِ
هوَى، وَتَذُوبٌ عَلَيْهَا الْحَدَقِ^(٥)

(١) يمشي الهوينا: أي متمهلاً - الغرّة (هنا): الغرور - القضيب المورق: القامة الهيفاء.

(٢) اللوعة: حرقه الحزن - ينبو لها: يتعثر دونها.

(٣) سرى: سار ليلاً - سرى (عن فلان): أذهب عنه الهمّ والحزن.

(٤) اليقق: الأبيض.

(٥) الحدق: العيون.

(١٧١)

ابْتَسَمْتُ عَنْ فَلَاقٍ

تَجَرَّدَتْ عَنْ غَسَقِي، وَابْتَسَمْتُ عَنْ فَلَاقِي^(١)
وَأَمَكَنْتُ مِنْ خُلُقِي، مُلْتَهِي بِ، مُحْتَرِقِي
ثُمَّ نَضَّتْ، تَعَثَّرُ فِي فَضْلَةِ بُرْدِ شَرِقِي^(٢)
كَمَا تَوَلَّيْتُ لَيْلَةَ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْغَسَقِي

(١٧٢)

أَحْشَاؤُهَا تَخْفِقُ

وَلَجَّيْتِ تَفْرِقُ أَوْ تَعَشَّقُ، فَمَا تَنِي أَحْشَاؤُهَا تَخْفِقُ^(٣)
يَسِيرُ فِيهَا سَائِرُهَا جَهًا مِنْ الصَّبَا، مُزِيدُهُ يُقْلِقُ^(٤)
فَخَلَّتْنِي، فِي وَسْطِهَا، فَارِسًا قُرْبَ مِنْهُ فَرَسٌ أَبْلَقُ^(٥)

(١٧٣)

لَهَوْتُ بِهَا

صَحَا، عَنِ اللَّهْوِ، صَاحٍ عَافَهُ خُلُقًا، فِقَامَ يَخْلَعُ سِرْبَالًا لَهُ خَلَقًا^(٦)
وَعَطَّلَ الْكَأْسَ مِنْ شِقْرَاءَ سَابِحَةٍ، أَلَا كَفَاهَا بِرِيعَانِ الصَّبَا طَلَقًا^(٧)
وَرُبَّ لَيْلَةٍ وَصَلِي قَدْ لَهَوْتُ بِهَا، مُغَازِلًا فَلَقًا، أَوْ شَارِبًا شَفَقًا

(١) الغسق: أول ظلمة الليل - الفلق: طلعة الصبح.

(٢) نضت (الثوب): خلعت - البرد: الثوب - البرد الشرق: الثوب المشرق، ذو اللون الزاهي.

(٣) تفرق: يفرع منها، من الفرق وهو الخوف والفرع - تخفق: تختلج.

(٤) هاجها: أثارها، حرّكها - الصبا: ريح الصبا.

(٥) الأبلق: الفرس الذي في لونه بياض وسواد.

(٦) الخلق: الطبع - الخلق: البالي.

(٧) الطلق: الشوط، المدى.

لا نَنْشُرُ الدُّرَّ فِيهِ، بَيْنَنَا، كَلِمَا
 وَرُبَّ غُرَّةٍ عَبْرَى قَدْ شَرِقَتْ بِهَا،
 حَتَّى أُقْبَلَهُ، مِنْ مَيْسِمٍ، نَسَقَا^(١)
 فِي مَوْقِفٍ لِلنَّوَى أَضْرَمْتُهُ حُرْقَا^(٢)
 بِهَا، وَمَا اسْوَدَّ مِنْ صُدْغِيهِ مُحْتَرِقَا

(١٧٤)

لا هَوَادَةَ

من مَوْقِفٍ أَفْصَحَتْ بِيضُ السِّوْفِ بِهِ،
 فَكَمْ أَنْيَابٍ خَطِيٍّ بِهِ كُسِدَتْ،
 فَلَآ هَوَادَةَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالْعُنُقِ
 تَدْمَى، وَكَمْ سَلَخِ دَرِعٍ، بَيْنَهَا، مَزِقٍ^(٣)
 عَلَى نَدِيمٍ، مِنَ الْأَبْطَالِ، مُغْتَبِقِ
 وَالخَيْلُ تَفْرِي جُيُوبَ النَّعْجِ مِنْ حَرْبٍ،
 تَحْتَ الكُمَاةِ، وَتُذْرِي أَدْمَعَ الْفَرْقِ^(٤)
 مِنْ أَشْهَبٍ شَقَّ عَنْهُ النَّعْجُ هَبْوَتَهُ،
 كَمَا تَفَرَّى أَدِيمُ اللَّيْلِ عَنِ الْفَلَقِ^(٥)
 وَأَدْهَمَ فَضْضَ التَّحْجِيلِ أَكْرَعَهُ،
 كَمَا تَعَلَّقَ بَدَأُ الصُّبْحِ بِالْغَسَقِ^(٦)
 وَأَشْقَرِ سَائِلٍ، فِي وَجْهِهِ وَضَحٌ،
 كَمَا تَصَوَّبَ نَجْمُ الرَّجْمِ فِي الشَّفَقِ^(٧)

(١٧٥)

لِكُلِّ مَرْقَبَةٍ لَوَاءٌ

يَا حَبَّذَا، وَالْبَرْقُ يَزْحَفُ بُكْرَةً،
 جَيْشًا رَاحِيَتِي، دُونَهُ، وَحَرِيْقٍ^(٨)

(١) نثر الدر نسقاً: أي منظوماً.

(٢) عبرى: أي العين الدامعة.

(٣) أراد بأنابيب خطي: الرماح التي تصنع في بلدة الخط، من مرافئ البحرين - السلخ: الجلد - المزق: المطعون، المشقوق.

(٤) النقع: الغبار - الكمأة: جمع كمي الفارس اللابس السلاح - أدمع الفرق: أدمع أو دموع الخوف.

(٥) الهبوة: الغبار - تفري: تقطع، تمزق - الفلق: طلعة الصبح.

(٦) التحجيل: أن يكون في قوائم الفرس بياض.

(٧) الوضح: البياض.

(٨) الرحيق: الخمر.

حتى إذا ولى، وأسلم، عنوة،
أخذ الربيعُ عليه كلَّ نَيْيَّةٍ،
ما شئتَ من سهلٍ وذروة نيقٍ^(١)
فبِكُلِّ مَرْقَبَةٍ لواءٍ شَقِيْقٍ

(١٧٦)

يبوحُ بسرَّ الليلِ

تحلَّت به، من كوكبٍ، لبَّة الدجى؛
وبسَّ، وعندى للصباح مُلاءةٌ،
يُشافهني منه لسانُ ابنِ رملَةٍ،
ويُنحِرُ دوني، جنحَ كلِّ دُجَّةٍ،
وحفَّ به طرفٌ، من الليلِ، أبلقٌ^(٢)
تَرُوقُ، وجيبٌ، للظلامِ، يمزقُ
يبوحُ بسرَّ الليلِ، والليلُ مطرقٌ^(٣)
سِنانٌ صَقِيلٌ، لِلذُّبَالَةِ، أزرَقٌ^(٤)

(١٧٧)

مَنْ يوثقُ

لَا تُودِعَنَّ، ولا الجَمَادَ، سَرِيرَةَ،
وَإِذَا المِحْكُ أَذَاعَ سِرًّا أَخَ لَه،
فَمِنَ الصَّوَامِتِ ما يُشِيرُ، فَيَنْطِقُ
فانظُر، فَدَيْتُكَ، من تُراهُ يوثقُ

(١٧٨)

الصغيرة تجرُّ عَظِيمَةً

قُلْ ما تَشَاءُ بِمَحْفِلٍ أو مَجْهَلٍ،
إِنَّ الصَّغِيرَةَ قَدْ تَجُرُّ عَظِيمَةً،
واخزُنْ لسانَكَ عن مَقالِ يوبقٍ^(٥)
ولربما أودى، بِشاهِ، يَبْدَقُ^(٦)

(١) النيق: أعلى قمة في الجبل.

(٢) اللبَّة: موضع القلادة من الصدر، والكلمة مأخوذة من لب الشيء أي خالصة - الأبلق: الأبيض.

(٣) أراد بلسان ابن رملة: القلم. سمى القلم كذلك لأنه متخذ من القصب الذي ينبت في أرض رملية.

(٤) يصف ذبالة السراج فيشبهها بالسنان ويقول إن لسان نار السراج يذبح مبدداً جناح الظلام من حوله.

(٥) يوبق: يهلك.

(٦) أودى به: أهلكه - الشاه والبيدق: من حجارة الشطرنج.

(١٧٩)

أَتْرَى غَيْرَتَكَ

من شعره في مداعبة بعض الأخوان

قُلْ لِلْمُقِيمِ مَعَ الثُّفُوسِ عَلاَقَةٌ: يا رَاكِباً ظَهَرَ الْمَطِيِّ بُراقاً^(١)
لِمَ صِرْتَ تَرغِبُ عَن سجايا حُرَّةٍ، قد كُنْتَ مُقتَنياً لها أَعلاقاً
أَتَمُرُّ لا تَلوي عَلى مَثوى أَخِي ثِقَّةً، ولا تَقِفُ الرُّكابَ فُواقاً؟^(٢)
أَتْرَى الوِزارَةَ غَيرَتَكَ خَليقَةً؛ إنَّ الوِزارَةَ تَنقُلُ الأَخلاقاً

(١٨٠)

قُلْ لِلْحَمِيمِ

بعث هذه المنظومة إلى أبي عبد الله محمد بن عائشة يدعو

لمجلس أنس ويصف له حال صديق لهما عزت معالجه:

يا هِزَّةَ الغُصَنِ الوَرِيقِ، وبِشاشَةِ الرِّوَضِ الأَنِيقِ
أَتَتَكُمَا بَشَري بِسُقييَا، أم سَلامٍ مَن صَدِيقِ
فَهَزَزْتَ مَن عَظِفِ نَدِ، وَسَفَرْتَ عَن وَجهِ طَليقِ
ولقد أَقوُلُ، إذا سَري بَينَ الأَفاحِبي والشَّقِيقِ
بِالله يا نَفَسَ الصُّبَا: حيِّ الصَدِيقَ عَن الصَدِيقِ
قُلْ لِلحَبيبِ، بَلِ الحَمِيمِ، بَلِ الشَّفِيقِ، بَلِ الشَّقِيقِ
يا مُلتَقَى الخُلُقِ الشَّرِيفِ، وهِشَّةَ الوَجهِ الطَّليقِ
إنَّ النَّجاةَ بَعيِدةً، فاسلُكِ بنا قَصدَ الطَّريقِ
واركُضِ بنا رَكنَ حَديثاً، فيهِ، عَن نَظَرِ دَفيقِ^(٣)
فَلِمِثلِها مَن شَقَّيةً، أَعَدَدْتُ مِثْلَكَ مَن رَفيقِ

(١) أراد بالبراق المطية السريعة .

(٢) الفواق: البرهة القصيرة من الزمن . - الهشة: البسمة من هش تبسم وخف للمعروف .

(٣) الركض الحثيث: السريع الجاد .

فازْغَبَ بِنَفْسِكَ عَنْ مَكَانٍ،
 وَارْكَبُ بِنَا اللَّفْظَ الْجَلِيلَ،
 وَاَمْسَحْ قَدِي طَرْفِ بِهِ،
 وَشُبِّ الوَعِيدَ بِمَوْعِدِ،
 وَتَلَاَفَ، مِنْ بَحْرِ الشُّكَاةِ،
 لَا بِالسَّقِيمِ وَلَا الصَّحِيحِ
 لَوْ جِئْتَهُ فَفَجَأَتْهُ
 لَا تَبَخَّلَنَّ بِنَفْحَةٍ،
 وَارْبَعِ بِوَادٍ، عُشْبُهُ

قَدْ نُبِذْتَ بِهِ، سَحِيقِ (١)
 وَسِرِّ إِلَى الْمَعْنَى الدَّقِيقِ
 يَمْتَدُّ فِي فَجِّ عَمِيقِ
 فَالْمَاءُ يُمَزَّجُ بِالرَّحِيقِ
 أَخَا يَمْدَ يَدَ الْغَرِيقِ
 وَلَا الْأَسِيرِ وَلَا الطَّلِيقِ
 لِأَقْلَ جَفْنَ الْمُسْتَقِيمِ
 وَثَرَاكَ مِنْ مِسْكِ فَتِيقِ
 خَصِصْ، وَنَمْ فِي رَأْسِ نَيْقِ (٢)

لَوْلَاكَ

كَتَبْتُ، وَقَدْ خَصِرْتُ رَاحَتِي،
 وَقَدْ أَعَوَزْتُ نَارُهَا، جُمْلَةً،
 فَهَلْ مِنْ حَرِيقِ لِكَاسِ الرَّحِيقِ
 فَلَوْلَاكَ شَبَّهْتُهَا بِالصَّدِيقِ

(١٨١)

يَا رَاكِضًا . . .

يَا رَاكِضًا فِي شَوِّ كُلِّ سِيَادَةٍ،
 مُتَقَيِّظًا تَنْدَى حَوَاشِي لَفِظِهِ،
 مَا حَامِلٌ خُطَطَ الْمَهَابَةِ حَامِلٌ،
 مُتَعَدِّبٌ مَا زَالَ يَضْرِبُ يَوْمَهُ
 مَا إِنْ يَسِيرُ مَعَ الصَّبَاحِ لِشَأْنِهِ،
 أَعْيَا تَرَسَّلُهُ الرِّيَّاحُ لِحَاقَا
 سَلَسًا، وَيَلْفَحُ فَهْمُهُ إِحْرَاقَا
 مَا قَامَ فِي الْعَلْيَاءِ يَنْقُلُ سَاقَا
 كَدًّا، وَيُحْنِقُ لَيْلَهُ إِسْفَاقَا (٣)
 حَتَّى يَشُدَّ مَعَ النَّفُوسِ نِطَاقَا

(١) المكان السحيق: الثائي، البعيد.

(٢) النيق: أعلى قمم الجبل.

(٣) الإسفاق من أسفق وسفق فلاناً: لطمه والباب رده.

قافية الكاف

(١٨٢)

سَوَاكُ فَعَدَّلَكَ

كفى حكمةً لله أنّك صائرٌ تُراباً، كما سَوَاكَ قَبْلُ، فَعَدَّلَكَ^(١)
 وإن شئتَ مَرَأى كيفَ كَوْنٌ ثانياً، فدُونَكَ، فانظرْ كيفَ كَوْنٌ أَوْلَكَ
 فهل أنتَ، في دارِ الفناءِ، مُمَهَّدٌ، محلُّكَ، في دارِ البقاءِ، ومنزِلُكَ؟

(١٨٣)

نَامَ مِنِّي ظَالِمٌ

كتب الشاعر هذه الأبيات إلى الأمير أبي بكر:

أوجهُكَ بسّامٌ وطرفيَ باكي؛ وَعَدَّلَكَ موجودٌ ومثليَ شاكي
 وتأبى اهتضامي، في جنابك، همةٌ تهزُّكَ هزَّ الرِّيحِ فرَعَ أَرَاكِ^(٢)
 وقد نام منِّي ظالمٌ لي ذاعرٌ، فيا هبّةَ السيفِ الحُسامِ دَرَاكِ^(٣)

(١٨٤)

أوجَعْتَ قَلْباً

يا مُنيّةَ النَّفسِ حسي، مِنْ تَشْكِيكِ، أني أصابُ، وكفُّ الدهرِ ترميكِ

(١) عدلك: سواك.

(٢) الأراك: شجر يستاك به، واحدته أراكة.

(٣) الذاعر: المخيف المثير الذعر - دراك: اسم فعل أمر بمعنى ادركي الظالم المعتدي.

ولو تَسَامَحَ خَطْبُ فِي فِدَائِكَ بِي،
 وَكَيْفَ أُعْغِي بِلَيْلٍ تَسَهَّرِينَ بِهِ،
 هُنَيْدًا أَوْ جَعَتِ قَلْبًا قَدْ أَقَمْتِ بِهِ،
 فَرُبَّ لَوْلُو دَمَعٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ
 وَإِنْ نَأَى بِكَ رَبْعٌ غَيْرُ مُقْتَرِبٍ،
 فَإِنَّ كُلَّ نَسِيمٍ، خَاضَهُ أَرْجٌ،
 وَرَبَّمَا شَفَعَتْ لِي غَفْوَةٌ نَسَخَتْ

لَكُنْتُ، مَهْمَا عَرَا خَطْبُ، أَفْدِيكَ^(١)
 أَوْ أَسْتَسِيغُ شَرَابًا لَيْسَ يُرْوِيكَ؟
 مَا بَالُ طَرْفِي، وَمَا يُدْرِيكَ، يَبْكِيكَ
 عِلْقًا أَعَالِي بِهِ، أَرَخَصْتَهُ فِيكَ
 أَوْ احْتَوَاكَ حِجَابٌ فِيهِ يُقْصِيكَ^(٢)
 رَسُولُ شَوْقِي، أَتَى عَنِّي يُحْيِيكَ
 أُخْرَى الظَّلَامِ، فَبَاتَ الطَّيْفُ يُدْنِيكَ

(١٨٥)

الماءُ يَضْحَكُ

وَمُرْفَرَقُ الْإِفْرَنْدِ يَمْضِي فِي الْعِدَا،
 فَكَأَنَّهُ، وَالْمَاءُ يَضْحَكُ فَوْقَهُ،
 أَبَدًا، فَيَفْتُكُ مَا أَرَادَ وَيَسُكُ^(٣)
 جَذْلَانُ، يَبْكِي لِلشُّرُورِ وَيَضْحَكُ^(٤)

(١٨٦)

يَهْتَزُّ وَيَضْحَكُ

وَأَبْيَضَ عَضْبٍ حَالَفَ النَّصْرَ صَاحِبًا،
 يُبَشِّرُهُ بِالنَّصْرِ إِرْهَافُ نَصْلِهِ،
 يَكَادُ، وَلَمْ يُسْتَلَّ، يَمْضِي فَيَفْتُكُ^(٥)
 فَيَهْتَزُّ فِي كَفِّ الْكَمِيِّ وَيَضْحَكُ

(١) عراه الخطب: أصابه، والخطب: الشأن صغر أو عظم، وأكثر استعماله للأمر العظيم المكروه.

(٢) يقصيك: يبعذك.

(٣) الإفرند: جوهر السيف.

(٤) جذلان: فرح.

(٥) الأبيض العضب: السيف القاطع - استل السيف: جرد من غمده.

يَنْدَى نَوْزُ ذِكْرِكَ

يصف ابن خفاجة محاسن الحبيب من نافذة الذكرى . .

يَا رَبِّ لَيْلٍ بِئْسَ هـ ،
 تَنَهَلُ مُزْنَةً دَمْعَتِي ،
 أَتَبَعْتُ فِيهِ ، وَقَدْ بَكَيْتُ ،
 وَشَرَقْتُ فِيكَ بِعَبْرَةٍ ،
 فَكَأَنَّمَا يَنْفُضُ ، عَن
 وَلرُبَّ لَيْلٍ ، قَدْ صَدَعْتُ
 وَلَهْوَتْ فِيهِ بِإِدْرَةٍ
 تَنْدَى شَقَائِقَ وَجَنَّتِيكَ
 وَقَدْ اسْتَدَارَ ، بِصَفْحَتِي
 حَيْثُ الْجَبَابِةُ دَمْعَةً ،
 وَتَهَزُّ مِنْكَ ، فَتَنْشِي
 وَتَعْبُ ، مِنْ رَجْرَاجِ رَدْفِكَ ،
 وَكَأَنَّهُ مِنْ وَحْفِ شَعْرِكَ (١)
 فِيهِ ، وَيَنْدَى نَوْزُ ذِكْرِكَ (٢)
 عَقِيْقَ خَدِّكَ دُرَّ ثَغْرِكَ
 قَدْ وَرَدَّتْهَا نَارُ هَجْرِكَ (٣)
 حَبَبٍ لَهَا ، رُْمَانِ صَدْرِكَ
 ظِلَامَهُ بِجَبِيْنِ بَدْرِكَ (٤)
 مَكْنُونَةٍ فِي حُقِّ خَدْرِكَ (٥)
 بِهِ ، وَتَنْفَحُ رِيْحُ نَشْرِكَ
 سُوسَانِ جَيْدِكَ ، طَلُّ دُرِّكَ (٦)
 تَجْرِي بِوَجْنَةِ كَاسِ خَمْرِكَ
 بِقَضِيْبِ قَدِّكَ رِيْحُ سَكْرِكَ
 مَوْجَةً فِي شَطِّ خَصْرِكَ

(١) الشعر الوحف: الكثيف .

(٢) المزنة: المطر .

(٣) العبرة: المدعة .

(٤) صدع الظلام: اخترقه وشقه .

(٥) الحُق: الوعاء، شبه النهدي بالحق وقد سبق عمرو بن كلثوم إلى هذا التشبيه حين قال في المعلقة:

وئديا مثل حُقِّ العاجِ رخصا
 حصاناً من أكفِّ اللامسينا
 (٦) الجيد: العنق . الطل: الندى .

قافية اللام

(١٨٨)

يميلُ إلى مثله

جميلٌ يميلُ إلى مثله، فيشفع مرآه في وصله
 رمى نابلٌ منهما نابلاً يُناغيه والتبيلُ من نبيله^(١)
 وينظرُ منه إلى جنبه، كما نظرَ الطَّيُّ من ظلِّه

(١٨٩)

غازلته

نهرٌ، كما سال اللّمي، سلسالٌ؛ وصباً بليلاً، ذيلها مكسال^(٢)
 ومهبطٌ نفحة روضة مطلولة، في جلّهتها، للنسيم، مجال^(٣)
 غازلته، والأقحوانة مبسمٌ، والآسُ صدغٌ، والبنفسجُ خالٌ
 ووزاء خفاق النّجاد ضبارمٌ، يسري به، خلفَ الظلام، خيال^(٤)
 ألقى العصا، في حيثُ يعثرُ بالحصى نهر، وتعبثُ بالغُصونِ شمالٌ

(١) أراد بالتبيل: لحاظ العين.

(٢) الصبا: الريح اللينة الناعمة.

(٣) المطلولة: المخضلة بالطل وهو الندى - الجلّهة: الجهة المقابلة من الوادي.

(٤) الضبارم: الأسد، شبه به نفسه.

فيه، وما بين المياهِ جِدَالٌ
 خَصِرٌ، يَسِخٌ، وتَلَعَةٌ مِخْضَالٌ^(١)
 بُسِطَتْ يَمِينٌ مِنْهُمَا وَشِمَالٌ
 خَفَاقَةٌ، حَيْثُ الرَّبِّي أَكْفَالٌ^(٢)
 هَيْمَانٌ، نَشْوَانٌ، هِنَاكَ، مُذَالٌ^(٣)
 عَطَفَتْ جَنُوبٌ مَتْنَهُ وَشِمَالٌ^(٤)
 أَمْ لَا عَبَّتْ أَعْطَافُهُ الْجِرْيَالُ^(٥)
 وَإِذَا تَهَادَى، فَالهِلَالُ هِلَالٌ
 بِمَقِيلِسِهِ، أُخِثْتُ لَهَا أَسْمَالٌ^(٦)
 عَنْ لَبِّي مُسْتَلِّمٍ، سَرِبَالٌ^(٧)
 بَطَلٌ، وَجَرْدٌ، وَشِيَهٌ، مُخْتَالٌ
 وَبِسَاقٍ لَيْلَةٍ صَرَصِرٍ خَلْخَالٌ^(٨)
 ضَارٍ، لَهُ، بَعْمَايَةٍ، أَشْبَالٌ^(٩)
 أَغْتَابُ مِنْ طَبَعٍ، وَلَا أَغْتَالٌ^(١٠)
 مِنْ أَرْقَمٍ، سِدْرٌ أَلْفٌ وَضَالٌ^(١١)

وَكَأَنَّ مَا بَيْنَ الْغُصُونِ تَنَازُعٌ
 وَأَرْبٌ يَبْرُدُ، مِنْ حَشَاهُ، مَكْرَعٌ
 مَا بَيْنَ رَوْضَةٍ جَدُولَيْنِ، كَأَنَّمَا
 مِثْلُ الْحُبَابِ، بِمُنْحَنَاهُ دُؤَابَةٌ،
 وَانْسَابَ ثَانِي مَعَطِفِيهِ، كَأَنَّهُ
 أَوْ ظِلُّ أَسْمَرَ بِاللَّوَى مُتَأَطَّرٌ،
 لَمْ أَدْرِ هَلْ يُزْهِى، فَيَخْطُرُ نَخْوَةٌ،
 فَإِذَا اسْتَطَارَ بِهِ النَّجَاءُ، فَنِيْزُكَ؛
 زُرْتُ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مَوْشِيَّةٌ،
 مِزْقٌ كَمَا يَنْقَدُ، فِي يَوْمِ الْوَعَى،
 أَلْقَى بِهِ مِنْهَا، هِنَاكَ، دِرْعَهُ،
 بِيَدِ الْهَجِيرَةِ مِنْهُ سَوْطٌ خَافِقٌ؛
 فَدَلَفْتُ يَقْدُمُ بِي، هِنَاكَ، ضِبَارِمٌ،
 شَيْحَانَ، لَا أَرْتَابُ مِنْ هَلْعٍ، وَلَا
 مُتَخَايِلًا أَمْشِي الْبَرَّازَ، وَدُونَهُ،

(١) أرب: أقام في المكان - الخصر: البارد - الخضال: المخضلة بالندى.

(٢) الحباب: الحية - الأكفال: جمع كفل الردف، العجز.

(٣) المذال: ذو الذيل الطويل.

(٤) متأطر: اسم فاعل من تأطر: أي تشنى.

(٥) الجريال: الخمرة.

(٦) الأسمال: الأثواب البالية.

(٧) المستلم: لابس اللأمة، أي الدرع - السربال: القميص.

(٨) الصرصر: الريح الشديدة.

(٩) دلف: سار ومشى - شبه نفسه في هذا البيت بالأسد الجريء المقدم.

(١٠) الشيحان: الغيور - الهلع: الخوف الشديد.

(١١) الأرقم: الحية - السدر: شجر النبق - الألف: الملتف - الضال: شجر السدر البري.

فَتَوَعَّدْتَنِي نَظْرَةً وَقَّادَةً،
وهوى، كما يهوى أتى مُزِيدٌ،
يهفُو الضَّرَاءُ، أَمَامَهُ، وَلرَبْمَا
فَدَرَأْتُ بَادِرَةَ الشَّجَاعِ بِأَخْضَرِ،
جَمَدِ الْغَدِيرِ بِمَتْنِهِ، وَلرَبْمَا
وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْمَشْرِفِيِّ وَبَيْنِهِ،
وَتَسَاوَرَا يَتَكَافِحَانِ، كَمَا التَّقَى،
وَكِلَاهِمَا مِنْ أَسْوَدٍ وَمُهَنَّدٍ،
يُذَكِّي، بِهَا تَحْتَ الظَّلَامِ، ذُبَالٌ
رَجَمَتْ بِهِ، بَعْضَ التَّلَاعِ، تِلَالٌ
يَذَرُ الْكَثِيبَ، وَرَاءَهُ، يَنْهَالٌ^(١)
فِي رَقْشِهِ، هُوَ لِلشَّجَاعِ مِثَالٌ^(٢)
أَعْشَاكَ إِفْرِنْدٌ لَهُ سَيِّالٌ^(٣)
فَتَلَاقَتْ الْأَشْبَاهُ وَالْأَشْكَالُ
يَوْمًا، أَبُو إِسْحَاقَ وَالرِّيَالُ^(٤)
فِي ضِمْنِهِ الْأَوْجَالُ وَالْآجَالُ^(٥)

(١٩٠)

حَسْبِي شَجَوًا

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الدِّيَارَ قَصِيَّةٌ،
وَلَا الرُّسْلُ إِلَّا لِلرِّيَاحِ، عَشِيَّةٌ،
فَأَسْتَوْدِعُ الرِّيْحَ الشَّمَالَ تَحِيَّةً؛
وَحَسْبِي شَجَوًا أَنْ لِي فِيكَ أَضْلَعًا
وَطَرْفًا قَرِيحًا فِيكَ عَنِ الْكَرَى،
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا صَفْحَةٌ بِكَ طَلَقَةٌ
فَلَا زَوَرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خِيَالًا^(٦)
تَكْرُرُ جَنُوبًا بَيْنَنَا وَشَمَالًا
وَأَسْتَشِيقُ الرِّيْحَ الْجَنُوبَ سُؤَالَ
حِرَارًا، وَأَزْدَانًا عَلَيْكَ خِضَالًا^(٧)
وَلَا فِطْرَ إِلَّا أَنْ تَلُوحَ هِلَالًا^(٨)
لَثَمْتُ بِهِ، مِنْ قَبْلِ وَصْلِكَ، خَالًا

(١) يهفو الضَّرَاءُ: أي يسير متنكرًا - الكثيب: المرتفع من الرمل.

(٢) درأ: دفع - الشجاع: الحية - الأخضر: السيف.

(٣) الأفرند: جوهر السيف وقوله أعشاك: أي جعلك تنبهر.

(٤) أبو إسحق: كناية عن نفسه - الريال: مخفف الرئبال، وهو الأسد.

(٥) الأوجال: جمع الوجل وهو الخوف - الآجال: جمع الأجل، وهو الحنف.

(٦) الزور: الزيارة.

(٧) الحرار: جمع حران، والحران الشديد الظمأ.

(٨) أراد بالفطر: عيد الفطر.

وقد رَقَّ ووضَّاحاً وراق جَمالاً
 وباتا بحالِ الفرقَدَيْنِ وصالاً
 أَجَنَّ دُجَى فرعٌ، فحِرْتُ ضللاً
 وقد فاضَ ماءُ الشوقِ فيه، فجالا
 تهاداه أعناقُ الرِّيحِ كلالاً
 فشبَّ بها البرقُ المُنيرُ ذُبالاتاً^(١)
 هناك، وما أندى الأراكِ ظللاً
 فماد على ردفِ الكثيبِ ومالا
 ترقرقَ دمعُ الطلِّ فيه، فسالا

فما أنسَهُ لا أنسَ ليلاً على الحمى،
 وزارَ به نجمُ الشَّهَى قمرَ الدُّجَى،
 إذا ما هَدانا فيه بارِقُ مَبِسِمِ،
 ولي نظراً يرتدُّ فيك صَبَابَةً،
 فجاد الحمى غادٍ، من المزنِ، رائحٌ،
 وساريةِ دَهْماءَ حارِبها الدُّجَى،
 فلله ما أشجى الحمامةَ، غُدوَةً،
 وقد جاذبت رِيحُ الصَّبَا غصنَ النَّقا،
 وأيقظَ بردُ الصبحِ جَفنَ عرارِهِ،

(١٩١)

مَهْلاً

سَاءَ نَبِي أَنْ تَهتَ جَهْلاً
 إِلَّا شَبَاباً قَدْ تَوَلَّى
 وَفُوَاداً قَدْ تَسَلَّى؟
 أَيَنْ جَنْبُ يُتَقَلَّى؟
 وَضُلُوعٌ فِيكَ تُضَلَّى؟^(٢)
 عَارِضٌ وَافِي، فَوَلَّى
 أَسْفَافاً، لَا يَتَخَلَّى
 أَجْمَلَ الحُسْنِ وَهَلْلاً!

أَيُّهَا التَّائِبُ مَهْلاً،
 هَلْ تَرَى، فِي مَا تَرَى،
 وَغَرَاماً قَدْ تَسَرَّى،
 أَيَنْ دَمْعٌ فِيكَ يَجْرِي؟
 أَيَنْ نَفْسٌ فِيكَ تُهْدَى،
 أَيُّ مَلِكٍ كَانَ لَوْلَا
 وَتَخَلَّى عَنكَ إِلَّا
 وَانطَوَى الحُسْنُ، فَهَلْلاً

(١) السارية: السحابة التي تسري ليلاً - الدهماء: السوداء - الذبال: الفتيلة.

(٢) تُضَلَّى: المجهول من صلي النار: قاسى حرّها.

(١٩٢)

رَكِبْتُ إِلَيْهِ

وَمَغَارٍ رَكِبْتُ أَدْهَمَ مِغْطَا لَا إِلَيْهِ، وَظَهَرَ أَشْهَبَ حَالِي (١)
جَالَ فِي أَنْجُمٍ، مِنَ الْحَلِيِّ، بِيضٍ، وَقَمِيصٍ، مِنَ الصَّبَاحِ، مُذَالٍ (٢)
فَبَدَا الصَّبْحُ مُلْجَمًا بِالْثُرَيَّا؛ وَجَرَى الْبَرْقُ مُسْرَجًا بِالْهَيْلَالِ (٣)

(١٩٣)

سَقِيَا لَهَا

سَقِيَا لَهَا مِنْ بَطَاحِ أَنْسِ، وَدَوْحِ حُسْنٍ بِهَا مُطِئَلٍ
فَمَا تَرَى غَيْرَ وَجْهِ شَمْسٍ، أَظَلَّ فِيهِ عِذَارُ ظِلِّ

(١٩٤)

لَوْ بَلَّ . . . أَبْلَلْتُ

صَمَمْتُ سَمْعًا، فَمَا أَصْنَعِي إِلَى الْعَدَلِ؛ وَهَمْتُ قَلْبًا، فَمَا أَصْحُو عَنْ الْغَزَلِ
وَإِنَّ سُقْمِي لِمَنْ طَرَفٍ بِهِ سَقَمٌ، خَلَوِ مِنَ الْكَحْلِ مَمْلُوءٍ مِنَ الْكَحْلِ
أَشْجُو الظَّمَاءَ، وَرِيِّي فِي حَصِي بَرْدٍ، لَوْ بَلَّ مِنْ غُلِّي أَبْلَلْتُ مِنْ عَلِّي (٤)
فَمَنْ لَصَبُّ يَبِيْتُ اللَّيْلِ يَسْهَرُهُ، مُقَلَّبَ الْقَلْبِ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ؟
أَيْنَ الْجِرَاحَاتُ مِنْ جَرِحَ بِأَضْلَعِهِ؛ وَأَيْنَ بِيضُ الْمَوَاضِي مِنْ جُفُونِ عَلِي؟ (٥)
يَا ضَارِبًا يَوْسُفًا، فِي حُسْنِهِ، مَثَلًا، جَلَّ ابْنُ أَفْعَلٍ عَنْ مِثْلٍ وَعَنْ مِثْلٍ (٦)

(١) المغار: الغار - الأدهم هنا: الليل الأسود - المعطال: خلاف الحامي.

(٢) المذال: ذو الذيل الطويل.

(٣) يقول: إن هذا الفرس الأشهب كالصبح في الليل يجري فيه كالبرق وهو مسرج وسرجه بدا ساطعاً كالهلال.

(٤) أبلّ من علله: شفي من أسقامه وأمراضه.

(٥) أراد بـ «علي» الموصوف.

(٦) ابن أفعل: الموصوف.

خُذْ مَا تَرَاهُ، وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ، فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحْلِ^(١)

(١٩٥)

فَسَمَا . . وَاسْتَزَادَ

مَا ضَارَ لِابْسٍ مِثْلِهِ، مِنْ خَاتَمٍ،
مُتَأَلِّقٌ أَعْدَاهُ لِابْسٍ حَلِيَّةٍ،
مُتَحَمِّلاً فَصّاً يَرُوقُ، وَحَلَقَةً
فِي رَاحَةِ خُلِقَتْ سَمَاءَ سَمَاحَةٍ،
أَنْ لَا يَشُبَّ مَعَ الظَّلَامِ ذُبَالاً
فَسَمَا جَلالاً وَاسْتَزَادَ جَمالاً
مِنْ جُدُودٍ وَقَدَّتْ، وَمَاءَ سَالاً
فَتَقَارَنَا نَجْماً بِهَا وَهَلالاً

(١٩٦)

عُلَّقَتْهُ

وَعَاذِرٍ قَدْ كَانَ لِي عَاذِلاً،
أَدَّ بَقْلِي، وَهُوَ فِي طَيْبِهِ،
وَدُونَ مَاءِ الْحُسْنِ، مِنْ وَقْدِهِ،
وَكَانَ قَلْبِي، دُونَهُ، وَاقِدّاً،
أَخْوَضُ، فِي الْحَبِّ، بِهِ لُجَّةٌ
أَمَا تَرَى أَعْجُوبَةً أَنْ تَرَى،
وَيُجْتَنَى نُورُ نَسِيبي بِهِ
عُلَّقَتْهُ أَحْوَى اللَّمَى أَحْوَرّاً،
مُعْتَدِلاً، مُعْتَدِياً فِي الْهَوَى،
غَشِيَتْ مِنْ مُقْلَتِهِ بَابِلاً
فِي أَرَبٍ قَدْ صَارَ لِي أَمِلاً،
فَصَارَ مَحْمُولاً بِهِ حَامِلاً^(٢)
مَا يَصْدُرُ الطَّرْفُ بِهِ نَاهِلاً
وَمَاءُ جَفْنِي، فَوْقَهُ، جَائِلاً
لَمْ تَرَمِ بِي، مِنْ سَلْوَةٍ، سَاحِلاً
فِي الْحَبِّ، مَقْتُولاً فَدى قَاتِلاً
غَضّاً، وَجِسْمِي غُضْناً ذَابِلاً
عَاطِرَ أَنْفَاسِ الصُّبَا عَاطِلاً
أَحْبَبَ بِهِ مُعْتَدِلاً، مَائِلاً
سِحْرّاً، وَمِنْ لَحْظَتِهِ نَابِلاً^(٣)

(١) زحل: نجم - والبيت المذكور من لامية العجم للشاعر الطغرائي أورده ابن خفاجة من قبيل التضمين.

(٢) آد بقلبي: اشتدت وطأته عليه.

(٣) يقول إن في عينيه سحراً بابلياً ووقع لحاظه جارح كالنبال.

شَطٌّ، وُلِي مِنْ شَغَفٍ فِكْرَةٌ،
فَمَا أَرَاهُ ظَاعِنًا رَاحِلًا،
وَإِنَّ لِي طَرْفًا بِهِ سَاهِدًا،
كَأَنَّ نَوْمِي ضَلَّ عَنْ نَاطِرِي،
أَرَاهُ، فِي مِرَاتِهَا، مَائِلًا^(١)
إِلَّا أَرَاهُ قَاطِنًا نَازِلًا
وَجَدًّا، وَدَمْعًا هَامِرًا هَامِلًا^(٢)
فَبَاتَ دَمْعِي سَائِلًا سَائِلًا

(١٩٧)

تَرْنُو بِطَرْفٍ كَحِيلِ

وَقَدْ غَشِيَ النَّبْتُ يَطْحَاءَهُ،
وَقَدْ وُلَّتِ الشَّمْسُ، مُحْتَثَّةٌ
كَأَنَّ سَنَاهَا، عَلَى نَهْرِهِ،
كَبَدُو الْعِذَارِ بِخَدِّ أَسِيلِ
إِلَى الْغَرْبِ، تَرْنُو بِطَرْفٍ كَحِيلِ^(٣)
بَقَايَا نَجِيعِ بَسِيفِ صَقِيلِ^(٤)

(١٩٨)

وَالْمَاءُ مُبْتَسِمٌ

أَحْسُ الْمُدَامَةِ، وَالنَّسِيمُ عَلِيلٌ،
وَالنَّوْرُ طَرْفٌ، قَدْ تَنَّبَهُ، دَامِعٌ؛
وَتَطَلَّعَتْ مِنْ بَرَقٍ كُلِّ غَمَامَةٍ،
حَتَّى تَهَادَى كُلُّ خُوطَةِ أَيْكَةٍ،
عَطَفَ الْأَرَاكَةَ فَانْتَنَى شُكْرًا لَهُ،
وَالظِّلُّ خَفَاقُ الرَّوَّاقِ، ظَلِيلٌ^(٥)
وَالْمَاءُ مُبْتَسِمٌ، يَرُوقُ، صَقِيلٌ
فِي كُلِّ أَفْقٍ، رَايَةٌ وَرَعِيلٌ^(٦)
رِيًّا، وَغَصَّتْ تَلَعَةٌ وَمَسِيلٌ
طَرِبًا، وَرَجَّعَ، فِي الْغُصُونِ، هَدِيلٌ^(٧)

(١) شَطٌّ: نَأَى وَبَعْدَ - مَائِلًا: حَاضِرًا.

(٢) الطَّرْفُ: الْعَيْنُ - السَّاهِدُ: الْأَرْقُ - الْهَامِرُ وَالْهَامِلُ: اسْمَا فَاعِلٍ مِنْ هَمَرَ وَهَمَلَ، (الْمَطْرُ): هَطَلَ وَانصَبَ.

(٣) مُحْتَثَّةٌ: مُسْرَعَةٌ.

(٤) النَّجِيعُ: الدَّمُ - السِّيفُ الصَّقِيلُ: الْمَصْقُولُ.

(٥) أَحْسُ: اشْرَبَ، الْأَمْرُ مِنْ حَسَا - الْمُدَامَةُ: الْخَمْرُ.

(٦) الرَّعِيلُ: الْقِطْعَةُ مِنَ النَّاسِ أَوْ الطَّيْرِ أَوْ الْخَيْلِ.

(٧) الْهَدِيلُ: الْحَمَامُ.

فَالرَّوْضُ مُهْتَزُّ المَعَاطِفِ، نَغْمَةٌ،
رِيَّانٌ فَضَّضَهُ النَّدى ثُمَّ انْجَلَى
وَارْتَدَّ يَنْظُرُ، فِي نِقَابِ غَمَامَةٍ،
سَاجٍ كَمَا يَرْتَوِى إِلَى عُوَادِهِ،
نَشْوَانٌ، يَعْطِفُهُ الصَّبَا فَيَمِيلُ
عَنهُ، فَذَهَبَ صَفْحَتِيهِ أَصِيلُ
طَرْفٌ، يُمَرِّضُهُ التُّعَاسُ، كَلِيلٌ^(١)
شَاكٍ، وَيَلْتَمِحُ، العَزِيزُ، ذَلِيلُ

(١٩٩)

فَكَأَنَّهُ رِيحَانَةٌ

وَالشَّمْسُ شَاحِبَةٌ الجَبِينِ مَرِيضَةٌ،
وَالبَرْقُ مَنْخَزِلٌ، يُكَبُّ لِوَجْهِهِ،
وَالكَأْسُ طَرْفٌ أَشْقَرٌ قَدْ جَالَ فِي
يَسَعَى بِهَا قَمَرٌ، لَهُ وَلكَأْسِهِ
شَاكِي السَّلَاحِ، لِقَدَّهُ وَلِطَرْفِهِ
وَأَخٌ تَهَزُّ لَهُ العُلَى أَعْطَافَهَا،
رَاضِعَتُهُ كَأَسِ المُدَامِ، وَبَيْنَا،
مَيَّاسٌ أَعْطَافِ السَّمَاحِ، كَأَنَّهُ
تَنَدَى لَهَا، وَرَدَاً، أَسِرَّةٌ كَفَّهِ،
طَلَقُ الجَبِينِ، وَلِلْحُسَامِ تِبْشِيمٌ؛
لِلنَّاسِ فِيهِ مِنَ الكَلَامِ شَوَاهِدٌ،
وَالرَّيْحُ خَافِقَةُ الجَنَاحِ، بَلِيلُ
وَيَمْجُجُ رُوحَ الرَّاحِ، مِنْهُ، قَتِيلٌ^(٢)
عَرِقٍ عَلَيْهِ، مِنَ الحَبَابِ، يَسِيلُ
وَجَةٌ أَغْرٌ، وَمَبْسِمٌ مَعْسُولُ
رُوحِ أَصْمٌ وَصَارِمٌ مَسْلُوعٌ
فَكَأَنَّهُ رِيحَانَةٌ وَشَمُولٌ^(٣)
بِجَنَى الحَدِيثِ، حَدِيقَةٌ وَقَبُولٌ^(٤)
غُصْنٌ، تَنْفَسُ نَوْرَهُ، مَطْلُوعٌ
أَبْدَاً، وَبَطْنٌ يَمِينُهُ مَبْلُوعٌ^(٥)
طَاوِي المَصِيرِ، وَبِالقَنَاةِ ذُبُولٌ^(٦)
وَبِمَضْرَبِ السَّيْفِ الجُرَازِ فُلُولٌ^(٧)

(١) الطرف الكليل: الناعس الضعيف.

(٢) يمّجج: يفرز - الراح: الخمر.

(٣) الريحانة: الزهرة - الشمول: الخمر إذا ابردت بريح الشمال.

(٤) القبول: ريح الصبا.

(٥) أسرة الكف: خطوطه.

(٦) طلق الجبين: ضاحك، بشوش - طاوي المصير: ضامر الخصر.

(٧) السيف الجراز: القاطع - خلول: جمع خل وهو التثلم في حد السيف، وهذا من باب المديح

يَمْتاحُ أرواحَ الكُماةِ، بكَفِّه،
 في حيثُ مِنْ حَرِّ الطَّعابِ هَجِيرَةٌ
 والنَّقْعُ أدهمُّ، للرماحِ بوجهه،
 والخيلُ سَطْرٌ، بالأسِنَّةِ مُعْجَمٌ،
 شَطَنٌ، يُمَرُّ مِنَ القَنَا، مَفْتُولٌ
 تُحْمَى، وَمَنْ ظَلَّ اللُّواءَ مَقِيلٌ
 غُرَّرُ تَلوَح، وللسيوفِ حُجُولٌ
 وَيَحْدُ ألسِنَةُ الطَّبِي مَشْكُولٌ^(١)

(٢٠٠)

ماذا ثناكَ

خُذها يُرِنُّ لها الجِوادُ صَهِيلاً؛
 بَسامةٌ تُصِبي الأريبَ وَسامةٌ؛
 حَمَلْتُها، شوقاً إِلَيْكَ، تحيَّةٌ؛
 مِنْ كُلِّ بَيْتٍ، لو تَدَفَّقَ طَبْعُهُ
 إِيهِ، وما بينَ الجِوانِحِ غَلَّةٌ،
 ما لِلصَدِيقِ، وَقِيَتَ، تَأْكُلُ لَحْمَهُ
 أَقْبَلْتَه صدرَ الحُسامِ، وطالما
 ماذا ثناكَ عَنِ الثَّناءِ ونَشْرِهِ
 أَرِجاً كما عَثَرَ النسيمُ بِرِوضَةٍ،
 أَعَدَ التِّفْئاتِكَ، وادَّكِرْها خِلَّةً،
 وَأَصْبَحْ إِلى سَجْعِ القَريضِ، فربما
 وَعُجِ المَطِيطِيُّ عَلى الوِدادِ، وحيِّه
 وَتَسِيلُ ماءً، في الحُسامِ، صَقيلاً
 لولا المَشِيبُ لَسِمْتُها تَقْيِلاً^(٢)
 حَمَلْتُها عَتَباً عَلَيْكَ ثَقِيلاً
 ماءً، لَغَصَّ بِهِ الفِضاءُ مَسِيلاً
 لو كُنْتُ أَنْقَعُ بِالْعِتابِ غَليلاً^(٣)
 حَيًّا، وَتَجْعَلُ عِرضَهُ مِندِيلاً
 أَضْفَيْتَه دِرْعاً عَلَيْهِ طَويلاً
 بُرداً، عَلى الرِّسَمِ الجَميلِ، جَميلاً
 لَدنْأَ كما نَضَحَ الغَمامُ مَقِيلاً
 لا تَسْتَقِلُّ بِها عَلاكُ مُمَيلاً^(٤)
 نَدَبَ القَريضِ، مِنَ الوِفاءِ، هَدِيلاً
 طَللاً، عَلى حُكْمِ الزَمانِ، مُحِيلاً

= والمدح في معرض الذم، ويراد به الإشارة إلى الشجاعة والفروسية.

(١) الطَّبِي: جمع ظبة: حدّ السيف.

(٢) نصبي: تثير الحنين إلى الصبا - الأريب: الفطن.

(٣) نقع الغليل: روى الظمأ.

(٤) ممبلا: اسم فاعل من أماله عن... أبعده عنه، صرفه.

وَصَلِّ السَّلَامَ، عَلَى النَّوَى، تَعْلِيلًا
يَسْمُ الْجَدِيدَ، لَمَا سَأَلْتُ بِخَيْلًا
فَاغْضُضْ هُنَاكَ، مِنْ الْعِنَانِ، قَلِيلًا
ذَكَرًا، كَمَا سَرَتِ الْقَبُولُ، بَلِيلًا^(١)
يَرْتَدُّ طَرْفُ النُّجْمِ عَنْهُ كَلِيلًا
وَمَضِيَّتَ لَا قَضَمَ الْغَرَارِ فَلِيلًا^(٢)
فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْمَجْرَّ سَبِيلًا
سَجَدَ الْيَرَاعَ بِكَفِّهِ تَبْجِيلًا
حَتَّى يَسِيلَ بِكَ النَّدَى تَحْجِيلًا
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْكَ خَلِيلًا!

وَابْعَثْ بِطَيْفِكَ وَاعْتَقِدْهَا زَوْرَةً،
وَلَيْتَن سَأَلْتُ بِكَ الْغَمَامَةَ وَابِلًا،
وَإِذَا دَعَبْتُ، وَلَا دُعَابَةَ غَيْبَةٍ،
وَاصْحَبْ، وَذَهْنُكَ مِنْ هَجِيرٍ لَافِحِ،
فَلَقَدْ حَلَلْتَ مَعَ الشَّبَابِ بِمَنْزِلِ،
وَبَدَهْتَ لَا نَزَرَ الْمَحَاسِنِ مُجَبَّلًا؛
مُتَدَفِّقًا أَعْيَا الْعُقُولَ طَرِيقَهُ،
يَسْتَوْقِفُ الْعَلِيَا جَلَالًا، كَلَمَا
لَا تَسْتَتِيرُ بِكَ السِّيَادَةُ غُرَّةً،
وَسِوَايَ يُنْشِدُ فِي سِوَاكَ نَدَامَةً،

(٢٠١)

أَرْتَادُ مَرْتَعًا

قال في أثناء عِلَّةِ أَلَمْتُ بِهِ :

مَرِهْتُ، وَأَعْيَا أَنْ أُمُرَّ بِكَاحِلِ^(٣)
فَلَمْ تَطَأِ الْوَجْنَاءَ بِي ظَهَرَ مَاحِلِ^(٤)
أَسِيرُ، وَإِنْ لَمْ أَخْتَقِبْ زَادَ رَاحِلِ^(٥)
وَرَائِي: لَقَدْ أَعَجَلْتُ طَيَّ الْمَرَّاحِلِ
تَجُودُ، وَجِسْمِ، قَدْ تَفَرَّقَ، نَاحِلِ^(٦)

جَهَلْتُ، وَمَا أَلْقَى عَلِيمًا، وَإِنَّمَا
فَسِرْتُ، وَقَدْ أَجَدَبْتُ، أَرْتَادُ مَرْتَعًا،
وَخَيْلٌ لِي أَنِّي أُقِيمُ، وَإِنَّمَا
فَقُلْتُ، وَقَدْ خَلَفْتُ خَمْسِينَ حِجَّةً،
أَبُوءُ بِعَبِّ السُّقْمِ بَيْنَ حُشَّاشَةِ

(١) الهجير: شدة القيظ في منتصف النهار - الهجر اللافح: المحرق - القبول: ريح الصبا.

(٢) بده: فاجأ - مجبلاً: مبخلاً - قضم الغرار: مكسور السيف - السيف الغليل: المغلول، الذي تتلم حده.

(٣) مرهت: رمدت عيني بسبب عدم التكحل.

(٤) الوجناء: الناقة السريعة.

(٥) احتقب: وضع في الحقيبة.

(٦) أبوء: أرجع - العبء: الحمل الثقيل - الحشاشة: الروح.

وَأَسْبَحُ فِي بَحْرِ الشُّكَاةِ، لَعَنِي سَاعَلَقُ يَوْمًا، مِنْ نَجَاةٍ، بِسَاحِلِ

(٢٠٢)

الليلُ . . طویلٌ

الليلُ، إِلَّا حَيْثُ كُنْتَ، طویلٌ؛
والتَّفْسُ، مَا لَمْ تَرْتَقِبْكَ، كَثِيبَةٌ؛
فَلَقَدْ خَلَعْتَ، عَلَى الزَّمَانِ، مَحَاسِنًا،
وَلَقَدْ شَمَلْتَ الْحَضْرَتَيْنِ بِنِعْمَةٍ،
فَالصَّبْحُ نَغْرٌ، فِي جَنَابِكَ، ضَاحِكٌ؛
وَأَقَمْتَ مِنْ أَوْدٍ هُنَاكَ وَهَهُنَا،
وَتَكشَّفَتْ لَكَ حَالَةٌ عَنِ غَادِرٍ،
فَقَعَدْتَ بِالْأَعْدَاءِ قَعْدَةً خَالِعٍ
وَهَدَدْتَ هَضْبَةً عِزَّهُ، فَكَأَنَّهَا،
فَتَطَوَّقَتْ، بِالهُونِ مِنْهُ، حَمَامَةٌ،
وَأَرَاهُ صَبْوَةً مَا جَنَاهُ دَهْمَةٌ،
فَاعْتَصَصَ مِنْ لُجٍّ، وَأَعْتَمَ مَسَلَكُ،
وَوَشَى رِذَاءَ الْحَمْدِ، بِاسْمِكَ، خَاطِرٌ،

وَالصَّبْرُ، إِلَّا مِنْذُ بِنْتٍ، جَمِيلٌ^(١)
وَالطَّرْفُ، مَا لَمْ يَلْتَمِحْكَ، كَلِيلٌ^(٢)
تُشَى بِهِ أَعْطَافُهُ، فَيَذِيلُ
يَجْرِي الثَّنَاءُ بِوَصْفِهَا، فَيُطِيلُ
وَاللَّيْلُ طَرْفٌ، فِي ذِرَاكَ، كَحِيلٌ^(٣)
فَدَفَقْتَ آرَاءَ، وَأَنْتَ جَلِيلٌ^(٤)
مَلِيقٌ، وَمَرَعَى الْغَادِرِينَ وَيِيلٌ^(٥)
ثُوبَ الْعَزَازَةِ عَنْهُ، فَهُوَ ذَلِيلٌ
نَسْفًا، كَثِيبٌ، بِالْعَرَاءِ مَهِيلٌ^(٦)
يَعْتَادُهَا، تَحْتَ الظَّلَامِ، عَوِيلٌ^(٧)
نَظَرٌ جَزَاهُ عَنِ الْقَبِيحِ جَمِيلٌ
وَالثَّانِ ثُلْتَمَسٌ، وَضَاقَ سَبِيلٌ^(٨)
قَدَعَاتٌ فِيهِ السُّقْمُ، فَهُوَ كَلِيلٌ

(١) بِنْتٌ: ابْتَعَدْتُ، نَأَيْتُ.

(٢) الْبَصْرُ الْكَلِيلُ: الضَّعِيفُ.

(٣) ذِرَاكَ: جَانِبِكَ.

(٤) الْأَوْدُ: الْعُوجُ.

(٥) الْمَلِيقُ: الْمَتَمَلِّقُ - وَيِيلُ: سَيِّءُ الْعَاقِبَةِ.

(٦) مَهِيلٌ: مَتَهَافَتٌ، مَتَسَاقَطٌ.

(٧) الْهُونُ: الْهَوَاتُ الذَّلُّ.

(٨) الثَّانِ الْأَمْرُ: اخْتَلَطَ.

فَسَجَعْتُ، فِي قَيْدِ الشُّكَاةِ، مُغْرَدًا
 وَلَوْى، الْعِنَانَ عَنِ الْإِطَالَةِ، أَنِّي
 مَادَ التُّحُولُ بِهِ، فَلَاعَبَ شَخْصَهُ
 فَمَنَعْتُهُ جَمَّ الْمَحَاسِنِ نَاقِيَهَا،
 وَلَكَمْ قَصِيرٍ، مِنْ يَرَاعِكَ، سَاحِبٍ
 طَرِبَاً، وَلِلطَّرْفِ الرَّيْبِطِ صَهِيلُ
 نِضْوُ الْقَوَى، بِسُرَى الْفِرَاشِ ضَيْلُ^(١)
 ظِلٌّ، تَحَيَّقَهُ السَّقَامُ، نَحِيلُ
 قَدْ كَاثَرَ الْأَمْدَاحَ، وَهُوَ قَلِيلُ
 مِنْ نَابِ صَدْرِ الرَّمْحِ، وَهُوَ طَوِيلُ

(٢٠٣)

.. لِيَكُونَ أَحْسَنَ

وَعَسَى اللَّيَالِي أَنْ تَمُنَّ بِجَمْعِنَا
 فَلَرَبِمَا نُثِرَ الْجُمَانُ تَعْمُدًا،
 عِقْدًا، كَمَا كُنَّا عَلَيْهِ وَأَكْمَلَا
 لِيَكُونَ أَحْسَنَ فِي النِّظَامِ وَأَجْمَلَا

(٢٠٤)

رَبْوَةٌ لِلْفَضْلِ

قَالَ يَجِيبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ عَنْ شَعْرٍ:
 هَزَّتْ، بَادَابِهَا، أَعْطَافَ آمَالِي^(٢)
 فِي الطَّرْفِ مُشْتَمَلًا، مِنْهُ، بِسِرْبَالِ
 أَجْرٍ، مِنْ طَرِبٍ، أَذْيَالِ مُخْتَالِ^(٣)
 مِنْ مَنَهْلٍ، طَامِحِ الْأَذْيِ، سَلْسَالِ^(٤)
 مِنْ رَوْضَةِ لَدَنَةِ الْأَنْفَاسِ، مِخْضَالِ^(٥)
 وَحُلَّةٍ، مِنْ طِرَازِ النَّظْمِ، رَائِعَةٍ،
 مِنْ حَوْكٍ وَشِيٍّ بِبُرْدِ الْخَطِّ، تَحْسِبُهُ،
 سَحَبْتُهَا، لِابْسَابُورْدِ الشَّبَابِ بِهَا،
 فَجَبَّذَا نُظْفَةً، تَسَاغُ، بَارِدَةً،
 وَزَهْرَةً غَضَّةً، تَفْتَرُّ، عَاطِرَةً،

(١) نضو القوى: أي هزيل وضعيف - سرى الفراش: مته وظهره - ضئيل: من الضالة، والمراد نحول جسمه.

(٢) الحلة: الثوب القشيب - هزت: حركت وأثارت.

(٣) برد الشباب: ثوبه - المختال: المزهو الذي يمشي متبخرأ.

(٤) الأذني: الموج - السلسال: الماء العذب.

(٥) تفتر: تبسم - المخضال: الندية، المخضلة بالندى.

وَمُتَّحَى عَارِضٍ، لِلطَّبْعِ، هَطَّالٍ
طَوِيلَ بَاعِ الْعُلَى وَالْعَمِّ وَالْخِصَالِ
عَاطَاكَ، مِنْ عَلَقِ صِدْقٍ، كَفَّ إِجْلَالِ^(١)
نَسِيمَ عَاطِرَةِ الْأَذْيَالِ، مِكَسَالِ
تَطْيِبُ مَا بَيْنَ إِدْبَارِ وَإِقْبَالِ

فِي مُلْتَقَى رَبْوَةٍ، لِلْفَضْلِ، مُشْرِفَةٍ،
فَالْبَسَ بِهَا خِلْعَةً، لِلْمَجْدِ، ضَافِيَةً،
وَارْدُدُ تَحِيَّةَ بَادِيِ الْعَهْدِ مُبْتَدِيًا،
شَطَّطْتُ بِهِ الدَّارُ، فَاسْتَرَعَى تَحِيَّتَهُ
تَرَدَّدَتْ بَيْنَ أَزْهَارِ الرَّبِيِّ، سَحْرًا،

(٢٠٥)

لِللَّطْلِ مَعْنَى لَيْسَ لِلْمَطْرِ

قال يمدح ويسأل حاجة:

وَأَزْمَعْتَ إِلَّا أَنْ تَصُمَّ عَنِ الْعَذْلِ^(٢)
وَقُمْتَ مَقَامَ الْوَبْلِ فِي الْبَلَدِ الْمَحَلِّ^(٣)
وَأَجْرِيَتْ مَاءَ النَّصْرِ فِي صَفْحَةِ النَّصْلِ
فَمَنْ مَنطِقِي جِزْمٍ وَمَنْ نَائِلِي جَزَلِ^(٤)
صَقِيلَةُ ثَغْرِ الْبَرْقِ، وَارِفَةُ الظُّلِّ
وَيَمْشِي بِهَا وَابِي النَّسِيمِ عَلَى رِسْلِ^(٥)
وَلَا غَيْرَ هَاتِيكَ الْبَشَاشَةَ مِنْ صَقْلِ
وَخَيْمٍ مَعَ الْعَلِيَا، وَحُزُّ قَصَبِ الْخَصْلِ^(٦)
أَصِيلاً، وَأَحْلَى مَوْعِيًا مِنْ جَنَى النَّحْلِ

أَلَيْتَ إِلَّا أَنْ تَسِيرَ مَعَ الْفَضْلِ؛
فَنُبَّتْ مَنَابَ الْبَدْرِ فِي لَيْلَةِ الشُّرَى،
وَأَضْرَمَتْ نَارَ الطَّعْنِ فِي ثَغْرَةِ الْعِدَى؛
وَسَوَّيْتَ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فِي الْعُلَى؛
فَحَيَّتْ، أَبَا يَحْيَى، ذَرَاكَ، غَمَامَةً
تُجْرِرُ أَذْيَالَ الرَّبَابِ عَلَى الرَّبِيِّ؛
وَلَيْسَ سِوَى تِلْكَ الصَّرَامَةِ صَارْمٌ؛
فَطُلَّ عُمُرَ الدُّنْيَا وَطَأَّ قَمَمَ الْعِدَى،
وَمُنَّ بِهَا أَنْدَى نَسِيمًا مِنَ الصَّبَا

(١) العلق: النفيس، وأراد بعلق بصدق: أمثل الصدق.

(٢) أليت: أقسمت - العذل: اللوم.

(٣) المحل: الجذب، القحط.

(٤) النائل الجزل: العطاء الكثير.

(٥) الرباب: السحاب الأبيض - يمشي على رسل: يشير متمهلاً.

(٦) طأ: الأمر من وطىء يطأ الشيء برجله: داسه - حُز: نل الأمر من حاز: أي نال - قصب

الخصل: قصب الفوز والغلبة.

ولا تحتقرها من يدٍ، لك، برةً، فَلِلطَّلِّ معنَى ليس للمَطَرِ الوَيْلِ

(٢٠٦)

الحُسْنُ صِنْوٌ لَهُ

قال هذه القصيدة مادحاً الأمير أبا إسحاق:

أَمْ الشَّمْسُ حُلَّتْ بِرَأْسِ الحَمَلِ^(١)

تَرَدَّى القَضِيبُ بِهَا وَاشْتَمَلَ^(٢)

بِمَسْرَى النِّسِيمِ التَّوَاءَ الجِذْلَ^(٣)

تُبَاهِي بَعْلِيَاهُ خَيْرَ الدُّوْنِ

تَهَشُّ إِلَيْهِ اللَّيَالِي الأَوْنِ

بِمِرَاهِ، وَامْتَدَّ خَطْوُ الأَمَلِ

تَرَى البَدْرَ مِنْهَا بِمَرْقَى زُحَلِ

أَبْدَأُ بِالمَدْحِ أُمَّ بِالعَزَلِ^(٤)

هَزْبَرٌ، إِذَا مَا حَمَى أَوْ حَمَلِ

هِنَاكَ، وَلِلْمُزْنِ وَبَلِّ وَطَلِّ

فَيَنْبِي المَعَالِي كَفَى أَوْ كَفَلِ

فَإِنْ سَارَ سَارَ، وَإِنْ حَلَّ حَلِّ

وَلَوْ كَانَ أَغْفَى بِهِ أَوْ غَفَلِ

يُضِدُّ العِدَى وَيُسُدُّ الخَلِّ

وَيَحْمِي الذَّمَارَ وَيَرعى الهَمَلِ^(٥)

أَلَا هَلْ أَطَلَّ الأَمِيرُ الأَجَلَ،

فَمَا شَتَّتَ مِنْ زَهْرَةٍ نَضْرَةٍ،

وَهَزَّتْ مَعَاظِفَهُ، وَالتَّوَى

سُرُوراً بِهِ عَنِ فَتَى دَوْلَةٍ،

أَتَانَا الزَّمَانُ بِهِ آخِراً،

مَلِيكَ تَبَسَّ مِ ثَغْرِ المُنَى

يَشُدُّ اللُّثَامَ عَلَى صَفْحَةٍ،

فَلَمْ أَدِرْ، وَالحَسْنَ صِنْوٌ لَهُ،

وَهَا هُوَ، وَالحِلْمُ فِي طَبْعِهِ،

يُضِيفُ، إِلَى طَعْنَةٍ، رَشْقَةً

وَيَكْفِي، فَيَكْفُلُ فِي حَالَةٍ،

وَيَلْزُمُهُ النُّصْرُ حَبَّالَهُ،

فَمَا يَطْرُقُ الطَّيْفُ غَابَالَهُ،

يَدِينُ بِضِدِّيهِ دُونَ الهُدَى،

وَيُدْمِي الشُّفَارَ وَيَحْنِي القَنَا،

(١) حَلَّتْ الشَّمْسُ: أَنْزَلَتْ - الحَمَلُ: مِنَ الأَبْرَاجِ.

(٢) تَرَدَّى: ارْتَدَى الرِّدَاءَ - القَضِيبُ: العَصَنُ - اشْتَمَلَ بِالرِّدَاءِ: التَّفَّ بِهِ.

(٣) الجِذْلُ: العُودُ، وَحَرَكَ الذَّالَ مِرَاعَاةً لِلوِزْنِ.

(٤) صِنْوٌ لَهُ: نَدٌّ وَمِثْلٌ.

(٥) القَنَا: الرِّمَاحُ - يَحْمِي الذَّمَارَ: يَحَافِظُ عَلَى العُهُودِ وَالمَوَاقِيقِ - الهَمَلُ: المَاءُ السَّائِلُ، الإِبِلُ.

ويملاً رُعباً صُدورَ العدى،
مُمرُّ جبالِ القنا والقوى،
كفيلٌ بإدراك ما يبتغي،
إذا قال أجملَ في قوله،
ألم ترَ ما كان من بأسه،
وخارَ الأبى وخرَّ الكمي،
ورام النَّصارى بها نصرةً،
وصدَّ ابنَ فرَّاسٍ، عن نصرها،
فما التَّمسوا الغوثَ إلا التوى،
ولا أمُّ يقبيلُ حتَّ انتشى،
فلم يدِرِ ما علقَتْ خيلُه:
بلى! خاف، من جورِ سيفِ عدا،
وأولى به لو تدلَّى به
فما حادَ عنك بقلبِ غزا،
لك الله من سيِّدِ أيِّدِ،
أبى المجدُّ أن يرتضي قينةً،
فقنيتُه للقنا والطبى،
ولمَّا سقى الغربَ فيما سقى،
أتى الشرقَ يهفُو جناحُ السرى

فُيرعِفُ بأساً أنوفَ الأسل^(١)
إذا ما فشا، في الحُماة، الفشلُ
قفا إثرَ طاغية، أو قفلُ
وأحسنُ من قوله ما فعَلُ
يُفوز به يوم حارِ البطلُ
وجَدَّ الجِلادُ وقَلَّ الجِدَلُ
فلم يُنجِدِ الرُّومَ رومَ الحيلُ
تَلَطَّى حِرابِ دَوامي المُقلُ
ولا استنجدوا الوعدَ إلا مَطَلُ^(٢)
حِذاراً، ولا غامَ حتى اضمَحَلُ
أشكوى الوجى أو شكاة الوجل^(٣)؟
مضاءً، بكفِّ إمامِ عَدَلُ
غُروراً، وأولى به لو أدَلُ
ولكن بقلبٍ وهي عن وهَلُ^(٤)
تَحَلَّى الزمانُ به عن عَطَلُ
نَفِيسَ الحلى وشريفَ الحِللُ
وقبَّ الخيولِ وييضُ الخولُ
وحلَّ به الغربُ ممَّا أقلُ
به وتهبُّ رياحُ العَجَلُ

(١) يرعِف: يسيل الدماء - الأسل: الرماح.

(٢) مَطَل: أَجَلٌ وسَوَفٌ، ماطل.

(٣) الوجى: الحفى - الوجل: الفزع، الخوف.

(٤) الوهل: الوجل، الخوف.

وَهَوِّنْ مِنْ مَسِّ خَطْبِ نَزَلِ
 وَإِقْشَاعِ عَارِضِ هَمِّ أَطْلِ
 يُقِيمُ صَفَاكَ الْأَمِيرُ الْأَجَلِ^(١)
 هُنَاكَ، وَيُغْرِقُكَ طَوْرًا وَسَلِ
 فَأَهْوَى، وَوَادِي أُتِيَّ حَمَلِ^(٢)
 وَلِذْ رَغْبَةً بِصَيَاصِي جَبَلِ^(٣)
 وَنَصَلُ يَهْبُ إِذَا سُئِلَ صَلِ
 أَجَلِ، وَلِكُلِّ حِمَامٍ أَجَلِ
 فَأَزْمَعُ، عَنِ دَارِ الْحَيَاةِ، رَحِيلًا
 تَعَوَّضَ عَنْهَا، بِالْقَلُوبِ، بِدِيلًا
 وَبَرْدًا عَلَى الْأَكْبَادِ عَادَ غَلِيلًا
 بِهِ، كَانَ لَيْلُ الْحُزْنِ فِيهِ طَوِيلًا

فَسَكَّنَ مِنْ خَفَقِ قَلْبِ نَزَا؛
 وَأَطْمَعَ فِي حَسَمِ دَاءِ دَهَى،
 فَقُلْ لَابِنِ رُذْمِيرَ مَهْلًا يَسِيرًا،
 يُحَرِّقُكَ مِنْهُ سَنَا شَعْلَةً،
 فَمِلْ عَنِ طَرِيقِ شَهَابِ سَرَى،
 وَحِذْ رَهْبَةً عَنِ عُبابِ طَمَى؛
 وَالْأَفْئِمَّ جَوَادٍ يُعْجَبُ،
 وَكُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مُنْتَهَى،
 تَيَقَّنْ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ جِيرَةٍ،
 فَإِنْ أَقْفَرَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ، فَإِنَّهُ
 وَلَمْ أَرُ أَنْسَا قَبْلَهُ عَادَ وَحِشَةً،
 وَمَنْ تَكُ أَيَّامُ السُّرُورِ قَصِيرَةً

(٢٠٧)

غَمَامُ النَّصْرِ

قال وقد استرجعت بلبسية من يد العدو:
 وَقَامَ صَغُوُ عَمُودِ الدِّينِ فَاعْتَدَلَا^(٤)
 وَكَرَّ لِلنَّصْرِ عَصْرٌ قَدْ مَضَى، فَخَلَا
 بِحَيْثُ يَطْلُعُ وَجْهَ الْفَتْحِ مُقْتَبِلَا^(٥)

الآن سَحَّ غَمَامُ النَّصْرِ، فانهَمَلَا؛
 وِلَاخَ لِلسَّعْدِ نَجْمٌ قَدْ خَوَى، فَهَوَى،
 وَبَاتَ يَطْلُعُ نَقْعُ الْجَيْشِ مُعْتَكِرًا،

(١) ابن رذير: من سادات الفرنجة وأمرائها.

(٢) الأتني: السيل.

(٣) حذ: الأمر من حاد: مال عن... - لذ: الأمر من لاذ: لجأ واحتمى - الصياصي: جمع صيصة، الحصن: المعقل الحصين.

(٤) الصغو: الميل - عمود الدين: ركنه.

(٥) النقع: غبار المعركة.

حتى كأن بها من وطئه وهلا
جوراً، وليث شرى يدعونه بطلا
قد استعار رداء الليل واشتملا
كأنما خاض ماء الصبح، فاعتسلاً^(١)
يجري، وجاحم نار البأس مُشْتَعِلاً
رَمْدَى، وصيّر أطراف القنا فُتلاً
وأظلم التقع في جفن الوغى كحلا
فأنجاب عنها حجاب كان مُنْسَدِلاً
لم يجرها غير ماء السيف مُعْتَسِلاً^(٢)
وقد تضعع ركن الكفر، فاستفلاً^(٣)
وهبة السيف منها تسبق العذلاً^(٤)
عن الخليل، وينسى العاشق العزلاً
قد راعها السيف فاصفرت به وجلا
سمر العوالي، إلى احشائه رُسلًا^(٥)
تحت القتام، ويعلو همّة زحلا
بحراً، يلاطم، من أعطافه، جبلاً^(٦)
وللظبي السن قد أفضحت جدلاً

من عسكر رجفت أرض العدو به،
ما بين ريح طراد سُميت فرساً،
من أدهم أخضر الجلباب، تحسبه
وأشهب ناصع القرطاس، مؤتلق،
ترى به ماء نصل السيف مُنْسَكِباً،
فغادر الطعن أجفان الجراح به
وأشرق الدّم في خد الثرى خجلاً؛
وأقشع الكفر، قسراً، عن بلنسية،
وطهر السيف منها بلدة جنباً،
كأنني بعلوج الروم سادرة،
تظّل تدرأ بالإسلام عن دمها
في موقف يذهل الخل الصفي به
ترى بني الأصفر، البيض الوجوه به،
فكم هنالك من ضرغامة سفرت،
يرى على جمرة المريخ ملتهباً،
قد كرف في لامة حصداء، تحسبها
وللقنا أعين قد حدقت حنقاً؛

(١) القرطاس: الصحيفة - مؤتلق: مشرق.

(٢) البلدة الجنب: غير الطاهرة.

(٣) استقل: انحط، صار سافلاً.

(٤) العذل: اللوم، والبيت يتضمن معنى المثل المعروف: سبق السيف العذل.

(٥) العوالي: الرماح.

(٦) اللامة: الدرع - الحصداء: مؤنث الأحصد وهو ما جف من النبت وهو قائم، والكلام من باب التشبيه.

فَزَا حَمَ النَّقَعِ حَتَّى شَقَّ بُرْدَتَهُ؛
 مُوسِّدًا فَوْقَ نَصْلِ السَّيْفِ، تَحْسِبُهُ
 فِكْمَ مُمَزَّقَةٍ مِنْ جَبِيهَا طَرِبًا،
 وَرَقَرَقَ الدَّمْعَ فِي أَجْفَانِهَا رَشًّا،
 قَدْ بَلَّلَتْ نَحْرَهُ، بِالْدَّمْعِ، جَارِيَةً
 تَغْصُّ عِقْدًا لِأَلِيهِ، وَأَدْمَعُهُ
 وَنَاطَحَ الْمَوْتَ حَتَّى خَرَّ مُنْجَدِلًا
 مُسْتَلْقِيًا، فَوْقَ شَاطِئِ جَدْوَلٍ، ثَمَلًا
 قَدْ مَزَّقَتْ، بَعْدَهُ، مِنْ جَبِيهَا ثَكَلًا
 تَرَقَّرَقَ السَّحْرُ، فِي أَجْفَانِهِ، كَحَلَا
 بَكْرٍ، تُمَسَّحُ، مِنْ أَعْطَافِهِ، الْكَسَلَا
 فِي نَحْرِهِ، فَتَرَاهُ حَالِيًا عُطْلَا

(٢٠٨)

بكى الدُّرُّ

أَلَا بَكَى الدُّرُّ فَوْقَ حَالِيَةِ،
 يَرَى بِهَا مَا يُمِرُّ مِنْ حَلْقِي،
 قَدْ رَاقَ مَرَأَى وَسَاءَ مُخْتَبِرًا،
 حَلَى بِهَا الْعِقْدُ شَرًّا مَا حَلَى (١)
 مُخْبَأً تَحْتَ مَنَظَرِ الْجَلَى (٢)
 فَهَلْ تُرَى أَثْمَرَتِ بِهَا دِفْلَى؟ (٣)

(٢٠٩)

حَسْبُ الْفَتَى حَلِيَّةٌ

يَحْمَلُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ:
 حَسْبُ الْفَتَى حَلِيَّةٌ أَنْ يَسْتَقِيلَ بِهِ
 فَمَا احْتَمَى جَانِبٌ لَمْ يَحْمِهِ مَلِكٌ؛
 مَلِكٌ عَزِيزٌ، فَلَا يَقْعُدُ بِهِ الْعَطَلُ
 وَلَا مَضَى صَارِمٌ لَمْ يُمَضِّهِ بَطَلُ

مُتَعَالٍ وَمُنْسَفِلٍ

تَفَاوَتْ نَجَلًا أَبِي جَعْفَرٍ،
 فَهَذَا يَمِينٌ بِهَا أَكْلُهُ؛
 فَمِنْ مُتَعَالٍ وَمِنْ مُنْسَفِلٍ
 وَهَذَا شِمَالٌ بِهَا يَعْتَسِلُ

(١) الحالية: لابسة الحلى، المزيّنة بالدرر.

(٢) الجلى: كل أمر جلل.

(٣) الدفلى: شجر زهره حسن كالورد.

(٢١٠)

حطت العنوان

قال فيمن كتبت اسمها تحت ختمها:

قالت، وقد حطت العنوان جوهرة،
عن مُرتقى رُتبية، قد سَنَّها الأُولُ
لا غروا إن صرْتُ تحت الختم واقعة؛
إنَّ الجواهرَ تحت الختم تُحتملُ

قافية الميم

(٢١١)

يا غمامٌ

ألا ساجِلٌ دُموعي يا غمامٌ؛ وطارِحني بِشَجْوِكَ يا حَمَامٌ^(١)؛
 فَقَدَ وَفَيْتُهَا سَتِيْنَ حَوْلًا، وَنَادَتْنِي وَرَائِي: هَلْ أَمَامٌ؟
 وَكُنْتُ، وَمِنْ لُبَانَاتِي لُبِيْنِي، هِنَاكَ، وَمِنْ مَرَاضِعِي الْمُدَامُ^(٢)؛
 يُطَالِعُنَا الصَّبَاحُ بِيْطْنِ حَزْوِي، فَيُنَكِّرُنَا وَيَعْرِفُنَا الظَّلَامُ^(٣)؛
 وَكَانَ بِهَا البَشَامُ مَرَاخَ أُنْسِي، فَمَاذَا بَعَدْنَا فَعَلَّ البَشَامُ؟
 فِيَا شَرْخَ الشَّبَابِ أَلَا لِقَاءً يُبَلُّ بِهِ، عَلَيَّ يَا سَ، أُوَامُ^(٤)؛
 وَيَا ظِلَّ الشَّبَابِ، وَكُنْتَ تَدِي، عَلَيَّ أَفِيَاءِ سَرَخَتِكَ السَّلَامُ

(٢١٢)

أرقت أناجيه

قال يحنّ إلى أيام الشباب ويصف فرسه
 ألا سَرَتِ القَبُولُ، وَلَوْ نَسِيْمَا؛ وَجَاذَبَنِي الشَّبَابُ، وَلَوْ قَسِيْمَا

(١) ساجِلٌ: الأمر من ساجل: عارض وطارح والمساجلة: المناظرة - الشجى: الأسى، الحزن.

(٢) اللبانات: جمع لبانة: الحاجة - لبين: مصغر لبني.

(٣) حزوى: موضع - ينكرنا: خلاف يعرفنا.

(٤) شرخ الشباب: أوائله - الأوام: الظمأ الشديد.

وطالَعِنِي الظَّلَامُ بِهِ خَيْالًا،
تَقَضَّى، غير ليلٍ، ما تَقَضَّى،
أَصَانِعُ عَنْهُ طَرْفًا قَدْ تَجَافَى
كَأَنِّي مَا أَلْفَتُ بِهِ شَفِيعًا،
فَمَهْمَا شَاقَ مِنْ بَرَقٍ مَلِيحٍ،
وَأَسْأَلُ هَلْ سَقَى طَلَلًا، بِحَزْوَى،
وَأَنْشَقُ، لَوْعَةً، لِعَرَارِ نَجْدٍ،
وَكَنتُ رَجَوْتُ أَنْ أَعْتَاضَ مِنْهُ،
وَلَمَّا أَنْ نَظَرْتُ مَعَ اللَّيَالِي،
عَبَامًا، أَوْ كَهَامًا، أَوْ جَهَامًا،
شَدَدْتُ عَلَى الْقَوَافِي كَفَّ حُرٌّ
فَمَا أُطْرِي، إِذَا أُطْرِيَتْ، إِلَّا
وَمَطْرُورًا أُجْرُدُهُ صَقِيلًا،
إِذَا أَقْبَلْتُهُ سُمَرَ الْعَوَالِي،
وَقَدْ لَفَّ الْعَدُوَّ، كَأَنَّ رِيحًا،
يَشِيْمُ بِهِ، وَرَاءَ النَّقْعِ، بَرَقًا
إِذَا أَوْطَأْتُهُ أَعْقَابَ لَيْلٍ،

فَأَقْبَلَ نَاطِرِي وَجَهًا وَسِيمًا
كَأَنَّ بِمَضْجَعِي فِيهِ سَلِيمًا^(١)
غِرَارَ النَّوْمِ، أَوْ قَلْبًا أَلِيمًا^(٢)
هَنَّاكَ، وَلَا طَرِبْتُ لَهُ نَدِيمًا
أَرَقْتُ لَهُ، أَنْجِيهِ كَلِيمًا^(٣)
عَفَا قَدَمًا، وَهَلْ جَادَ الْغَيْمًا
صَبَا نَجْدٍ أَسَائِلُهَا شَمِيمًا
زَعِيمًا، أَوْ عَلِيمًا، أَوْ حَلِيمًا
فَلَمْ أَنْظُرْ بِهَا إِلَّا مُلِيمًا
لَيْمًا، أَوْ ذَمِيمًا، أَوْ زَنِيمًا^(٤)
كَرِيمٍ، لَا يُسَوِّغُهَا لَيْمًا
حَنِيًّا، أَوْ حَبِيًّا، أَوْ حَمِيمًا
وَيَعْبُوبًا أَكْرَبُهُ كَرِيمًا^(٥)
فَلَسْتُ أُرُدُّهُ إِلَّا كَلِيمًا
عَلَى شَرَفٍ، تُلْفَ بِهِ هَشِيمًا
تَأَلَّقَ شُهْبَةً، وَصَفَا أَدِيمًا
طَرَدْتُ مِنَ الظَّلَامِ بِهِ ظَلِيمًا^(٦)

(١) المضجع: المرقد - السليم: المملدوغ.

(٢) الطرف: العين - تجافى النوم: أي لم يجد سبيلاً إلى الرقاد - غرار النوم: القليل من النوم.

(٣) الكليم: الجريح.

(٤) الزنيم: الدعوي - جمع في هذا البيت أكثر الأسماء التي ينتفي عنها الفضل والكرم من مثل الصبام والكهام والجهام والزنيم.

(٥) المطرور: صفة السيف المحدد - اليعبوب: السريع من الجياد - أكرَب الفرس: أشدَّ حزامه.

(٦) الظليم: ذكر النعام.

(٢١٣)

أَرَى صَبَوْتِي أَحْلَى

ألا ثلَّ من عرشِ الشبابِ وثلَّما،
فصرتُ، وقد أعطيتُ شيبِي مقاديتي،
وكلُّ امرئٍ طاشتْ به غِرَّةُ الصِّبا،
فها أنا ألقى كلَّ ليلٍ بليلةٍ
وأركبُ أردافَ الرُّبى مُتأسِّفاً،
وأزشفُ نثرَ الطَّلِّ من كلِّ وردةٍ،
لشيبِ تصدَّى، هدَّ رُكنِي وهَدَّما^(١)
أرى صَبوتِي أَحلى، وشيبي أَحلَّما
إذا ما تحلَّى بالمشيبِ تحلَّما^(٢)
من الهَمِّ، يستجري، من الدمعِ، أنجُما
فأنشقُّ أنفاسَ الصِّبا مُتَنسِّما
مَكَانَ بياضِ الثَّغرِ من حوَّةِ اللَّمى^(٣)

(٢١٤)

أفنانها نشاوى

يصف نارنجة

عاطِ أخلاءك المُداما؛
وراقِصِ الغُصنَ وهو رَطْبٌ،
وقد تهادى بها نسيماً،
فتلكَ أفنانها نشاوى،
واستسقى، للأيكَةِ، الغَماما^(٤)
يَقْطُرُ، أو طارِحِ الحَماما
حيثُ سُلِمي بها سلاما
تَشربَ أكوابها قياما^(٥)

(٢١٥)

تحوّل رُجوما

ألا نسَخَ اللهُ القُطارَ حجارةً
تصوبُ علينا، والغَمامَ غُموما^(٦)

(١) انثَلَّ العرش: تهدم - التلّم: الفلّ، وكسر الحدّ - الركن: الأساس، الأصل.

(٢) غِرَّة الصبا: غرور الشباب - تحلّى: تزين وتجمّل - تحلّم: صار حليماً أي عاقلاً رصيناً.

(٣) الحوّة: السواد المستحسن في الشفتين - اللّمي: اسمرار الشفّة.

(٤) المدام: الخمر - الغمام: السحاب.

(٥) الأفنان: الأغصان، جمع فنن - الأكواب: الأقداح جمع كوب.

(٦) نسخ: حول - القطار (بضم القاف): القليل من الماء - الغموم: جمع غم، الحزن والكآبة.

وكانت سماء الله لا تمطر الحصى،
 فلما تحوّلنا عفاريت شرّة،
 ليالي كئالا نطيش حُلوما
 تحوّل شؤوب السماء رُجوما^(١)

(٢١٦)

رِيا الأَحِبَّة

لنك الله من سار إليّ مُسَلِّم،
 يَجُولُ به ماء النَّضارَةِ والنَّدَى،
 فناب وراء الليل عن أمّ سالم
 كما جال ماء البشر في وجه قادم
 تنفس يهدي، عن حبيب، تحية،
 هزنا لها، زهواً، فضول العمائم
 يُذَكِّرنا رِيا الأَحِبَّة نَفحة،
 فنذكره بالدمع سقيا الغمام^(٢)

(٢١٧)

بَيْنَ النَّارِ وَالْفَحَمِ

يا جامعاً لِمساويه وطلعتَه
 أمثلُه جَسداً في مثله حَسداً،
 بين السّوادين: من ظلم ومن ظلم
 لقد تألف بين النار والفحم

(٢١٨)

أُحِبُّهُ

أرقت لذكرى منزل، شطّ، نازح،
 فقلت لبرقي، يصدع الليل، لامح:
 كلفت بأنفاس الشمال له شمّاً
 ألا حيّ عني ذلك الرّبع والرّسما
 وأبلغ قطين الدار أنّي أُحِبُّه،
 على النَّاي، حُبّاً لو جزاني به جمّا
 وأقرىء عُفراء السّلام، وقل لها:
 ألا هل أرى ذاك السّها قمرأ تَمّا؟^(٣)

(١) تحوّلنا: صرنا - الشرّة: الشرّ - الشؤوب: المطر الغزير - الرجوم: الحجارة التي يرمج بها،
 والشهب التي تقذف بها الشياطين.

(٢) الرّيا: الرائحة - الغمام: السحب الممطرة.

(٣) عفراء: مصغر عفراء - السّها: من الكواكب الخفية الصغيرة.

بجزعِي، وهل أَلَوِي مَعَاظِفَهُ ضَمًّا؟^(١)
 فَاكَلَهُ عَضًّا وَأَشْرَبَهُ شَمًّا؟^(٢)
 كَأَنِّي، وَقَدْ وَلَّتْ، أُرِيْتُ بِهَا حُلْمًا
 فَاخْطَى بِهَا سَهْمًا وَأَنَّى بِهَا قِسْمًا
 فَلَمْ أَذْعُهَا بِنْتًا وَلَمْ تَدْعُنِي عَمَّا

وَهَل يَتَشَنَّى ذَلِكَ الْغَصْنَ نَضْرَةً
 وَمَنْ لِي بِذَاكَ الْخَشْفِ مِنْ مُتَقَنَّصٍ،
 وَدُونَ الصَّبَا إِحْدَى وَخَمْسُونَ حِجَّةً،
 فَيَا لَيْتَ طَيْرَ السَّعْدِ يَسْنَحُ بِالْمُنَى،
 وَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ ابْنَ عَشْرِ وَأَرْبَعِ،

(٢١٩)

بِالْحَيَاءِ مُلْتَمِّمٌ

عَنْ حُرٍّ وَجْهِ، بِالْحَيَاءِ مُلْتَمِّمٌ
 غَرَاءً، تَصَدَّعُ كُلَّ لَيْلٍ مُظْلِمٌ
 فِي هَبْوَةِ الْهَيْجَاءِ، غُرَّةً أَدْهَمٌ^(٣)
 وَرِقَاءً، فِي غَبَشِ الْعَجَاجِ الْأَقْتَمِ^(٤)
 يَوْمَ الْكَرْيَهَةِ، فَوْقَ عِطْفِي ضَيْغَمٍ^(٥)

وَأَغْرَّ يُسْفِرُ، لِلْعَوَالِي وَالْعُلَى،
 يَسْرِي، فَيَمْسُحُ لِلدُّجَى عَنْ صَفْحَةِ
 جَذْلَانَ تَحْسِبُ وَجْهَهُ، مُتَهَلِّلاً،
 زَرَّ الْحَدِيدُ عَلَيْهِ جَيْبَ حَمَامَةٍ
 فَكَأَنَّ جِلْدَةَ حَيَّةٍ خُلِعَتْ بِهِ،

(٢٢٠)

أَمْسَى هِلَالًا

أَمْسَى هِلَالًا، وَهُوَ بَدْرٌ تَمَامٌ
 رَقَّتْ وَرَاءَ كُمَامَةٍ لِثَمَامٍ^(٦)
 فَكَرَعْتُ فِي بَرْدِ بِهَا وَسَلَامٍ

وَمُقْتَنَعٌ، بُخْلًا بِنَضْرَةِ حُسْنِهِ،
 قَبَّلْتُ مِنْهُ أَقْحَوَانَةَ مَبْسَمٍ،
 وَلَثَمْتُ حُمْرَةَ وَجَنَّةٍ تَنْدَى حَيًّا،

(١) يتشنى: يتمايل، ويتمايس زهواً - الجزع: موضع.

(٢) الخشف: ولد الظبية.

(٣) الهيجاء: الحرب.

(٤) جيب الحمامة: كناية عن الدرع - العجاج الأقتم: الغبار الأسود.

(٥) يوم الكريهة: الحرب - الضيغم: السبع.

(٦) الثمام: ضرب من النبات الضعيف العود.

مِثْلُ الضَّرِيبِ بِهَا لِحَاحُ لُغَامٍ^(١)
 لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الْبَرْقِ خَفَقَ زِمَامٍ^(٢)
 بِالرَّيِّ فَرَعٌ أَرَاكِيَةٌ وَبَشَامٍ^(٣)
 وَبِصَوْتِ ذَاكَ الرَّعْدِ رَجَعَ كَلَامٍ
 فِيهَا أَخُو التَّقْوَى بِنَارِ مُدَامٍ
 خُلِعَتْ، عَالِي عِظْفِيهِ، جِلْدَةٌ حَامٍ^(٤)
 بَرْقٌ، تَمَزَّقَ عَنْهُ جَيْبُ غَمَامٍ
 شَفَقَ لَوِي يَدُهُ بِذَيْلِ ظَلَامٍ

وَبِكَلِّ مَرْقَبَةٍ مَنَاخُ غَمَامَةٍ،
 رَعَدَتْ، فَرَجَعَتْ، الرَّغَاءُ، مَطِيئَةٌ،
 أَوْحَتْ هُنَاكَ إِلَى الرَّيِّ: أَنْ بَشْرِي
 وَكَفَى بِلَمَحِ الْبَرْقِ غَمَزَةً حَاجِبٍ،
 فِي لَيْلَةٍ خَصِرَتْ صَبَاهَا، فَاصْطَلَى
 وَأَحْمَمَ مُسْوَدَّ الْإِدِيمِ، كَأَنَّمَا
 ذَاكِي لِسَانِ النَّارِ، يَحْسِبُ أَنَّهُ
 فَكَأَنَّ بَدَأَ النَّارِ، فِي أَطْرَافِهِ،

(٢٢١)

أَوْسَعَتْ الزَّمَانَ مَلَامًا

فَوَدِدْتُ لَوْ نُسِجَ الضِّيَاءُ ظَلَامًا
 شَيْخًا، كَمَا كَانَتْ تَشْوِقُ غُلَامًا
 نَظْرًا، يَكُونُ، إِذَا اعْتَبَرْتُ، كَلَامًا
 كِبْرًا، وَأَوْسَعَتْ الزَّمَانَ مَلَامًا
 كَرَمًا، فَأَهْدَاهَا إِلَيَّ سَلَامًا

وْغَرِيبَةٍ، هَشَّتْ إِلَيَّ، غَرِيرَةٍ،
 طَرَأْتُ عَلَيَّ، مَعَ الْمَشِيبِ، تَشْوِقُنِي
 مَقْبُولَةٍ قَبْلَتْهَا مِنْ لَوْعَةٍ،
 عَذَرْتُ، وَقَدْ أَحَلَّتْهَا عَنْ نِسْوَةٍ
 عَيْقَتْ، وَقَدْ حَنَّ الرَّبِيعُ عَلَى التَّنْدِي،

(٢٢٢)

أَصْدَعُ أَحْشَاءَ الظَّلَامِ

لَقَدْ هَاجَنِي وَجَدُّ أَنَاخٍ، فَخَيْمًا
 وَعَصْرًا خَلَا بَيْنَ الْكَيْبِ إِلَى الْحِمَى

أَمَّا وَخِيَالٍ قَدْ أَطَافَ وَسَلَّمَا،
 وَأَذْكَرَنِي عَهْدًا تَقَادَمَ بِاللُّوَى،

(١) الضريب: الثلج - لِحاح لغام: ملازمة اللعاب والمقصود القطر أو المطر.
 (٢) الرغاء: صوت الإبل شبه صوت الرعد برغاء الإبل - الزمام: اللجام.
 (٣) البشام: شجر ذو رائحة طيبة.
 (٤) الأحم: الأسود، والمراد الموقد - حام: من أبناء نوح وهو أصل السودان.

وَحَطَّ قِنَاعَ الصَّبْرِ، وَاللَّيْلُ عَاكِفٌ،
 وَبِثٌّ، وَسِرِّي رَاكِبٌ ظَهَرَ مَدْمَعِ
 أَنَاجِي ظَلَامِ اللَّيْلِ فِيهِ بَلْوَعَةٌ،
 وَأَسْحَبٌ أَذْيَالُ الدُّجَى، فَيَهِيْجُنِي
 وَكُنْتُ عَلَى عَهْدِ السُّلُوِّ يَشُوْفُنِي
 أَغَازِلُ، مِنْ سَيْفٍ تَأَلَّقَ، صَفْحَةٌ،
 وَأَسْرِي فَأَسْتَصْفِي، مِنْ السَّيْفِ، صَاحِبًا؛
 وَأَصْدَعُ أَحْشَاءَ الظَّلَامِ بِفَيْتِيَّةٍ،
 أَذْعَتُ بِهِمْ سِرَّ الصَّبَاحِ، وَإِنَّمَا
 وَقَدْ كَتَمْتَهُمْ أَضْلَعُ الْبَيْدِ ضِنَّةً،
 فَبَيْتَنَا، وَبِحَرِّ اللَّيْلِ مُلْتَظِمٌ بِنَا،
 وَقَدْ نَثَرْتُ مِنْهَا، قِسِيًّا، يَدُ السُّرَى،
 سَحَبْتُ الدُّجَى مِنْهَا بِأَعْنَسَ ضَامِرٍ،
 يُقَلِّبُ طَرْفًا، فِي الْكَوَاكِبِ، سَامِيًّا،
 وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَرَى الْقَوْسَ مُنْحَنِيًّا
 وَجَاذِبَنِي رَجَعَ الْحَنِينِ عَلَى السُّرَى،
 وَيُطْرِبُهُ سَجْعُ الْحَمَامَةِ بِالضُّحَى،

فَأَفْصَحَ دَمْعٌ كَانَ بِالْأَمْسِ أَعْجَمًا
 طَلِيْقِي، إِذَا مَا أَنْجَدَ الرَّكْبُ أَتَهُمَا^(١)
 تَحَدَّثَ عَنْهَا الطَّيْرُ فَجْرًا، فَهَيْنَمَا^(٢)
 حَمَامٌ تَدَاعَى، سَحْرَةٌ، فَتَكَلَّمَا
 حُسَامٌ تَعَنَّى، لَاحِمَامٌ تَرْتَمَا
 وَالْثُمَّ، مِنْ نَقْعِ أَزَاحِمِهِ، لَمَى
 وَأَرَكَبُ، مِنْ ظَهْرِ الدُّجَى، أَدَهَمَا
 مَوَاكِبَ، مِنْهَا أَنْجَمَ اللَّيْلُ أَنْجَمًا^(٣)
 سَرَرْتُ بِهِمْ لَيْلَ السُّرَى، فَتَبَسَّمَا
 وَلَمْ يَكُ سِرُّ الْمَجْدِ إِلَّا لِيَكْتَمَا
 نَرَى الْعَيْسَ غَرَقَى وَالْكَوَاكِبَ عَوْمًا^(٤)
 وَفَوْقَ مَنَا، فَوْقَهَا، الْمَجْدُ أَشْهُمَا^(٥)
 رَمَيْتُ بِهِ رُكْنَ الدُّجَى فَتَهَدَّمَا^(٦)
 كَأَنَّ بِهِ، تَحْتَ الظَّلَامِ، مُتَجَّمَا
 بِهِ، فِي يَدِ الْبَيْدَاءِ، وَالسَّهْمَ مُرْتَمَى
 كَأَنَّ لَهُ قَلْبًا، هُنَاكَ، مُتِيَّمَا
 فَيَلْوِي إِلَيْهَا لَيْتَهُ مُتَفَهَّمَا^(٧)

(١) أنجد وأتهم: على التوالي أتى بلاد نجد وأرض تهامة.

(٢) هينم: غرد.

(٣) أنجم الليل: أطلع نجومه.

(٤) العيس: الإبل.

(٥) القسي: الرماح.

(٦) الأعنس: البعير الموثق الخلق.

(٧) الليت: الجيد أو صفحته.

ولكنني أعديته، فتعلّما
 فأعولت، إلا حنّ وجدأ فأرزما^(١)
 لبستُ به بُردَ الدُّجْنَةِ مُعلِّمًا
 أُرُوعُ به، مِنْ سُدفَةِ اللَّيْلِ أُرُقَمًا
 تَدَارَكُهُ قَطْرُ الدَّمُوعِ، فَأَعَجَمًا
 شُجَاعًا، إِذَا مَا أَحْجَمَ الصَّبْرُ صَمَمًا
 وَإِنِّي لِمُقْدَامٌ، إِذَا الذَّمْرُ أَحْجَمًا^(٢)
 فتندي جفوني عبْرَةً، ويدي دَمًا
 بِكفِّي؛ وهذا صدرُ رُمحي مُحَطَّمًا
 رَمَيْتُ به الهَيْجَا، وَقَدْ فَغَرَّتْ فَمَا
 إِذَا عَصَفَتْ رِيحُ الْجِلَادِ به طَمَى
 وَأَشْرَفَ هَادٍ أَنْ يُنَالَ، فَيَلْجَمًا^(٣)
 إِذَا مَا جَرَى، نَارُ الْغَضَا مُتَضَرَّمًا
 وَغَبَّرَ فِي وَجْهِ النَّهَارِ فغَيْمًا
 به، وَاسْتَطَارَ النَّقْعُ أَرَبَدًا أَقْتَمًا
 مُحِلًّا، وَتَلَقَى الصَّارِمَ الْعَضْبَ مُحْرَمًا^(٤)

وما كان يدرى ما الحنينُ على النوى؟
 فما عاج بي وجدُّ على رسمِ منزلِ،
 وما هاجني إلا تالُقُ بارِقِ،
 تلوَى هُدُوءًا يَسْتطِيرُ، كَأَنَّمَا
 إِذَا خَطَّ سَطْرًا، بَيْنَ عَيْنَيَّ، مُذْهَبًا،
 حَمَلْتُ لَهُ قَلْبًا جَبَانًا، وَمَدَمَعًا
 وَيَا عَجْبًا لِي كَيْفَ أَجْبُنُ فِي الْهَوَى،
 فَهَا أَنَا أَغْشِي مَوْقِفَ الْبَيْنِ وَالْوَعَى،
 وَإِلَّا فَهَذَا غَرْبُ سَيْفِي مُثَلَّمًا
 فَيَارُبَّ وَضَّاحِ الْمَحَاسِنِ، أَشْقَرِ،
 وَبِحَرِّ حَدِيدِ، قَدْ تَلَاطَمَ، أَخْضَرِ،
 أَبِي عَزُّ نَفْسٍ أَنْ يَجُولَ فَيُجْتَلَى؛
 جَرَى الْحَسَنُ مَاءً، فَوْقَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ،
 عِدَا، فَاسْتَنَارَ الْبَرْقُ لَوْنًا وَسُرْعَةً،
 يَوْمَ أَرَانِي الْبَرْقَ أَحْمَرَ قَانِيًا
 تَرَى الطَّرْفَ مِنْهُ، كَلَّمَا خَاضَ هَبُوءَةً،

(٢٢٣)

وانتحنينا مدامه

قام يسعى بها غلامٌ يُعْنِي، فانتنى خُوطةً وناحَ حمامة

(١) أرزم: حنّ، والمراد أرزمت الناقة إذا أرسلت صوت حنينها.

(٢) الذمّر: الباسل الشجاع - أحجم: تراجع ونكص.

(٣) يجتلى: ينظر إليه، يتأمل - الهادي: من أسماء الأسد، والمراد جواده.

(٤) المحرم: خلاف المحل، أي الذي يعطل الحرام.

وانتَحَيْنَا، مِنْ طَرَفِهِ وَيَدَيْهِ
والدُّجَى قَدْ لَوَى لِيَوَاءَ الثُّرَيَّا،
وَكأنَّ الغَمَامَ، وَالبرقَ يَهْفُو،
ولَمَاهُ ووجنتِيه ، مُدَامَةً
وانتَضَتْ راحَةَ الصبَاحِ حُسَامَةً
رَاكِبٌ سَلَّمَ الثُّعَاسَ زِمَامَةً

(٢٢٤)

أَشْكُو إِلَيْهَا

لَكَ اللهُ مِنْ بَرَقِ تَرَاءَى، فَسَلَّمَا،
إِذَا مَا تَجَاذَبْنَا الحَدِيثَ، عَلَى السُّرَى،
وَلَمْ أَعْتَنِقْ بَرَقَ الغَمَامِ، وَإِنَّمَا
وَمَا شَاقَنِي إِلَّا حَفِيفُ أَرَاكَةِ،
وَسَرْحَةٌ وَإِدْهَزَهَا الشُّوقُ لَا الصَّبَا،
أَطَفْتُ بِهَا أَشْكُو إِلَيْهَا وَتَشْتَكِي،
تَحْنٌ، وَدَمْعُ الشُّوقِ يَسْجُمُ، وَالنَّدَى،
وَحَسْبُكَ مِنْ صَبِّ بَكَى وَحَمَامَةٍ،
وَلَمَّا تَرَاءَتْ لِي أَثَافِي مَنَزِلِ،
تَرَنَّحَ بِي لِدَعْجٍ، مِنْ الشُّوقِ، مَوْجِعٌ،
فَأَسَلَمْتُ قَلْبًا بَاتَ يَهْفُو بِهِ الهَوَى؛
وَخَلَيْتُ دَمْعِي وَالْجُفُونَ هُنَيْهَةً،
وَعُجْتُ المَطَايَا حَيْثُ هَاجَ بِي الهَوَى؛
وصَافِحَ رَسْمًا، بِالْعُذِيبِ، وَمَعْلَمًا^(١)
بَكَيْتُ عَلَى حُكْمِ الهَوَى، وَتَبَسَّمَا
وَضَعْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ تَأَلَّمَا
وَسَجَعُ حَمَامٍ، بِالْغَمِيمِ تَرَنَّمًا^(٢)
وَقَدْ صَدَحَ العُصْفُورُ فَجْرًا، فَهَيْنَمَا^(٣)
وَقَدْ تَرَجَمَ المُكَاءَ عَنْهَا، فَأُفْهَمَا^(٤)
وَقَرَّ بَعِينِي أَنْ تَحْنَنَّ وَيَسْجُمَا
فَلَمْ يُدِرْ شَوْقًا أَيُّمَا الصَّبِّ مِنْهُمَا
أَرْتَنِي مُحِيًّا ذَلِكَ الرَّبِيعِ أَهْيَمًا^(٥)
نَسِيتُ لَهُ الصَّبْرَ الجَمِيلَ تَأَلَّمَا
وَقُلْتُ لِدمَعِ العَيْنِ أَنْجِذْ، فَأَتَهُمَا
فَأفْصَحَ سِرًّا مَا فَعَرْتُ بِهِ فَمَا
فَحْيَيْتُ مَا بَيْنَ الكَثِيبِ إِلَى الحِمَى

(١) العذيب: موضع - السرى: السير ليلاً.

(٢) الأراك: واحدة الأراك وهو شجر يستاك به - الغميم: واد في أرض العرب.

(٣) السرحة: الشجرة الضخمة - الصبا: الريح الناعمة.

(٤) المكاء: جمع مكائي، ضرب من الطيور التي ترسل صوتاً كالصفير.

(٥) الأثافي: حجارة الموقد - الربيع الأهميم: الأسود الحالك.

وَقَبَّلْتُ رَسْمَ الدَّارِ حَبًّا لِأَهْلِهَا،
 وَحَنَّتْ رِكَابِي، وَالهُوَى يَبْعَثُ الْهُوَى،
 فَهَا أَنَا وَالظُّلْمَاءُ وَالْعَيْسُ صُحْبَةٌ،
 أُرَاعِي نُجُومَ اللَّيْلِ حُبًّا لِبَدْرِهِ،
 وَمَا رَاعَنِي إِلَّا تَبَشُّمَ شَيْبَةٍ،
 فَعَفْتُ غُرَابًا، يَصْدَعُ الشَّمْلَ، أَيْضًا،
 فَآهٍ طَوِيلًا نَمَّ آهٍ لِكَبْرَةٍ،
 وَقَدْ صَدِثْتُ مِرَاةً طَرْفِي وَمِسْمَعِي،
 وَهَلْ ثِقَةٌ فِي الْأَرْضِ يَحْفَظُ خِلَّةً،
 كَأَنْ لَمْ يَشُقِّنِي مَبْسِمُ الصَّبْحِ بِاللَّوَى؛
 وَلَمْ أَطْرُقِ الْحَسَنَاءَ، تَهْتَزُّ خُوطَةً،
 وَلَا سِرْتُ عَنْهَا أَرْكَبُ الصَّبْحَ أَشْهَبًا،
 وَلَا جَاذِبْتَنِي الرِّيحُ فَضْلَ ذَوَابَّةٍ،

وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا صَعِيدًا تَيْمَمًا^(١)
 فَلَمْ أَرْ فِي تَيْمَاءٍ إِلَّا مُتَيْمًا^(٢)
 تَرَامِي بِنَا أَيْدِي النَّوَى كُلَّ مُرْتَمَى
 وَلَسْتُ كَمَا ظَنَّ الْخَلِيَّ مُنْجَمًا
 نَكَرْتُ لَهَا وَجَهَ الْفَتَاةِ تَجَهُّمًا
 وَكَانَ، عَلَى عَهْدِ الشَّيْبَةِ، أَسْحَمًا^(٣)
 بَكَيْتُ عَلَى عَهْدِ الشَّبَابِ بِهَا دَمًا
 فَمَا أَجِدُ الْأَشْيَاءَ كَالْعَهْدِ فِيهِمَا
 إِذَا غَدَرَا بِي: صَاحِبَانِ هُمَا هُمَا
 وَلَمْ أَرْتَشِفْ مِنْ سُدْفَةٍ، دُونَهُ، لَمَى^(٤)
 وَتَسَحَّبُ مِنْ فَضْلِ الضَّفِيرَةِ أَرْقَمًا
 وَقَدْ جِئْتُ، شَوْقًا، أَرْكَبُ اللَّيْلَ أَهْمًا
 لَبِسْتُ بِهَا ثَوْبَ الشَّيْبَةِ مُعْلَمًا^(٥)

(٢٢٥)

فَأَنْصَاعَ يَنْسَابُ

وِظْلَامٍ لَيْلٍ لَا شِهَابَ بِأَفْقِهِ،
 لَا طَمْتُ لُجَّتَهُ بِمَوْجَةِ أَشْهَبٍ،
 إِلَّا لَنْصَلٍ مُهَنَّدٍ أَوْ لَهْذَمٍ^(٦)
 يُرْمَى بِهَا بَحْرُ الظَّلَامِ، فَتَرْتَمِي

(١) التَّيْمَمُ: مسح الأطراف والوجه بالتراب إذا لم يوجد الماء الصالح للوضوء من أجل تأدية الصلاة.

(٢) تَيْمَاءٌ: موضع في أرض العرب - المتيمة: العاشق المولء بالحب.

(٣) الْأَسْحَمُ: الأسود.

(٤) السُدْفَةُ: (من الأضداد)، وهي بمعنى الضوء والظلام.

(٥) الْمُعْلَمُ: ذو العلامة.

(٦) اللَّهْذَمُ: السيف الحاد القاطع.

فَاللَّيْلُ فِي شِيْبَةِ الْأَغْرِّ الْأُدْهَمِ (١)
 وَمُهَنْدِ عَضْبٍ، ثَلَاثَةَ أَنْجُمٍ (٢)
 أَوْ يَعْتَرِضُ شَيْطَانُ حَرْبٍ تُرْجَمِ (٣)
 فَاَنْصَاعَ يَنْسَابُ اَنْسِيَابِ الْأَرْقَمِ
 أَوْ رَأْسِ طَوْدٍ بِالْغَمَامِ مُعَمَّمِ
 أَوْ وَجْهِ خَرْقٍ بِالضَّرِيْبِ مُلْتَمِّمِ (٤)
 طَرِبَاءً، لِشِدْوِ الطَّائِرِ الْمُتَرَنِّمِ
 نَفَضَتْ بِهِ الْهَيْجَاءُ نَضْحًا مِنْ دَمِ (٥)

قَدْ سَالَ فِي وَجْهِ الدُّجْنَةِ غُرَّةً،
 أَطْلَعْتُ مِنْهُ، وَمِنْ سِنَانِ أَرْزَقِ
 إِنْ يَعْتَكِرُ لَيْلُ الْعَجَاجَةِ تَسْتَرِزُ،
 جَاذِبْتُهُ فَضَلَ الْعِنَانِ، وَقَدْ طَغَى،
 فِي خُضْرِ عُودٍ بِالْأَرَاكِ مُوَشَّحِ،
 أَوْ بَحْرِ نَحْرِ بِالْحَبَابِ مُقْلَدِ،
 حَتَّى تَهَادَى الْغُصْنُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ
 وَكَأَنَّ ضَوْءَ الصَّبْحِ رَايَةً ظَافِرِ،

(٢٢٦)

وَأَشْهَرُ لَوْعَةً

وَبِي أَلْفٍ عِنْدَ الْعِنَاقِ وَلَا مُمْ
 كَمَا خَالَطَتْ، مَاءَ الْغَمَامِ، مُدَامُ
 وَأَسْهَرُ فِيهِ لَوْعَةٌ وَيَنَامُ
 فَيَنْبِي وَيَبِينُ الشَّعْرَ فِيهِ ذِمَامُ (٦)
 تَنْبِيَّهُ بِالْإِنْشَادِ، وَهِيَ نِيَامُ
 وَلَكِنَّ أَشْعَارَ الْكِرَامِ كِرَامُ

وَأَلْزَمْتُهُ حُكْمَ الْهَوَى فَالتَقَى بِهِ،
 وَبَيْنَا خَلِيطِي ضَمَّةً وَاعْتِنَاقَةً،
 تَشْفُ بِي الشُّكْوَى إِلَيْهِ وَتَرْتَقِي،
 وَأَسْتَكْتِمُ الشَّعْرَ اسْمَهُ خَوْفٍ كَاشِحِ،
 فَلَا أَنْسَ إِلَّا فِي عُيُونِ قِصَائِدِ
 وَلَمْ يَطْوِ شِعْرٌ قَبْلَهُ مِنْ سَرِيرَةٍ،

(١) الأدهم: الفرس الأسود اللون.

(٢) العضب: السيف القاطع.

(٣) يعتكر: يسود ويظلم - العجاجة: الغبار.

(٤) الخرق: الأرض القفراء.

(٥) نفضت نضحاً من الدم: يشير إلى الإحمرار الذي يظهر في الأفق الشرقي عند شروق الشمس.

(٦) الكاشح: العدو المبعض.

وسرى الهلالُ

طافَ الظلامُ به فأسْرَجَ أدهما،
وسرى يطيرُ به عُقابٌ كاسِرٌ،
زَحَمَ الدُّجى منه بركنَى هيكِلِ،
في سُدفَةٍ يندى دُجاها صَفْحَةً،
فتكادُ ريقَةً طَلَّها أن تُحتسى
مِن ليلةٍ غَنِيَتْ فيها، أنثى
وسرى الهلالُ يدبُ فيها عَقْرِباً،
وتَلَدَدَتْ، نحو الحمى، بي نظرةً
فلويتُ أعناقَ المَطِيِّ مُعْرَجاً؛
مُتَنَسِّماً نَفَسَ القَبُولِ، وربما
فأسَلْتُ أحساءَ الدُموعِ علامةً؛
في مَنْزِلِ ما أوطأته حافِراً
أكرمتهُ عن أن يُنالَ بِوطأةٍ،
دمَعَتْ به عينُ الغمامِ صَبَابَةً،
ما أذكرتني العهدَ فيه أيكَةً،

وسعا السَّمَاءُ به فأشْرَعَ لَهْدَمًا^(١)
أَمْسى يُلاعِبُ من عِنانِ أَرْقَمًا^(٢)
لو كان زاحِمَ شاهِقًا لَهْدَمًا^(٣)
ويطيبُ رِيًّا رِيحُها مُتَنَسِّمًا
رَشْفًا، ومبِسِمُ بَرِقِها أن يُلثَمًا^(٤)
طَرِبًا، وأسعدني المَطِيَّ فأرزَمًا
وانسابَ مُنْعَطَفِ المَجْرَةِ أَرْقَمًا
عُذْرِيَّةً، ثنَّت العِنانَ إلى الحِمَى^(٥)
ونزلتُ أعتنقُ الأراكُ مُسَلِّمًا^(٦)
أورى زنادَ الشوقِ أن أُنَسِّمًا^(٧)
ولويتُ أحناءَ الضُّلوعِ، تألَمًا^(٧)
عُزْبُ الجِياذِ، ولا المَطايا مُنَسِّمًا
ولمئلهِ من مَنْزِلِ أن يكرَمًا
ولربما طَرِبَ الجوادُ فحَمَحَمًا
إلا بَكَيْتُ، فسالَ واديهما دَمًا

(١) السَّمَاءُ: نجم.

(٢) أراد بالعقاب الكاسر: الفرس النشيطة الحثيثة الجري.

(٣) الهيكِل: الفرس الضخم.

(٤) الريقة: الريق، رضاب الثغر - تحتسى: تشرب - يلثم: يقبل.

(٥) تلدد: تحير.

(٦) القبول: ريح الصبا الناعمة.

(٧) أحساء الدموع: استعارة. وواحد الأحساء الحسي وهو مستنقع الماء أو موضع تجمعه.

وَسَجَعْتُ أَنْدُبَ لَوْعَةٍ، وَلرَبِمَا صَدَحَ الْحَمَامُ يُجِيئِي، فَتَعَلَّمَا

(٢٢٨)

مِلْ إِلَى أَيِّكَ

أَنْعَمَ، فَقَدِ هَبَّتِ الثُّعَامَى، وَنَبَّهَتْ رِيحُهَا الْخُزَامَى^(١)،
وَمِلْ إِلَى أَيِّكَ بَلِيلِ، يَهْفُؤُ، اهْتَزَّازًا بِهَا، قُدَامَى^(٢)،
تَهْزُّ أَعْطَافَهَا الْقَوَافِي لَهَا، وَأَكْوَابُهَا النَّدَامَى
كَأَنَّ أُمَّأَ بِهَا رُؤُومًا، تَحْضُنُ، مِنْ شَرِبِهَا، يَتَامَى

(٢٢٩)

عَلَى الْغُصْنِ سَلَامٌ

رَبِمَا اسْتَضْحَكَ، الْحَيَابَ، حَيْبٌ نَقَضَتْ، ثَوْبَهَا، عَلَيْهِ الْمُدَامُ
كَلَّمَا مَرَّ قَاصِرًا مِنْ خُطَاهُ، يَتَهَادَى كَمَا يُمُرُّ الْعَمَامُ
سَلَّمَ الْغُصْنَ وَالْكَثِيبُ عَلَيْنَا، فَعَلَى الْغُصْنِ وَالْكَثِيبِ السَّلَامُ

(٢٣٠)

مَا رَاقِنِي كَمَجْدِكَ

عثر صديق ابن خفاجة الفقيه أبو أمية وأصابه وهن فبعث إليه

بهذه القصيدة

بِذَاتِ الْمَكَارِمِ ذَاكَ الْأَلَمِ؛ وَفِي اللَّهِ مَا نَابَ تَلْكَ الْقَدَمَ
فَرَوَّعَ حَتَّى نُجُومَ الْعَلَاءِ، وَضَعَّضَعَ حَتَّى سَمَاءِ الْكَرَمِ
مُهَيْمَ تَعَاطِي رُكُوبِ الشُّرَى، فَصَمَّمَ يَطْرُقُ حَتَّى أَلَمِ
وَوَافِي، يُقَلِّصُ أذْيَالَهُ، لِيَعْبُرَ لُجَّةَ بَحْرِ خِضَمِّ
وَهَابَ، فَأَلْقَى، عَلَى وَجْهِهِ، قِنَاعَ سَوَادِ الدُّجَى، وَالتَّثَمِّ

(١) النعامى: ريح جنوبية. الخزامى: زهرة طيبة الرائحة.

(٢) القدامى: طليعة الجيش المتقدمة.

وَأَمَّ يَدِيبُ دَيْبِ الْكَرَى ، وَيَمْشِي الضَّرَاءَ بِذَاكَ الْحَرَمِ^(١) ،
 وَلِلسَّعِدِ طَرْفٌ بِهِ كَالْيَاءِ ، يُرَاعِي الْهَزِيرَ ، وَيَحْمِي الْأَجْمَ^(٢) ،
 فَمَا طَرَقَ الْحَيَّ حَتَّى اتَّقَى ؛ وَلَا اسْتَقْبَلَ الْمَجْدَ حَتَّى احْتَشَمَ
 وَوَلَّى يَكْذُ الْخُطَى خَشِيَةً ، وَيَحْذَرُ مِمَّا اجْتَرَى وَاجْتَرَمَ^(٣) ،
 فَلَا زَالَ يَرْمِي ، فَيُصِمِي الْعِدَى ، وَتَكْتَنِفُ ابْنَ عِصَامِ عِصَمَ^(٤) ،
 هُمَامٌ ، لِعَيْنِ الْهُدَى نَاطِرٌ ، بِهِ ، وَلِوَجْهِ الْعُلَى مُبْتَسَمٌ
 أَضَافَ إِلَى مُجْتَلَى مُجْتَنَى : فَبَرَقَ يُشَامُ وَرَوْضُ يُشَمُّ^(٥) ،
 وَفَاتَ الرِّيَّاحَ وَطَالَ الرَّمَاحَ ، فَطَوَّلَ عَمِيمٌ وَطَوَّلَ عَمَمٌ^(٦) ،
 يُمُدُّ بَغْرَ الْأَيْدَى يَدَا ، تَصَاحَبَ فِيهَا النَّدَى وَالْقَلَمُ
 فَيَمْحُو مِدَادَ سَوَادِ الرَّجَا ، بِمَا فَاضَ مِنْ مَاءٍ بِيضِ النَّعَمِ
 وَيَكْتُبُ ، وَالْخَطْبُ مُسْتَفْحَلٌ ، فَيَدْفَعُ فِي صَدْرٍ مَا قَدَّ أَهَمُّ
 فَيَارُبَّ حَيَّةً وَإِدْرَقَى ، هُنَاكَ ، وَرُقْعَةٌ وَشَيْ رَقَمٌ
 فِي وَجْهِ مَكْرُمَةٍ غُرَّةٌ ، تُنِيرُ ، وَفِي أَنْفِ مَجْدٍ شَمَمٌ
 وَإِنَّا ، إِذَا مَا تَصَدَّى الصَّدَى ، لَنَكْرَعُ فِي مَاءِ تِلْكَ الشَّيْمِ^(٧) ،
 وَنَسْرِي ، وَقَدْ قَرَّ لَيْلُ الشُّرَى ، فَتَقَبَّسُ مِنْ نَارِ ذَاكَ الْفَهَمِ

(١) الكرى: النّوم - مشى الضراء: أي مشى متوارياً بين الأشجار.

(٢) الكالي: الحافظ الذي يحرس ويرعى - الهزير: الأسد الأجم: جمع الأجمة العرين، مأوى الأسد.

(٣) اجترأ: مخفف: اجترأ، واجترأ: أقدم بجرأة - اجترم: اقترف جريمة.

(٤) يصمي العدى: يرميهم فيقتلهم - تكتنفه: تحيط به - العصم: جمع العصمة وهي الصون والحفظ من الأذى والشر.

(٥) المجتلى: المنظر - المجتنى: ما يجنى - مدحه وجعله منهلاً يرده المعتفون وذوو الحاجة.

(٦) الطول: الفضل - العميم: الشامل - العمم: الكامل في القوة والفتوة.

(٧) الصدى: الظمأ والعطش الشديد - نكرع: نمد العنق وتناول الماء بفيينا من موضعه - ماء الشيم: استعارة شخص بها مكارمه وجعلها مورداً يرتوى منه الظالمون.

نَضِلُّ، وَغُرَّتْهُ بَدْرُ تَمِّ
 يَصُدُّ الْعِدَى وَيَسُدُّ الثَّلَمَ
 فِيحِمِي الْحَرِيمَ وَيَرَعَى الْحُرْمَ
 تَرَى الْمَاءَ يَجْرِي بِهِ مِنْ عَلَمٍ
 وَقِسْطَاسٍ عَدِلٍ، إِذَا مَا حَكَمَ (١)
 فَيَقْضِي وَيَمْضِي، مُضِيَّ الْخُدْمِ (٢)
 وَيَضْرِبُ حَتَّى رُؤُوسِ الْبُهَمِ (٣)
 وَيَأْلَفُ فِي اللَّهِ حَتَّى نَعَمَ
 تُبَاهِي بِهِ الْعُرْبُ صَيْدَ الْعَجَمِ
 عَلِيَّ السَّجَايَا، وَفِي الذَّمِّ
 وَيَجْرِي بِكَفَيْهِ مَاءُ الْكَرَمِ
 وَتُعَدِّي سَجَايَا الْمَوَالِي، الْخَدَمَ
 وَحَيَّ تَجِدُ هِزَةَ الْغُصْنِ، ثُمَّ (٤)
 كَأَنَّكَ حَيَّيْتَ مِنْهُ صَنَمَ
 وَلَا نَبْوَةَ الْفَهَمِ إِلَّا صَمَمَ
 وَإِلَّا فَحَيْثُ الْوُجُودُ الْعَدَمَ
 وَضَرَبُ الطُّلَى، وَاعْتِسَافُ الظُّلَمِ (٥)
 وَشَقُّ الْعَجَاجِ، وَوَطْءُ الْقِمَمِ (٦)

وَلَسْنَا، وَأَرَاؤُهُ أَنْجُمٌ،
 فَمَا شِئْتَ مِنْ سَيِّدِ أَيْدٍ،
 يَغَارُ وَيَمْنَعُ مِنْ غَارَةِ،
 وَيَعْشَى النَّدِيَّ بِخُلُقِ نَدٍ،
 فَهَضْبَةُ حِلْمٍ، إِذَا مَا احْتَبَى،
 يَسِيرُ بِهِ الْحَقُّ سَيْرَ الْقَطَا،
 يُسَدُّ حَتَّى صُدُورِ الْقَنَا؛
 وَيَهْجُرُ فِي اللَّهِ حَتَّى الْكَرَى؛
 وَحَسْبُكَ مِنْ أَوْحَادٍ أَمْجَدٍ،
 سَنِيَّ الْعَطَايَا، حَفِيَّ التَّحَايَا،
 يُنَوِّرُ، بِالْبِشْرِ، أَخْلَاقَهُ،
 وَيَهْتَزُ، لِلضَيْفِ، خُدَامَهُ،
 فَزْرُهُ تَنْزُرُ رَوْضَةَ غَضَّةً؛
 وَدَعَّ عَنْكَ مِنْ جَاهِلٍ ذَاهِلٍ،
 فَمَا ظَلَمَةَ الْجَهْلِ إِلَّا عَمَى؛
 وَلَا شَرَفُ الْمَرءِ غَيْرُ التُّهَى،
 وَلَا الْعِزُّ إِلَّا اعْتِقَالُ الْقَنَا،
 وَجَوْبُ الْفُجَاجِ، وَخَوْضُ الْهِيَا،

(١) الحلم: الوقار والتعقل - القسطاس: الميزان.

(٢) القطا: طائر يشبه الحمام - الخدم: جمع الخدوم، السيوف الماضية.

(٣) يسد: يصبوب - القنا: الرماح - البهم: جمع البهمة، الشجاع.

(٤) ثم (بفتح التاء): هنالك، أي تجد في روضته.

(٥) اعتسف الظلم: سار يخبط في الظلام.

(٦) جاب: قطع - الفجاج: جمع فج وهو الطريق بين الجبلين - العجاج: الغبار، والمراد غبار =

وحسبُ الدُّمى والعِدى أَننى
وأكرهتُ صدرَ القنا والطُّبى،
وأقبلتُ، وجهَ الردى، أدهماً،
كأنى، وقد رثتُ ثوبُ الدُّجى،
وليلٍ قد حثتُ به عزيمةً،
وأوطأتُ أحشاءه أشقراً،
كأنى، وقد خبطَ الليلُ بي،
ويا ربَّ ليلٍ جنِّي المُنَى،
لهوتُ، ودون التِّمَاحِ الصِّباحِ
يُمَدُّ الشَّرَابُ بِبِرْدِ الرُّضَابِ،
وقد كَتَمَ الليلُ سِرَّ الهوى؛
وأهدى، إلى الرِّوضِ، نشرُ الصِّبا
تَحَمَّلَ، من شُكْرِ قاضِي القُضاةِ،
أرقتُ، أغوصُ، على دُرِّه،
وقد وَقَفَ الليلُ لا يَهْتَدِي،
وغامَ، فأجهشَ حتى بكى
ولمَّا تَرْتَمْتُ أَطْرِبْتُهُ
فيا شمسَ سَعِدِ، إذا ما اعتزى؛
أبى طودُ عِزِّكَ من أن يُضامَ،

رَشَفْتُ اللَّمَى، وخضبتُ اللَّمَمَ
فَهَذَا تَثْنَى وذاك انثَلَمَ
رَمَيْتُ الصِّبَاحَ بِهِ، فادلَّهُمْ^(٤)
رَتَقْتُ بِهِ خَرَقَهُ فَالتَّامُ
قَدَحْتُ الظَّلَامَ بِهَا فاضطَّرمَ
كأنى نَفَخْتُ بِهِ فِي ضَرَمَ
قَدَحْتُ بِهِ شُعْلَةً فِي فَحَمَ
شَهِيَّ اللَّمَى، مُسْتَطَابِ اللَّمَمِ
ظلامٌ سَجَا، وغمامٌ سَجَمَ
وجنحُ الظَّلَامِ بِسُودِ اللَّمَمِ^(١)
وَنَمَّتْ بِمَا اسْتَوَدَعْتَهُ النَّسَمَ
سلاماً، يَلْفُ فُرُوعَ السَّلَمِ^(٢)
ثَنَاءً، تَجَسَّسَ طِييَاً، فَنَمَ
وقد ماجَ بحرُ الدُّجى والتَّطَمَ^(٣)
فَتَخَطَّبُوهُ، لِلثَّرِيَا، قَدَمَ
سُحَيْرَاً، وَأَبْرَقَ حَتَّى التَّدَمَ^(٤)
بِمَا صُنِغَتْ أَطْرِبِكُمْ، فابْتَسَمَ
وَكَوْكَبَ رَجْمَ، إِذَا مَا اعْتَزَمَ
وَأَبْطَحَ خَلْقِكَ مِنْ أَنْ يُذَمَّ

= الحرب - وطء: دوس - القمم: الأعالى.

(١) يمد: يمزج - الرضاب: الريق - اللمم: جمع لمة، الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٢) السلم: نوع من الشجر يتخذ للدباغة.

(٣) أرقت: سهدت، لم أنم - التطم البحر: هاج موجه.

(٤) سحيراً: قبيل الفجر - التدم: اضطرب.

وَإِنِّي، وَمَجْدِكَ، مَا رَاقِنِي كَمَجْدِكَ، أَعَزُّ بِهِ مِنْ قَسَمِ!

(٢٣١)

الشَّفِيعُ الْأَكْرَمُ

خاطب بهذه الأبيات أبا مدافع العربي مستشفعاً.

يا أيها الطَّوْدُ المنيعُ الأيهمُ؛ يا أيُّها البطلُ الكميُّ المَعْلَمُ^(١)؛
ها أنَّ لي، عندَ الليالي، حاجةً، بعُدتَ منالاً، والليالي تَلوُّمُ
والفضلُ يَأبى أن تُفوتَ لُبانةً، وأبو مُدافعِ الشَّفِيعِ الأكرمِ
فامتنُ بها يدَ نعمةٍ يُزهى بها، من غِرَّةٍ، هذا الزمانُ الأدهمُ
واسلمَ بمُعْتَرِكِ الفوارِسِ، والطُّبى تحنِي قراعاً، والعوالي تُحطِّمُ

(٢٣٢)

جاءتْ بها كريمةً

رفع ابن خفاجة هذه القصيدة إلى مريم بن إبراهيم مستشفعاً

بها إلى الأمير أبي الطاهر

يَمَّمْتُ من عَلَيْكَ خَيْرَ مِيَمٍ؛ وحللتُ من مَغْنَاكَ دارَ مُخَيِّمٍ
فخلعتُ عن عُنُقِي حَمِيلَةَ صَارِمٍ؛ و أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ حُمَالَةِ مَغْرَمٍ^(٢)
ونزلتُ من خِصْبِ بَأْمَرِ عِ مَنْزِلٍ؛ وحللتُ من أَمْنِ بَرَأْسِ يَلْمَلَمٍ^(٣)
ولئن تَهَادَتْنِي المَطَايَا والشُّرَى؛ وعُبابُ لُجَّةِ كَلِّ لَيْلٍ مُظْلِمٍ
فلقد سَكَنْتُ، ولليالي جَوْلَةٌ؛ كَحِلَّتْ، بَهَبَوْتَهَا، عِيونُ الأَنْجُمِ
وكفى احْتِمَاءَ مَكَانَةٍ، وصِيَانَةٍ؛ أَنِّي عَلِقْتُ بِذِمَّةِ مَنْ مَرِيَمِ
ذاتِ الأمانَةِ والِدِيانَةِ والثَّقَى؛ والْخُلُقِ الاشْرَفِ والطَّرِيقِ الأَقْوَمِ

(١) الطود: الجبل - الأيهم: الجبل الشاهق الشامخ.

(٢) حميلة الصارم: حمالة السيف - الحمالة: ما يدفع غرامة، الدية.

(٣) يللمم: اسم جبل على مسافة من مكة.

ذاتِ الجلالةِ والجزالةِ والتُّهى،
 من أُسْرَةٍ يَتَلَثَّمُونَ إِلَى الوغى،
 من بيتِ عزٍّ، من نِبَالٍ، حيثُ لا
 مُتَهَلِّلٍ لِلطَّارِقِينَ بِشَاشَةٍ؛
 طَلِقَ يَشْفُ لثَامُهُ عَن كوكبٍ
 مُتَقَدِّمٍ فِي صَدْرِ كُلِّ كَتِيبةٍ
 يَنْبِي بِهَا، عِطْفِيهِ، كُلُّ مُثَقَّفٍ
 إِنْ جَادَ جَادَ هُنَاكَ حَاتِمُ طِيءٍ
 وَإِنْ اسْتَجَرَتْ بِهِ اسْتَجَرَتْ بِهَضْبَةٍ،
 لَا تَعْتَرُّ الأَحْيَاءُ، دُونَ طُرُوقِهِ،
 تُنْمِي إِلَيْهِ، مِنَ الحَرَائِرِ، حُرَّةٌ،
 مَشهُورَةٌ فِي الفَضْلِ، قَدَمًا، وَالتُّهى،
 جَاءَتْ بِهَا الغُرُّ الكِرَامُ كَرِيمَةً،
 سِطَّةُ الفِلاذَةِ رِفْعَةً، وَمَكَانُهَا،
 تُوَلِّي الأَيَادِي عَن يَدِ نَزَلِ النَّدى

والبَيْتِ الأَرَفِ وَالنَّصَابِ الأَكْرَمِ
 يَوْمَ الحَفِيظَةِ، بِالعِجَاجِ الأَقْتَمِ^(١)
 تُلْقَى بِغَيْرِ مُسْوَدٍ وَمُعْظَمِ^(٢)
 أَوْ ضَارِبِ رَأْسِ الكَمِيِّ المُعْلَمِ
 مُتَأَلِّقٍ، فِي الحَادِثِ المُتَجَهِّمِ^(٣)
 شَهْبَاءَ، يَنْدِي جَانِبَاهَا بِالأَدَمِ
 لَدُنِ، وَيَضْحَكُ كُلُّ أبيضٍ مَخْدَمِ
 أَوْ صَالَ صَالَ رِيبَعَةٌ بِنُ مُكَدَّمِ^(٤)
 مَاوَى الطَّرِيدِ بِهَا وَكُنْزُ المُعْدَمِ
 إِلا بِشَلْوَةٍ لَهْذَمٍ أَوْ ضَيْغَمِ^(٥)
 تَغْنَى بِسُوْدِدِ ذَاتِهَا أَنْ تَتَمِّي
 وَالتُّبَلِ، شُهْرَةٌ غُرَّةٌ فِي أَدْهَمِ
 لَا تَشْرَبُ إِلَى بِياضِ الدَّرْهَمِ
 مِنْ كُلِّ مَعْلَاةٍ، مَكَانُ اللَّهْذَمِ^(٦)
 «مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ»^(٧)

(١) الوغى: الحرب - يوم الحفيظة: يوم الذود عن الحرمات - العجاج الأقتم: غبار المعركة الأسود.

(٢) النبال (هنا): جمع نبيل، أي ذو الأصالة والنبيل.

(٣) الحادث المتجهم: الحادث المدلهم.

(٤) حاتم طيء: هو الذي يضرب به المثل في الكرم - ربيعة بن مكدّم: من الفرسان المعروفين قبل الإسلام.

(٥) الشلوة: مؤنث الشلو وهو الجزء من كل جسم - اللهزم: السيف - الضيغم: الأسد.

(٦) السطة: الواسطة أي واسطة الفلادة أو العقد وهي أكبر حباته ودرره.

(٧) الشطر الثاني من معلقة عنترة بن شدّاد، وأول هذا البيت:

ولقد نزلتُ، فلا تظني غيره...

وافترَّ بَارَقَ مُزْنَةَ عَنْ مَبْسِمِ
 أَنْدَى يَدِينِ مِنَ الْغَمَامِ الْمُرْزِمِ^(١)
 مِنْ مُنْجِدِ أَرْجِ الرِّيَّاحِ وَمُتْهِمِ
 وَيَنْمُ ذَيْلُ الرِّيَّاحِ طَيْبٌ تَنْسُمِ
 فِي حَالَةٍ، وَيَصُوبُ صَوْبَ مُدِيمِ^(٢)
 وَفَصِيحِ قَوْمٍ فِي مَقَادَةِ أَعْجَمِ
 بَسَطَ الْمُقْلَ لَهَا يَمِينِ الْمُعْدَمِ
 حَمَلَ الْحَدِيثَ رَوَايَةً عَنْ مُسْلِمِ

مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ، كَمَا انْجَمَ الْحَيَا،
 عَلِقَتْ بِهَا، حُرَّ الشَّاءِ، عَقِيلَةٌ
 جَوْدٌ تَنْوُءُ بِهِ الرُّكَّابُ عَلَى الشَّرَى،
 يَنْدَى بِهِ النَّبْتُ الْهَشِيمُ نَضَارَةً؛
 خَبَطَ الْبِلَادَ يَمُرُّ غَيْرَ مُغَيِّمٍ؛
 وَيُقْلُكَ مِنْ أَغْلَالِ أُسْرَى فَاقَةٍ،
 مَلَكَتْ بِهِ، الْأَحْرَارَ، أَكْرَمُ حُرَّةً،
 حَمَلَ، الشَّاءِ، بِهَا الْقَرِيضُ، وَإِنَّمَا

(٢٣٣)

رِجَالٌ نَجَبٌ

قال هذا الشعر نزولاً عند رغبة السلطان التي أفصح بها وزيره
 أبو القاسم بن الرقيق طالباً إليه أن يقول شعراً موطأً له بالغزل،
 فأنشد:

وَلِيَالِنَا بِنْدِي سَلَمِ^(٣)
 نَامَ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَنْمِ
 مُسْتَطَابِ اللَّثْمِ وَالشَّيْمِ^(٤)
 وَبِجَسْمِي فِيهِ مِنْ سَقَمِ
 وَوَقَيْتُ الْقَلْبَ مِنْ أَلَمِ
 لِمَا أَرْتَادُ مِنْ حُلْمِ^(٥)

قُلْ لِمَسْرَى الرِّيْحِ مِنْ إِضْمِ،
 طَالَ لَيْلِي فِي هَوَى قَمَرِ،
 وَأَبِي، حَيَّاهُ مِنْ رَشَائِ،
 لَتَسَاوَى مَا بَنْظَرَتَهُ،
 لَا مَسَحَتْ الْجَفْنَ مِنْ سَهَرِ،
 وَلَتَنْ رَاوَدَتْ مِنْ سِنَةِ

(١) أندى: أكثر ندى، أي جواداً وعطاء - الغمام المرزم: المرعد.

(٢) المديم: المطر الدائم الهطول.

(٣) إضم، وذو سلم: موضعان.

(٤) الرشأ: ولد الغزال، شبه به المحبوب - اللثم: التقبيل.

(٥) السنة: النوم، وراودت من سنة أي حاولت النوم - أرتاد: أبغى.

وَخِيَالٍ، لَوْ سَرَى لِحَبَا
 فَسَقَى اللَّهُ مَضْجَاعِنَا،
 وَبَكَى بَاكِي الْغَمَامِ بِهَا،
 فَلَكُمْ شَكْوَى، هُنَاكَ، لَنَا؛
 وَالتَّثَامِ بَيْنَ مُعْتَنِي،
 بِكَلَامِ رَقٍّ جَانِبُهُ،
 فَتَعَاقَدْنَا يَدَا، يَيْدِ؛
 وَانْتَصَفْنَا مِنْ مَظَالِمِنَا
 وَانْتَنَى يَمْشِي بِهِ غُصْنٌ،
 وَقَبِلْتُ الْكَاسَ مِنْ يَدِهِ،
 وَسَوَاءٌ دُرٌّ مَطَقَهُ،
 صَمٌّ سَمَعِي فِيهِ عَذَلِ؛
 فَأَرَانِي، لَا أَرَى صَدْدًا
 أَيْنَ مَا عَانَيْتُ مِنْ شَغَفِ؛
 أَيْنَ مَا أَحْرَزْتُ مِنْ أَمَلِ،
 هَلْ لَدَيَّ الْيَوْمَ، مِنْهُ سَوَى
 كُلُّ رِيَانٍ إِلَى ظَمِي؛
 أَيُّ شَمَلٍ غَيْرُ مُنْصَدِعِ؛
 أِهْ تَجَسَّتِ اللَّيْلِ مِنْ أَرْقِي،
 مَا لِي بِي عَنْ عَيْشَةٍ، كَرُمْتُ،
 عَاثَ فِي خَطِّ الْعِذَارِ بِهِ

مَا بَصْدِرِ الصُّبِّ مِنْ ضَرَمِ
 بَيْنَ طَلْحِ الْجِزَعِ وَالسَّلَمِ (١)
 بَيْنَ مُنْهَلِ وَمُنْسَجِمِ
 وَلَكُمْ نَجْوَى بِهَا وَكَمْ...
 وَاعْتَنَى بَيْنَ مُلْتَثِمِ
 بَيْنَ مَثُورِ وَمُنْتَظِمِ
 وَتَعَاهَدْنَا فَمَا لَفَمِ
 وَأَخَذْنَا أَخَذَ مُحْتَكِمِ
 مِنْ جَنَاهُ نَوْرٌ مُبْتَسِمِ
 فَاجْتَنَيْنَا الْوَرْدَ مِنْ عَنَمِ (٢)
 وَحَالَهُ، حُسْنٌ مُنْتَظِمِ
 وَابْنُ سِتِّينَ أَخْوَصَمِ
 عَنِ الْوُجُوعِ، وَالْغَرَامِ عَمِي
 أَيْنَ مَا قَضَيْتُ مِنْ لَمَمِ؟
 أَلْ يَطْوِينِي عَلَى أَلَمِ؟
 طُولِ قَرَعِ السَّنِّ مِنْ نَدَمِ؟
 كُلُّ وَجْدَانٍ إِلَى عَدَمِ
 أَيُّ حَبَلٍ غَيْرُ مُنْصَرَمِ؟
 وَوَرَاءَ الْبُرِّ مِنْ سَقَمِ!
 عُمُرٌ، أَدْنَى إِلَى الْهَرَمِ
 شَرَرٌ، قَدْ طَارَ فِي فَحَمِ

(١) الطلح: شجر الطلح، الجزع والسلم: موضعان.

(٢) العنم: أراد ثمر العنم وواحدته العنمة الحمراء اللون، يشبه بها البنان.

وَيَبَاضُ الْعَيْشِ مُقْتَرِنٌ
 وَكَفَانِي مَسٌّ فَاقْتِه
 لَا لَعْمَرِ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ،
 قَسَمًا بَرًّا، وَيَشْفَعُهُ
 لَا يَنَالُ الدَّهْرُ مِنْ جِهَتِي،
 الْإِمَامُ الْمُسْتَقْبَلُ بِهِ
 وَالشُّهَابُ الْمُسْتَضَاءُ بِهِ
 مَلَأَ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ شَرَفِ،
 وَسَمَّاحَ بَاسِطَ يَدِهِ،
 مِنْ قُرَيْشٍ فِي الصَّمِيمِ، وَمَنْ
 حَمَلَتْ، زَهْوَ الْكَلَامِ بِهِ،
 نَهَضَتْ، فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ،
 وَاهْتَدَتْ فِي كُلِّ مَجْهَلَةٍ،
 يَالَهُ مِنْ فَارِسِ نَجْدِ،
 وَارْتَدَى مِنْهُ، عَلَى غَضَبِ،
 نُضِيَتْ، يَوْمًا، بِهِ ظُبَا
 كَمْ مَضَى يَفْرِي، وَكَمْ سَفَكَتْ
 وَالْحُسَامُ الْمَشْرَفِيُّ هُنَا،
 وَرَجَالٌ قَادَةُ نُجُبٍ،

بَسَوَادِ الْعُذْرِ وَاللَّمَمِ (١)
 أَنْ يُذِيْعَ الدَّهْرُ مُهْتَضَمِي
 وَمَضَاءِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ
 قَسَمٌ أَرَعَاهُ مَنْ قَسَمِ
 وَبِإِبْرَاهِيمَ مُعْتَصِمِي
 رُكْنُ بَيْتِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ
 فِي دِيَاجِي الظُّلَمِ وَالظُّلَمِ
 قَدْ رَسَا طُودًا عَلَى الْقَدَمِ
 بِالْيَدِ الطُّوَلَى مِنَ النَّعْمِ
 فِتْيَةَ الْهَيْجَاءِ فِي الْقِمَمِ
 دَوْلَةٌ قَامَتْ عَلَى قَدَمِ
 بِوَجُودِ السَّعْدِ فِي الْخَدَمِ
 بِأَبِي إِسْحَاقٍ مِنْ عَلَمِ
 لَوْ نَضَاعَنْ صَارِمَ خَدَمِ (٢)
 بِحُسَامٍ غَيْرِ مُثَلِّمِ
 مَشْرَفِي لَيْسَ بِالْقَصِمِ (٣)
 شَفَرْتَاهُ مِنْ عَيْبِطِ دَمِ (٤)
 رَمَزَةٌ تُومِي إِلَى الْحَشَمِ
 نَزَلُوا عَنْ رُتْبَةِ الْبُهَمِ

(١) اللَّمَم: الجنون.

(٢) التَّجْد: الجريء الشجاع - الصَّارِم: السيف - وَالصَّارِمِ الْخَدَمِ: السيف القاطع.

(٣) ظُبْنَا: مثنى ظبة: حد السيف - الْقَصِمِ: السريع العطب والانكسار.

(٤) يَفْرِي: يقطع - الْعَيْبِطِ مِنَ الدَّمَاءِ: الدم الخالص.

وَأَحَلُّوا مِنْ مَرَاكِزِهِمْ ،
فَتَفَرَّى الْجَيْشُ عَنْ مَلِكِ ،
مُقَدِّمِ ، فِي الرَّوْعِ ، مُجْتَرِيءِ ،
وَبِهِمْ مَا جَرَّ ذَلِكَ مِنْ
لَا تُقَدِّمُ غَيْرَ مُضْطَهَّهِدِ ،
صَابِرٍ فِي اللَّهِ مُحْتَسِبِ ،
فِي ضَمَانِ الْمَشْرِفِيِّ بِهِ ،
فَتَكَّةٌ ، فِي الرَّوْمِ ، قَاصِمَةٌ
يَجْمَعُ الضَّرْبُ التَّوَامَ ، بِهَا ،
حَقُّ حِمِصٍ أَنْ تُسَرَّ بِهِ
وَعَمَامٌ ، دُونَ رَيْقِهِ
مَا ابْتَدَى إِلَّا رَأَيْتَ بِهِ
ظَلَّ يَنْدَى وَجْهُهُ خَفَرًا ،
سَخِرَتْ بِالنَّجْمِ هِمَّتُهُ ؛
أَعَصَمَتْ نَفْسُ امْرِيءٍ عَلِقَتْ ،
وَاسْتَجَارَتْ ، مِنْ مَخِيْمِهِ ،

وَاسْتَطَارَتْ خَيْلُهُمْ بِهِمْ
سَافِرٍ عَنِ وَجْهِ مُلْتَثِمِ
ضَارِبٍ بِالسِّيفِ مُقْتَحِمِ
كَلِمِ عَارٍ ، أَوْ جَنَى كَلِمِ
وَقَرِيحٍ غَيْرِ مُهْتَضِمِ
وَإِثْقٍ بِاللَّهِ مُعْتَصِمِ ^(١)
وَقَعَةٌ لِلْعُرْبِ فِي الْعَجَمِ
ظَهَرَ عَزَّ الرَّوْمِ وَالصَّنَمِ
بَيْنَ فَلَ الرَّوْمِ وَالرَّمَمِ ^(٢)
أَرْضُهُمَا مِنْ عَالِمِ عَلَمِ
بَرْقُ بِشَرِّ غَيْرِ مُتَّهِمِ
شَيْخِ رَأْيٍ فِي فَتَى كَرَمِ
وَهُوَ ذَاكِي شُعْلَةِ الْفَهَمِ
وَازْدَرَّتْ يُمْنَاهُ بِاللَّدِيمِ ^(٣)
مِنْهُ ، بِالْوُثْقَى مِنَ الْعِصَمِ
بِفِنَاءِ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ

(٢٣٤)

كَمْ يَدٍ لَكَ

قال مادحا من كناه بأبي بكر:

وَعَطَايَا كَمَا تَرِيقُ الْمُدَامَةَ ،

(١) محتسب: أي يحتسب خيراً عند الله. معتصم: أي معتصم بالله.

(٢) الضرب التوام: أي الضرب المضاعف، والواحد منهما التوام - الفل من الجيش: المنهزمون -

الرَّمَم: جمع رمة ما بلي من العظام.

(٣) اللدِيم: جمع ديمة، السحابة الممطرة.

وهجومٌ، عليه غُرَّةٌ نصرٍ،
فَهَفَا النَّصْلُ أَنْ تُنَاطَ ظُبَاهُ،
يا أبا بكرٍ كم يَدِلُك، بِكِرٍ،
طَوَّقَنِي، وَكُنْتُ غَيْرَ مُحَلِّي،
فَارْكُضِ الدَّهْرَ سَابِحاً، وَانْتَضِ الْمِقْدَ
وَنَجُومٌ، عَلَيْهِ بُشْرَى سَلَامَةٍ
وَتَلَا النَّصْرُ أَنْ يَسْلَ حُسَامَةَ (١)
سَامَتِ الشُّكْرَ أَنْ تُفُضَّ حِتَامَةَ
فَتَغْنَيْتِ بِالْمَدِيحِ حَمَامَةَ
لِدَا رَسِيفاً، وَاسْتَصْحَبَ السَّعْدَ لَامَةَ (٢)

(٢٣٥)

أَنْجَدَ فِي طُرُقِ الْمَعَالِي

ومن مدائحه قوله

تَرَى يَوْسُفَا، فِي ثَوْبِهِ، حُسْنَ صُورَةٍ،
تَقَلَّدَ مِنْهُ عَاتِقُ الْمَلِكِ مُرْهَفَاً،
مَضَى حَيْثُ لَمْ يَلْقَ نَجِيعٌ بِنَصْلِهِ،
فَهَا هُوَ، فِي السَّنِّ، السَّلَامُ تَأْخِرَاً،
تَوَاضَعَ عَنِ عِزِّ، وَأَشْرَفَ هِمَّةً،
لَهُ عَزْمَةٌ لَوْ نَهْنَهَتْ صَارِمَا نِبَاً،
وَرَأَيْ جَلَا بِيضَ الشِّيُوفِ طَرِيرَةً،
وَهَا أَنَا إِنْ تَمَرَضَ بِأَرْضِكَ حَاجَةً،
وَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ أَنْالَ بِكَ الشُّهَى،
فِعِشْ تَخْلَعِ الْأَمْدَاحُ ثَوْباً مُطْرَرَاً
فَمَا السَّيْفُ يَوْمَ الرَّوْعِ نَبَهَتْ حَدَّهُ،
وَتَسَمَعُ دَاوِدَاً، بِهِ، مُتْرَنَمَا
إِذَا مَا نَبَا الْعَضْبُ الْمُهْتَدُ صَمَمَا
فِيَدِمِي، وَلَمْ يَكْهَمْ ظُبَاهُ فَيَكْهَمَا (٣)
وَفِي الْمَجْدِ عُنْوَانُ الْكِتَابِ تَقَدَّمَا
فَأَنْجَدَ فِي طُرُقِ الْمَعَالِي وَأَتَهَمَا
فَلَمْ يَمِضْ، أَوْ مَرَّتْ بِطَوْدٍ تَهْدَمَا
وَتَقَفَ مَيَّادَ الرَّمَّاحِ وَلَهْدَمَا
فَقَدِ جِئْتُ أَبِغِي مِنْكَ عَيْسَى بِنَ مَرِيْمَا
سُمُوًّا، إِذَا كَانَ اعْتِنَاؤُكَ سَلْمَا (٤)
عَلَيْكَ، وَحُرُّ الشُّكْرِ عِقْدَا مُنْظَمَا
فَأَضْرَمْتَهُ نَاراً وَضَرَجْتَهُ دَمَا (٥)

(١) الظبي: جمع ظبية: حد السيف - الحسام: السيف القاطع.

(٢) انتضى السيف: استلّه - أخرجته من غمده - اللامة: مخفف: اللامة، وهي الدرع.

(٣) النجيع: الدم - لم يكهم السيف أوحده: لم يكل.

(٤) السهى: نجم.

(٥) يوم الروع: يوم الحرب.

بِالْيَنِّ أَعْطَافاً وَأَخْشَنَ مَضْرِباً، وَأَرْهَبَ إِقْدَاماً وَأَجْدَى تَخَذُّماً^(١)
 وَلَا الرَّوْضَ، غَبَّ الْقَطْرَ، فَضَّضَهُ التَّدْيَ، وَرَجَّعَ فِيهِ طَائِرٌ، فَتَكَلَّمَا
 بِأَطْيَبِ أَفْيَاءٍ... وَأَنْضَرَ صَفْحَةً، وَأَعْطَرَ أَخْلَاقاً وَأَحْلَى تَرْثُماً

(٢٣٦)

كَمْ مِنَّةً لَكَ

من مدائحه التي قالها يثني على الأمير أبي حسن :

أَلَا لَيْتَ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ التَّوَّاسِمِ، وَيَرْمِينَ أَكْنَافَ الْعَقِيْقِ بِنَظْرَةٍ،
 وَيَلْثُمْنَ، مَا بَيْنَ الْكَثِيْبِ إِلَى الْحِمَى،
 فَمَا أَنْسَهُ لَا أَنْسَ يَوْمًا بِذِي النَّقَا،
 وَقَفْنَا بِهِ نَشْكُو، وَقَدْ لَوَتْ النَّوَى
 فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الشَّبِيْبَةَ، أَنْنِي
 وَمِلْتُ بِطَرْفِي عَن فَتَاةٍ وَقَهْوَةٍ؛
 فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَمِيْضٌ لِشَبِيْبَةٍ،
 وَلَا هَالَنِي إِلَّا نَذِيرٌ بِرِحْلَةٍ،
 تَوَلَّى الصُّبَا، إِلَّا أَدْكَارَ مَعَاهِدِ،
 أَطَلْتُ لَهُ رَجَعَ الْحَنِينِ، وَرَبَّمَا
 فَإِنْ غَاضَتْ أَيَّامُ مَاءِ شَبِيْبَتِي،
 لَقَدْ طَالَ صَدْرُ الرُّمْحِ مَنِّي بِهَمَّةٍ،
 يُحْيِيْنَ عَنِّي الْوَاضِحَاتِ الْمُبَاسِمِ،
 تَرَدَّدُ فِي تِلْكَ الرُّبَى وَالْمَعَالِمِ^(٢)
 مَوَاطِيءَ أَخْفَافِ الْمَطِيِّ الرَّوَاسِمِ^(٣)
 أَطَلْنَا بِهِ، لِلْوَجْدِ، عَضَّ الْأَبَاهِمِ
 مِعَاطِفْنَا لِي الْغُصُونِ النَّوَاعِمِ
 لَوِيْتُ عِنَانِي عَن طُرُوقِ الْجَرَائِمِ
 وَعَظَلْتُ سَمْعِي مِّنْ مَّلامِ اللَّوَائِمِ
 تَوَقَّدَ فِي قَطْعِ مِنَ اللَّيْلِ فَاحِمِ
 مَسَحْتُ لَهُ، مِنْ رَوْعَةٍ، جَفَنَ نَائِمِ
 لَهُ لَذَعَةٌ بَيْنَ الْحَشَى وَالْحِيَازِمِ^(٤)
 بَكَيْتُ عَلَى عَهْدِ، مَضَى، مُتَقَادِمِ
 وَمَالَتْ بَغُضْنِ، مِنْ قَوَامِي، نَاعِمِ
 تَهَزُّ بِهَا الْعَلِيَاءُ صَفْحَةً صَارِمِ

(١) التخدم: التقطيع.

(٢) أكناف: جمع كنف، جوانب.

(٣) الرواسم: جمع راسمة وهي الناقة التي تسير سيراً حثيثاً.

(٤) أذكّار: مصدر أذكر أي أذكر - الحيازم: جمع حيزوم، وسط الصدر.

قوائِمُ أبناءِ الجَدِيلِ قوادِمِي (١)
تَهْمٌ، فأغروري ظهورَ العزائمِ (٢)
بحزوى، وظبي قد طردتُ بجاسِمِ (٣)
ولا ظبيّةَ الوعساءِ من أمِّ سالمِ (٤)
فإني، على الأعداءِ، صعبُ الشكائمِ
وأدراً عنه في نُحورِ الضراغِمِ (٥)
وأودعتُ أسرارَ الشرى صدرَ نائمِ
على كلِّ أفتى، من أنوفِ المخارِمِ
طلائعُ أذانِ الجيادِ الصّالِدِ (٦)
بغُرِّ كرامِ فوقَ غُرِّ كرائمِ
صُدورَ العوالي في صُدورِ الملاحِمِ
رِقاقِ الطُّبى، بينَ الطُّلى والجماجمِ
خلعتُ نجادَ السيفِ، خلعَ الثَّمائمِ؟
إلى كالىءِ، من مَضربِ السِّيفِ، عاصِمِ
عناناً، ولا يُمنى تلوذُ بقائِمِ
ودُورُ الأعادي دارِساتُ المعالِمِ
مُغذُّ، وإدراكُ الشَّهى غيرُ قائِمِ

ليالي نصلُ السيفِ ظفري، وإنما
أسيرُ فيغشى بي دُجى الليلِ همّةٌ
فربُّ ظليمٍ قد دَعَرْتُ، على الشرى،
فلم أدِرِ أمَّ الرّالِ من بنتِ أعوجِ؛
وإن كنتُ حوَّارَ العنانِ على الهوى،
فيا عَجَباً أن أُعطيَ الطُّبى مِقوَدِي،
وأدهمَ من ليلِ الشرى قد رَكِبْتُهُ،
على حينَ أرخى الدَّجَنُ فضلَ لِثامِهِ،
وقد كَمَنْتُ بيضَ الشُّيوفِ، وأشرفْتُ
وكاثرتُ أوضاحَ النُّجومِ، على الشرى،
إذا ما تَداعَوا للكريهةِ، حَمَلُوا
وكرَّوا، وصدرَ السيفِ يَدَمِي، فثَلَّمُوا
فَمَن مَبْلُغِ الحِسناءِ غَنِي أنسي
وكنْتُ، إذا ما أَعْضَلَ الخَطْبُ، لاجِئاً
فها أنا لا يُسرى تُواخِي، على الشرى،
مُنيخٌ بمَثوى المَجدِ من ظلِّ أروَعِ،
جَدِيرٌ بإحرازِ العُلَى، غيرَ رَاكِضِ،

(١) أبناء الجدِيل: الإبل المنسوبة إلى جدیل وهو من فحول النعمان بن المنذر وهو مضرب المثل عند العرب.

(٢) اغروري: ركب.

(٣) الظليم: ذكر النعام - الشرى: السير ليلاً - حزوى: موضع، ومثله جاسم.

(٤) الرال: ولد النعام - بنت أعوج: اسم فرس منسوبة إلى أعوج - أم سالم: اسم امرأة.

(٥) أدراً عنه: أرد عنه، أذود وأدافع - الضراغم: الأسود.

(٦) الجياد الصالِد: جمع صلدم: الفرس القوي الشديد الحافر.

تَهْزُبُهُ رِيحُ الْمَكَارِمِ خُوطَةً،
 كَأَنِّي، وَقَدْ أَسْحَبْتُهُ الْحَمْدَ رَيْطَةً،
 فِيَا رَاكِبًا يُزْجِي الْمَطِيَّ عَلَى الْوَجَى،
 وَيَفْحَصُ عَنْ ثَغْرِ، مِنَ النَّوْرِ، ضَا حِكِّ،
 كِفَاكِ بِذَاكَ الطَّوْلِ مِنْ وَبْلِ مُزْنَةٍ؛
 فَإِنْ قَدَفْتَ يَوْمًا إِلَيْكَ بِه النَّوَى،
 فَعَرَّضْ، مِنَ الْعَلِيَاءِ، فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ
 مِنْ الْقَوْمِ، سَادُوا فِي الْمُهْودِ نَجَابَةً،
 وَقَامُوا لِأَوْفَادِ الْخُطُوبِ، وَدَمَّشُوا
 فَإِنْ دَقَّتِ الْهَيْجَاءُ أَرْمَاحَ حَلْبَةٍ،
 وَإِنْ هَدَّتِ الْأَيَّامُ أَرْكَانَ دَوْلَةٍ،
 تَرَى بِهِمْ، مِنْ هِزَّةٍ فِي طَلَاقَةٍ،
 وَمَا شِئْتَ مِنْ آرَاءِ نُجُجِ كَوَالِيءِ،
 تُقَلِّمُ أَظْفَارَ الْمَكَارِهِ تَارَةً،
 أَيَا حَسَنِ كَمْ مِنَّةٍ لَكَ حُرَّةً،
 هَزَزْتَ لَهَا عِطْفَ الْقَضِيبِ، وَرَبَمَا
 فَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءُ فِي رَأْسِ رِبْوَةٍ،
 بِأَحْسَنَ مَرَأَى مِنْ حِلَاكٍ لِنَاظِرٍ؛

تَغُضُّ بِهَا الْأَمَالَ نُورَ الدَّرَاهِمِ
 سَنَنْتُ، عَلَى عِطْفِيهِ، حُلَّةَ رَاقِمِ
 وَيَخْبِطُ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ النَّوَاسِمِ
 فَيُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ الْجَدْبِ قَاتِمِ
 وَحَسْبُكَ ذَاكَ الْبِرُّ مِنْ بَرَقِ شَائِمِ
 وَأَدَّتْكَ أَيْدِي النَّاجِيَاتِ الرَّوَاسِمِ
 تُزَاحِمُ أَشْبَاحَ النَّجُومِ الْعَوَاتِمِ
 وَطَبُّوَا، صِغَارًا، مِنْ كُلُّومِ الْعِظَائِمِ^(١)
 جَنَابَ اللَّيَالِي لِلْمُلُوكِ الْخَضَارِمِ
 فَتَمَّ مِنَ الْآرَاءِ أَمْضَى لَهَازِمِ
 فَتَمَّ مِنَ الْأَقْلَامِ أَقْوَى دَعَائِمِ
 لِبِدَانِ الْعَوَالِي فِي بَرِيقِ الصَّوَارِمِ^(٢)
 تُسَدُّ مِنْ أَطْرَافِ سُمْرِ كَوَالِمِ
 وَتَمَسُّحُ طَوْرًا عَنْ وُجُوهِ الْمَكَارِمِ
 كَمَا سَحَّ صَوْبُ الْعَارِضِ الْمُتْرَاكِمِ
 سَجَعَتْ، لَبَثُ الشَّجْوِ، سَجَعَ الْحَمَائِمِ
 تُعَلُّ بِمُنْهَلِّ، مِنَ الْمُزْنِ، سَاجِمِ
 وَأَعْطَرَ نَشْرًا مِنْ ثَنَاكَ لِنَاظِمِ

(١) طبوا: من طب: داوى - الكلوم: جمع كلم: الجرح - العظام: الخطوب الفواح.

(٢) العوالي: الرماح - الصوارم: السيوف.

(٢٣٧)

للهِ دُرُكٌ فَارِسَاءُ

ذكر في هذه الأبيات كيف راجع الوزير أبا جعفر ابن سعد عن

شعره:

أَنْفَحَةُ طِيبٍ مَا تَنْسَمْتُ أَمْ نَظْمٌ؛
خَطِيرٌ مِنَ الشَّعْرِ اشْتَمَلْتُ يُبْرِدُهُ،
يَكَادُ يَشْفِي الطَّرْسُ عَنْ نُورِ حُسْنِهِ،
تَفَجَّرَ فِيهِ الطَّبَعُ فَجَرَاءً، وَإِنَّمَا
وَلَوْ أَنَّ سَمِعَا نَمَّ يُصْنِي لَمَا دَرَى:
شَفَانِي، وَقَدْ أَشْفَى الضَّنَى بِي عَلَى الرَّدَى؛
فَقَبَّلْتُ كَفَاءً أَتَحَفَّتِنِي بِعَلْقِهِ؛
وَعَانَقْتُ عُنواناً، هُنَاكَ، قَرَاتِهِ،
أَبَا جَعْفَرٍ لِلَّهِ دُرُكٌ فَارِسَاءُ،

(٢٣٨)

مَا ضَرَّةٌ . . .

جمع في هذه القصيدة بين النسب والرتاء النادب

وَمِمَّا يَشْبُ الْبَرْقُ نَارُ غَرَامٍ؟
وَأَذَكِي، عَلَى الْأَحْشَاءِ، لَفَحَ ضِرَامٍ؟
يُهْزُ إِلَيْهِ الشَّيْخُ عِطْفَ غُلامٍ^(٢)
سَوَالِفِ أَيَّامٍ، سَلَفَنَ، كِرَامٍ
أَرْتَنِي وَرَائِي، فِي الشَّبَابِ، أَمَامِي

أَفِي مَا تُؤَدِّي الرِّيحُ عَرَفَ سَلامِ،
وَالْأَفَمَاذَا أَرَجَ الرِّيحَ سَحْرَةَ،
أَمَّا وَجْمَانٍ مِنْ حَدِيثِ عَلاقَةِ،
تَحَلَّتْ بِهِ، مَا بَيْنَ سَلَمَى وَمَرَبَعِ،
لَقَدْ هَزَّنِي فِي رِيطَةِ الشَّيْبِ هَزَّةً،

(١) النظم: الشعر المنظوم - الظلم: الريق.

(٢) الجمان: اللؤلؤ، واحده جمانة - العلاقة: صلة الحب.

وَجُلْتُ بِوَادِيهِ أَجْرُ خِطَامِي
 لَمَرْضَى جُفُونٍ، بِالْفُرَاتِ، نِيَامٍ^(١)
 وَكُلُّ لِيَالِي الصَّبِّ لَيْلُ تَمَامِ
 أَحْفَقَةُ بَرَقِ أَمِّ غِنَاءِ حَمَامِ
 عَثَرْتُ بِذَيْلِي لَوَعَةَ وَظَلَامِ
 يُخَفِّرُنِي فِيهَا وَمِيضُ غَمَامِ
 وَأَنْتَ شَكْوَى، وَاعْتِنَاقِ غَرَامِ
 عِنَاقِ حَيْبٍ عَنِ عِنَاقِ حُسَامِ
 خِلَالَ دِيَارِ بِاللُّوَى وَخِيَامِ
 فَصَافِحِ عُنِّي فَرَعِ كُلِّ بِشَامِ^(٢)
 وَأَقْلِيلِ بَدَمَعِي مِنْ قَضَاءِ ذِمَامِ
 يَجْرُ، عَلَى الْأَنْدَاءِ فَضْلِ زِمَامِ
 وَفِي مُلْتَقَى الْأَرْضَى سَفْحِ شِمَامِ^(٣)
 وَأَبْلِغِ نَدَامَاهَا أَعْمَ سَلَامِ
 فَلَفَّ فُجَاجًا تَحْتَهُ بِإِكَامِ^(٤)
 أَمَّا لَكَ مِنْ طَلٍّ يَبُلُّ أُوَامِي؟
 عَلَى عَقَبِ أَتْرَابِ، رُزْنِ، كِرَامِ
 أُعْظَمُهَا مِنْ أَعْظَمِ وَرِجَامِ

فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ عَجْتُ مَعَ الْهَوَى،
 وَرُبَّ لَيْالٍ، بِالْغَمِيمِ، أَرِقْتُهَا،
 يُطْوِلُ عَلَيَّ اللَّيْلُ، يَا أُمَّ مَالِكِ،
 وَلَمْ أَدْرِ مَا أَشْجَى وَأَدْعَى إِلَى الْهَوَى:
 إِذَا مَا اسْتَخَفَّتَنِي لَهَا أَرِيحِيَّةُ،
 وَخَضَخَضْتُ، دُونَ الْحَيِّ، أَحْشَاءَ لَيْلَةٍ،
 فَقَضَيْتُهَا مَا بَيْنَ رَشْفَةِ لَوَعَةٍ،
 وَأَحْسَنُ مَا التَفَّتْ عَلَيْهِ دُجْنَةٌ،
 فَلَيْتَ نَسِيمَ الرِّيحِ رَقْرَقَ أَدْمَعِي،
 وَعَاجَ عَلَى أَجْرَاعِ وَإِدْبَازِ الْغَضَا،
 مَسَحْتُ لَهُ، عَنِ نَاطِرِي، صَبَابَةَ،
 فَيَا عَرَفَ رِيحَ عَاجٍ عَنِ بَطْنِ لَعَلِجِ،
 بِمَا بَيْنَنَا بِالْحِجْفِ مِنْ رَمَلِ عَالِجِ،
 تَلَذَّذْ بِدَارِ الْقَصْفِ عُنِّي سَاعَةً،
 وَقُلْ لِنِغَمِ الْحَفِّ الْأَرْضِ ذَيْلَهُ،
 أَمَّا لَكَ مِنْ ظِلٍّ يُبْرِدُ مَضْجَعِي؛
 وَأَيُّ نَدَى، أَوْ بَرْدِ ظِلٍّ لِمُزْنَةٍ،
 وَقَفْتُ وَقُوفَ الشَّكِّ بَيْنَ قُبُورِهِمْ،

(١) الغميم: اسم واد على مسافة من مكة.

(٢) البشام: ضرب من الشجر طيب الرائحة، وهو مثل الأراك تتخذ منه المساويك.

(٣) الحتف وعالج والأرطى: مواضع - سفح شمام: أراد سفح جبل شمام وجميع هذه الأعلام في أرض العرب.

(٤) الفجاج: جمع فج: الطريق الواسعة بين جبلين.

وَأَنْدُبُ أَشْجَى رِنَّةٍ مِنْ حَمَامَةٍ؛
 قَضَوْا بَيْنَ وَاِدٍ، لِلسَّمَاحِ، وَمَشْرَعٍ،
 وَمُنْتَصِبٍ، كَالرُّمْحِ، هِزَّةَ عِرْزَةٍ،
 وَمُنْصَلِتٍ، كَالسَّيْفِ، نُصْرَةَ صَاحِبٍ،
 وَمُنْتَقِلٍ مُسْتَقْبِلٍ كَعَبَةِ الْعُلَى،
 تَهْلُ لَهُ، مِنْ عِفَّةٍ، فِي طَلَاقَةٍ،
 وَمَا ضَرَّهُ أَنْ يَسْتَسِرَّ لِعَاتِمٍ،
 وَأَبْكَى وَأَقْضَى مِنْ ذِمَامِ رِمَامٍ^(١)
 وَغَارِبِ عِزٍّ، فِي الْعُلَى، وَسَنَامِ
 وَفَتَكَّةَ بَأْسٍ، وَاسْتَوَاءَ قَوَامِ
 وَضَحَكَةَ بَشِيرٍ، وَاعْتِزَّازَ مَقَامِ
 يُصَلِّي بِأَهْلِهَا صَلَاةَ زُوَامٍ^(٢)
 كَأَنْ، يُرْدِيهِ، هِلَالَ صِيَامِ
 إِذَا مَا بَدَا فِي آخِرِ بَتَمَامِ^(٣)

(٢٣٩)

ملء يدي وفمي

قال ابن الصائغ يرثي الأمير أبا بكر بن إبراهيم:

رِمَمٌ، بُورِكْتَ مِنْ رِمَمِ^(٤)
 فَأَثَارَتِكَ، فَلَمَّ تَرِمِ^(٥)

يَا صَدَى بِالثَّنْغِ جَاوَرَهُ
 صَبَّحَتْكَ الْخَيْلُ غَادِيَةً،

فعارض ابن خفاجة هذا الشعر فقال:

بَمَمَّرِ الرِّيحِ وَالذِّيمِ^(٦)
 بِأَكْيَا مِنْهُ أَخَا كَرَمِ
 وَبِكْفِّي مِنْكَ مِنْ نَعَمِ
 وَمَا قَالَه أَيْضاً:

يَا صَدَى بِالثَّنْغِ مُرْتَهَنًا،
 لَا أَرَى إِلَّا أَخَا كَرَمِ،
 كَمْ بِصَدْرِي فِيكَ مِنْ حُرْقِ،

وَمَزَارِ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ

لَا لَعَمْرٍ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ،

(١) الرمام: العظام البالية، جمع رمة.

(٢) الزوام: الموت، وتستعمل اللفظة عادة للميتة الكريهة.

(٣) يستسر: يختفي - العاتم: الحالك المظلم.

(٤) الصدى: الجذث، الجسد بعد الموت - الرمم: بقايا العظام، جمع رمة.

(٥) لم ترم: أي لم تفر.

(٦) الذيم: جمع ديمة، السحابة الممطرة.

لا سَلَوْتُ الدَّهْرَ عَنْ مَلِكٍ ، طَلَّقِ وَجْهَ العُرْفِ وَالشَّيْمِ
هَذِهِ نِعْمَاهُ مِلءُ يَدَيِ ، وَتَنَا رُحْمَاهُ مِلءُ فَمِي

(٢٤٠)

تنافسُ فيها الملوکُ

استطعمه القاضي أبو إسحاق بن ميمون فراخ حمام وعبأ،

فأنشد مداعباً:

بما حُزَّتْهُ مِنْ شَرِيفِ النَّظَامِ ، وَأَرْهَقَتْهُ مِنْ حَوَاشِي الكَلَامِ^(١) ،
تَعَالَ إِلَى الأَنْسِ فِي مَجْلِسِ ، يَهْزُبُ بِهِ الشَّيْخُ عِطْفِي غُلَامِ
صَقِيلٍ تَخَالَ بِهِ بِيضَةً ، تَرُوقُكَ تَحْتَ جَنَاحِ الظَّلَامِ
رَطِيبِ النَّسِيمِ ، كَأَنَّ الصَّبَا
يَكَادُ سُرُوراً بِأُضْيَافِهِ يَهَشُّ ، فَيَلْقَاهُمْ بِالسَّلَامِ
وَعِنْدِي لِمِثْلِكَ ، مِنْ خَاطِبِ ، بَنَاتُ الحَمَامِ وَأُمُّ المُدَامِ^(٢) ،
بَنَاتُ تَنَافَسُ فِيهَا المَلُوكُ ، وَتَلْهُوَ العَذَارَى بِهَافِي الخِيَامِ
فَقَدْ كَذَنْ يَلْقَطُنَ حَبَّ القُلُوبِ ، وَيَشْرَبْنَ مَاءَ عِيُونِ الكِرَامِ
وَصَفْرَاءَ طَلَّقَتْ بِتِئَالِهَا ؛ وَمَا لِلكِرِيمِ وَمَاتَى الحَرَامِ
أُمُصُّ مَرَاشِفَهَا لَوَعَةً ، وَأَذْكَرُ مَا بَيْنَنَا مِنْ ذِمَامِ^(٣) ،
فُعْجُ تَتَصَفَّخُ بِدِيَعِ البَدِيعِ ، وَتَلْمَخُ سَلَامَةَ شَعْرِ السَّلَامِي
وَعِشْ تَتَشَكَّى انْتِنَاءَ القَضِيبِ سُرُوراً ، وَتَسْجَعُ سَجْعَ الحَمَامِ
وَيَحْمِلُ ثُوبُكَ حَطِيئَةً ، وَيَنْطِقُ عِنْدَكَ لِسَانُ الحُسَامِ

(١) حزت: نلت - حواشي الكلام: أطرافه .

(٢) المدام: الخمر .

(٣) الذمام: العهد، الميثاق .

قافية النون

(٢٤١)

سَقِيًّا لَوَادِيهِمْ

ويا لَقَدَى طَرْفِ، من الدمعِ، مَلَانِ
 وَقَلْبِ، إلى أَفْقِ الجَزِيرَةِ، حَنَّانِ
 بِهُونِ، ومن إِخْوَانِ صِدْقِ بِخُوَانِ
 وما كلَّ مَرَعَى تَرْتَعِيهِ بِسُعْدَانِ (١)
 فَتُجْمَعُ أَوْطَارِي عَلَيَّ وَأَوْطَانِي؟
 وَمَنْشَأُ تَهِيَامِي وَمَلْعَبُ غُزْلَانِي
 لَمَاءُ وَصِدْغَاهُ بِرَاحِي وَرِيحَانِي
 أَيِّتُ، لِذِكْرَاهُ، بِغُلَّةِ ظَمَانِ
 نُجُومِ كُؤُوسِ، بَيْنَ أَقْمَارِ نَدْمَانِ
 فَمَا شِئْتَ مِنْ رَقْصِ عَلِي رَجْعِ أَلْحَانِ
 فَأَحْبَبْتُ، حُبًّا فِيهِ، قُضْبَانَ نَعْمَانِ (٢)
 وَمَنْطِقَتَهُ مَسْلَى قُلُوبِ وَأَذَانِ

فيا لَشَجَا قَلْبِ، مِنْ الصَّبْرِ، فَارِغِ؛
 وَنَفْسِ، إِلَى جَوِّ الكَنِيسَةِ، صَبَّةِ؛
 تَعَوَّضْتُ مِنْ وَاهَا بِأَهْ، وَمِنْ هَوَى
 وَمَاءِ كُلِّ بِيضَاءِ بَرُوقِ بِشَحْمَةِ؛
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ لِدَهْرِي عَطْفَةٌ،
 مِيَادِينُ أَوْطَارِي وَلَذَّةُ لَدَّتِي،
 كَأَنْ لَمْ يَصِلْنِي فِيهِ ظَنِّي، يَقُومُ لِي
 فَسَقِيًّا لَوَادِيهِمْ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا
 فَكَمْ يَوْمٍ لَهْوٍ قَدْ أَدْرْنَا، بِأَفْقِهِ،
 وَلِلْقُصْبِ وَالْأَطْيَارِ مَلَهَى بِجَرَعَةٍ،
 وَبِالْحَضْرَةِ الْغَرَاءِ غَرَّ عَلَقْتُهُ،
 رَقِيقُ الْحَوَاشِي، فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ

(١) السُّعْدَانُ: نبات يكثر في مراعي الإبل.

(٢) القُضْبَانُ: الأغصان جمع قضيب.

بدا، ولِعَطْفِيهِ عَلَى أَغْصَنِ الْبَانِ^(١)
 فَمَنْ أَيْنَ لِي مِنْهُ بَتُّفَاحِ لُبَّانٍ؟
 خَيْالٌ لَهُ يُغْرِي بِمَطْلٍ وَلِيَّانٍ^(٢)
 عَلاهَا حَبَابٌ مِنْ أَسِنَّةِ مُرَّانٍ
 تَرَاءَى لَنَا فِي مِثْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ
 قَرَأْنَا لَهَا، مِنْ وَجْهِهِ، سَطَرَ عُنْوَانَ
 وَرُؤْيُتَهُ حَجَّيْ وَذِكْرَاهُ قَرَّانِي

أَغَارُ لِحَدِيدِيهِ عَلَى الْوَرْدِ كَلَّمَا
 وَهَبْنِي أَجْنِي وَرَدَّ خَدَّ بِنَاطِرِي،
 يُعَلِّلْنِي مِنْهُ، بِمَوْعِدِ رَشْفَةِ،
 حَيْبُ عَلَيْهِ لِحَجَّةٌ مِنْ صَوَارِمِ،
 تَرَاءَى لَنَا فِي مِثْلِ صَوْرَةِ يُوسُفِ؛
 طَوَى بُرْدَهُ مِنْهَا صَحِيفَةَ فِتْنَةِ،
 مَحَبَّتُهُ دِينِي وَمَثْوَاهُ كَعَبْتِي،

(٢٤٢)

العَفَافُ مِنْ شِيَمِي

مَلَأَتْ جَفَنِي ظُلْمَةً وَسَنًا^(٣)
 قَاسَمَ، جَفَنِي، ذَلِكَ الْوَسَنَا؟
 أَهْتَزُّ لِلْحُسْنِ، لَوْعَةً، غُصْنَا^(٤)
 لَمْ أَلْتَزِمِ حَالَةً وَلَا سَنَنَا^(٥)
 تَحْسِبُهُ، مِنْ جُمُودِهِ، وَنَنَا
 وَلَا طَوَى، جَسَمَهُ، الْغَرَامُ ضَنَى
 وَكَانَ جِلْدًا، مِنْ الصَّفَا، خَشِينَا
 أَبِي الدَّنَايَا وَأَعَشَقُ الْحَسَنَا
 أَبِكِي الْخَطَايَا وَأَنْدُبُ الدَّمْنَا^(٦)

قُلْ لِلْقَيْحِ الْفِعَالِ: يَا حَسَنًا!
 قَاسَمَنِي طَرْفَكَ الضَّنَى، أَفَلَا
 إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ هَضْبَةً، جَلْدًا،
 قَسَوْتُ بِأَسَا وَلِنْتُ مَكْرُمَةً،
 لَسْتُ أَحِبُّ الْجُودَ فِي رَجُلٍ،
 لَمْ يَكْحَلِ الشُّهُدُ جَفَنَهُ كَلْفًا،
 فَمَنْ عَصَى دَاعِيَ الْهَوَى فَقَسَا،
 فَإِنِّي، وَالْعَفَافُ مِنْ شِيَمِي،
 طَوْرًا مُنِيبٌ وَتَارَةً غَزَلٌ،

(١) اللبان: شجر واحدته البانة، تشبه به قدود الحسان الناعمة.

(٢) اللبان: الذي يلوي عن العهود، ولا يفني بما وعد بل يماطل ويتنصل.

(٣) السنا: النور والضياء.

(٤) الجلد من الجلادة أي القوي الذي يحتمل الشدائد.

(٥) السنن: جمع سنة: الطريقة، النهج.

(٦) المنيب: الذي ينوب إلى الله أي يرجع إليه ويتوب.

إِذَا اعْتَرَتْ خَشِيَّةٌ شَكَا، فَبَكَى،
كَأَنَّيْ غُصْنٌ بَانَةٌ خَضِلٌ،
أَوْ انْتَحَتْ رَاحَةً دَنَا فَجَنَى
تَثْنِيهِ رِيحُ الصَّبَا هُنَا وَهُنَا

(٢٤٣)

نَمَّتْ خَمِيلَةٌ

وساقٍ لِخَيْلِ اللَّحْظِ، فِي شَأْوِ حُسْنِهِ،
تَرَى لِلصَّبَا نَارًا بِخَدْيِهِ لَمْ يَكُرْ
سَقَاهَا، وَقَدْ لَاحَ الْهَلَالُ عَشِيَّةً،
عُقَارًا تَمَاهَا الْكَرْمُ، فَهِيَ كَرِيمَةٌ،
وَقَدْ جَالَ، مِنْ جَوْنِ الْغَمَامَةِ أَدْهَمٌ،
وَضَمَخَ رَدْعُ الشَّمْسِ نَحَرَ حَدِيقَةٍ،
وَنَمَّتْ، بِأَسْزَارِ الرِّيَاضِ، خَمِيلَةٌ،
جِمَاحٌ، وَلِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ حِرَانٌ^(١)
لَهَا، مِنْ سَوَادِي عَارِضِيهِ، دَخَانٌ
كَمَا اعْوَجَّ، فِي دِرْعِ الْكَمِيِّ، سِنَانٌ
وَلَمْ تَزِنْ بِابْنِ الْمُزْنِ، فَهِيَ حَصَانٌ
لَهُ الْبَرْقُ سَوَاطِئُ وَالشَّمَالُ عِنَانٌ^(٢)
عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطِ جُمَانٌ^(٣)
لَهَا النَّوْرُ تُغَرُّ وَالنَّسِيمُ لِسَانٌ

(٢٤٤)

كَأَنَّهَا مُقْلَةٌ

وَأَسْوَدٌ يَسْبَحُ فِي لُجَّةٍ،
كَأَنَّهَا فِي شَكْلِهَا مُقْلَةٌ،
لَا تَكْتِمُ الْحَصْبَاءَ غُدْرَانُهَا^(٤)
وَذَلِكَ الْأَسْوَدُ إِنْسَانُهَا^(٥)

(١) الشأو: الشوط، الغاية - الحران: صفة الفرس أو المطية الصعبة الانقياد.

(٢) الجون: الأسود - الأدهم: الفرس المائل إلى السواد - العنان: الزمام.

(٣) الطل: الندى - السقيط: الساقط - الجمان: اللؤلؤ، واحده جمانة.

(٤) اللجة: أكثر الماء - لا تكتم: لا تخفي - يقول إن هذه اللجة صافية وحصاها باد للعين من خلالها.

(٥) المقلة: العين - انسان العين: البؤبؤ الذي في وسطها.

(٢٤٥)

البرق سَوَاطِيفُ خَافِقُ

وَخَمِيلَةٌ قَدْ أَخَمَلَتْ سِرْبَالَهَا
طَوَتْ السُّرَى، وَالْبَرْقُ سَوَاطِيفُ خَافِقُ
بُشْرَى تَهَادَى فِي وِشَاحِ مُذَهَبِ،
طَبَعَتْ، عَلَى الثُّوَارِ، بِيضِ دَرَاهِمِ،
فَرَفَلْتُ، حَيْثُ تَعَثَّرْتُ بِي نَشْوَةٍ،
وَالْأَرْضُ تَسْفُرُ عَنْ وُجُوهِ مَحَاسِنِ
كَفَا صِنَاعِ، تَسْتَهْلُ، هَتُونِ^(١)
بِيَدِ الدُّجَى، وَالرَّيْحُ ظَهْرُ أُمُونِ^(٢)
قَلِقِ، وَتَسْحَبُ مِنْ ذُيُولِ جُونِ^(٣)
مَدَّتْ إِلَيْكَ بِهَا بَنَانُ غُصُونِ
فِي ثَوْبِ وَشِي، لِلرَّبِيعِ، مَصُونِ
بِيضِ، وَتَنْظُرُ عَنْ عِيُونِ عَيْنِ^(٤)

(٢٤٦)

وَشَاقٌ إِلَى تَفَّاحِ لَبْنَانَ

بعث ابن خفاجة بهذه القصيدة إلى أبي بكر محمد
البطليوسي، عن شعر ورد عليه في العروض والروي:
أَبَشْرُكَ أَمْ مَاءٌ يَسُحُّ، وَبُسْتَانُ،
وَالْأَفْمَا بِالِي، وَفَوْدِي أَشْمَطُ،
وَهَلْ هِيَ إِلَّا جُمْلَةٌ مِنْ مَحَاسِنِ،
بِأَمْثَالِهَا مِنْ حِكْمَةٍ، فِي بِلَاغَةٍ،
وَتُنظَّمُ، فِي نَحْرِ الْمَعَالِي، قِلَادَةٌ،
كَلَامٌ، كَمَا اسْتَشْرَفْتَ جِيدَ جَدَايَةِ،
وَذِكْرُكَ أَمْ رَاحٌ تُدَارُ، وَرِيحَانُ؟
تَلَوَيْتُ فِي بُرْدِي، كَأَنِّي نَشْوَانُ؟
تَغَايَرُ أَبْصَارُ عَلَيْهَا وَأَذَانُ؟
تُحَلَّلُ أَضْغَانُ، وَتُرْحَلُ أَظْعَانُ
وَتُسْحَبُ، فِي نَادِي الْمَفَاخِرِ، أَرْدَانُ
وَفُضِّلَ يَاقوتُ، هُنَاكَ، وَمَرْجَانُ^(٥)

(١) الخميطة: المعطف المخملي، والخميطة أيضاً البستان ونحوه حيث الشجر كثير وملتف -
الهتون: المطر.

(٢) السرى: السير ليلاً - الدجى: الليل - الأمون: الناقة.

(٣) الذبول: جمع ذبل - الجون: جمع جون: الأسود.

(٤) العيون العين: الواسعة والقوية السواد.

(٥) الجيد: العنق - الجداية: الطيبة - المرجان: من الحجارة الكريمة.

تَدْفَقَ مَاءَ الطَّبَعِ فِيهِ تَدْفُقًا،
أَتَانِي يَرِفُ النَّوْرُ فِيهِ نَضَارَةً،
وَتَأْخُذُ عَنْهُ صَنْعَةَ السَّحْرِ بَابِلُ،
وَجَدْتُ بِهِ رِيحَ الشَّبَابِ لُدُونَةً،
وَشَاقَ إِلَى تَفَّاحِ لُبْنَانَ نَفْحُهُ،
فَهَلْ تَرِدُ، الْأَسْتَاذَ، مِثِّي تَحِيَّةً،
تَهَشُّ إِلَيْهَا رَوْضَةَ الْحَزَنِ، سَحْرَةً،
تَحْمَلُهَا، حَمْلَ السَّفِيرِ، بِنَفْسِجُ،
فَجَاءَ، كَمَا يَصْفُو عَلَى النَّارِ عِقْيَانُ^(١)
وَيَكْرَعُ مِنْهُ فِي الْعَمَامَةِ ظِمَانُ
وَتَلْوِي إِلَيْهِ أَخْدَعُ الصَّبِّ بَغْدَانُ^(٢)
وَدُونَ صِبَارِ رِيحِ الشَّبِيبَةِ أَرْمَانُ
وَهِيَهَاتَ، مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، لُبْنَانُ
تَسِيرُ كَمَا عَاطَى، الزُّجَاجَةَ، نَدْمَانُ
وَيَثْنِي إِلَيْهَا، مِنْ مَعَاطِفِهِ، الْبَانُ
تَحْمَلُهُ، حَمْلَ السَّرِيرَةِ، سُوسَانُ

(٢٤٧)

لَا تَقِفْ تَسْأَلُهَا

دِنْ دِينَ مَعْتَمِلٍ فِي اللَّهِ مُبْتَهَلٍ،
وَلَا تَقِفْ بِطَوَالِ الْكُتُبِ تَسْأَلُهَا،
وَكُنْ، إِذَا التَّقَّتْ الْأَرْمَاحُ، سَافِلَةً،
وَعَدَّ عَنْ سِرِّ عِلْمٍ، ثَمَّ، مُخْتَزِنٍ
فَلَسْتَ تَحْظِي بِغَيْرِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
فَرِيماً أُنْدَقَ صَدْرُ الْعَامِلِ الْيَزْنِي^(٣)

(٢٤٨)

كُنْتَ ضَيْنَا

رَحَلْتُ عَنْكُمْ، وَلِي فَوَادُ،
أَجُودُ فِيكُمْ بِلِقَى دَمْعِ،
يُثُورُ فِي وَجْتِي جَيْشًا،
كَأَنْبِي، بَعْدَكُمْ، شِمَالُ،
تَنْفُضُ أَضْلَاعُهُ حَيْنَا
كُنْتُ بِهِ قَبْلَكُمْ ضَيْنَا
وَكَانَ فِي جَفْنِهِ كَمِينَا
قَدْ فَارَقْتَ مِنْكُمْ يَمِينَا

(١) العقيان: الذهب الخالص.

(٢) الأخدع: ورید في العنق - بغداد: من أسماء بغداد.

(٣) اليزني: نسبة إلى سيف بن ذي يزن، وهو من ملوك اليمن قديماً الذين يعرفون بـ «الأذواء».

قافية الهاء

(٢٤٩)

تارةً وأخرى

أَيُّ عَيْشٍ، أَوْ غِذَاءٍ، أَوْ سِنَّةٍ، لِابْنِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً
 قَلَّصَ الشَّيْبُ بِهِ ظِلَّ امْرِئٍ، طَالَمَا جَرَّ صِبَاهُ رَسَنَةً
 تَارَةً تَسْطُوبِ بِهِ سَيِّئَةٌ تُسَخِنُ الْعَيْنَ، وَأُخْرَى حَسَنَةً

(٢٥٠)

قسوت قلباً

يَا نُزْهَةَ النَّفْسِ يَا مُنَاهَا، يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ يَا كَرَاهَا^(١)
 أَمَا تَرَى لِي رِضَاكَ أَهْلًا، وَهَذِهِ حَالَتِي تَرَاهَا
 فَاسْتَدْرِكِ الْفَضْلَ، يَا أَبَاهُ، فِي رَمَقِ النَّفْسِ، يَا أَخَاهَا^(٢)
 قَسَوْتَ قَلْبًا وَلِئْتَ عِطْفَاءً، وَعِغْتِ مَنْ تَمَرَّةٍ نَوَاهَا^(٣)

(١) كراها: الكرى: التوم.

(٢) الرمق: بقية الروح.

(٣) النوى: بزررة التمرة.

قافية الواو

(٢٥١)

أما لديك

دعا في هذه الأبيات إلى اللهو وترك الوقار على العقار

أَمَّا لَدَيْكَ حَلَاوَةٌ؛ أَمَّا عَلَيْكَ طَلَاوَةٌ؟
طَائِبٌ وَدَاعِبٌ وَلَا عَيْبٌ، وَدَغٌ سَجَايَا الْبَدَاوَةٌ
فَإِنَّ أَوْحَشَ شَيْءٍ جَسَاوَةٌ فِي غَبَاوَةٍ^(١)

(١) الجساوة: القساوة والخشونة.

قافية الباء

(٢٥٢)

على غير موعِدٍ

لقد زارَ مَنْ أهوى على غيرِ موعِدٍ، فعَايَنْتُ بَدَرَ التَّمِّ، ذَاكَ التَّلَاقِيَا
وعَاتَبْتُهُ، والعَتَبُ يَخْلُو حَدِيثُهُ، وقد بَلَغَتْ رُوحِي لَدِيهِ التَّرَاقِيَا^(١)
فلَمَّا اجْتَمَعْنَا قُلْتُ مَنْ فَرَحِي بِهِ، مِنْ الشَّعْرِ، بَيْتًا، وَالدُّمُوعُ سَوَاقِيَا
وقد يَجْمَعُ اللهُ الشَّتَيْتَيْنِ، بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(٢)

(٢٥٣)

تَجَسَّمُ النُّورُ نَوْرًا

لِللهِ نُورِيَّةُ الْمُحَيَّا، تَحْمَلُ نَارِيَّةَ الحُمَيَّا^(٣)
وَالدُّوْحُ رَطْبُ المَهْزِ لَدُنْ، قَدْ رَقَّ رَيَّا وَطَابَ رَيَّا^(٤)
تَجَسَّمُ النُّورُ فِيهِ نَوْرًا، فَكُلُّ غَصْنٍ بِهِ نُرَيَّا

(١) التراقي: جمع ترقوة، أعلى الصدر.

(٢) هذا البيت من شعر مجنون ليلي استعمله الشاعر هنا من باب التضمين.

(٣) النورية: نسبة إلى النور - المحيّا: الوجه - أراد بالحما الخمرة.

(٤) الدوح: الشجر الضخم، جمع دوحة - المهز: الأغصان لاهتزازها - اللدن: الغصن اللين -

الريّا: الرائحة الطيبة.

(٢٥٤)

نُطْتُ آمَالِي . . .

بعث ابن خفاجة إلى أبي بكر يستنهض عزمه في أمر ألم به :

أَهْزُكَ لَا إِنِّي إِخَالُكَ نَائِيًا ، وَإِنْ كُنْتَ مَطْرُورَ الْغِرَارِ يَمَانِيًا^(١) ،
وَلَكِنَّ هَزَّ السَّيْفِ وَالسَّوْطِ شِيَمَتِي ، وَإِنْ رُعْتُ سَبَاقًا وَنَبَهْتُ مَاضِيًا ،
وَمَا هَزَّ أَعْطَافَ الْكَرِيمِ إِلَى الْعُلَى كَأُرُوعَ ، شَيْحَانٍ ، يَهْزُ الْعَوَالِيَا^(٢) ،
إِذَا السَّيْفُ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ الدَّمَ قَانِنًا ، عَبِيطًا ، أَبِي أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ صَادِيًا^(٣) ،
وَقَدْ نُطْتُ آمَالِي بِأَبْلَجٍ وَاضِحٍ ، يُجَشِّمُهَا أَمْضَى مِنْ السَّيْفِ عَارِيًا ،
وَأَكْرَمَ آثَارًا مِنَ الْمُزْنِ غَادِيًا ، وَأَشْهَرَ أَوْضَاحًا مِنَ الْبَدْرِ سَارِيًا ،
فَمَا الْغُصْنُ الْمَطْلُوعُ أَشْرَفَ بِاسِمَاءَ ، وَمَادًا ، أَصِيلَانًا ، عَلَى الْمَاءِ صَافِيًا^(٤) ،
بِالْيَنْ أَعْطَافًا ، وَأَحْسَنَ هَشَّةً ، وَأَعْطَرَ أَخْلَاقًا ، وَأَنْدَى حَوَاشِيَا

(٢٥٥)

زَمَانٌ تَقْضَى

جمع في هذه القصيدة بين رثاء بعض إخوانه وندب حظه

مما تقضى من زمانه ومدح الوزير العلاء بن زهر

كَفَانِي شَكْوَى أَنْ أَرَى الْمَجْدَ شَاكِيَا ، وَحَسْبُ الرَّزَايَا أَنْ تَرَانِي بَاكِيَا ،
أَدَارِي فُؤَادًا ، يَصْدَعُ الصَّدْرَ زَفْرَةً ، وَرَجَعَ أُنَيْنٍ ، يَحْلُبُ الدَّمَعَ سَاجِيَا ،
وَكَيْفَ أُوَارِي مِنْ أُوَارٍ وَجَدْتَنِي لَهُ صَادِرًا ، عَنِ مَنَهْلِ الْمَاءِ ، صَادِيًا^(٥)

(١) مطرور الغراء : مشحوذ الحدّ .

(٢) الشيحان : الغيور - العوالي : الرماح .

(٣) الصادي : العطش .

(٤) أصيلانا : تصغير أصلان من الأصيل وهو الوقت قبيل غروب الشمس .

(٥) الأوار : الحرّ الشديد - الصادي : الظمان .

وها أنا تلقاني الليالي، بملئها،
 وتطوي، على وخز الأشافى، جوانحي،
 ضمان عليها أن ترى القلب خافقاً،
 وإن صفاء الود، والعهد بيننا،
 وكم قد لحتني العاذلات جهالةً،
 فقلت لها: إن البكاء لراحةً،
 ألا إن دهرًا قد تقاضى شبيبتى
 وقد كنت أهدي المدح، والدار غربةً،
 أحبابنا بالعدوتين صمتم،
 فقيدت من شكوى، وأطلقت عبرتي،
 وأكبرت خطباً أن أرى الصبر بالياً،
 وإن عطل النادي به من جلاكم،
 وما كان أحلى مقتضى ذلك الجنى،
 وأندى موحياً ذلك العصر مطلقاً،
 زمان تولى بالمحاسن عاطر،
 تقضى، وألقى بين جنبى لوعةً،
 كأنى لم أنس إلى اللهو ليلةً،
 ولم أتلق الریح تندى على الحشى،
 وكانت تحايانا، على القرب والنوى،
 فهل من لقاء معرض، أو تحية

خُطوباً، وألقى بالعويل الليالي
 توالي زايا لا ترى الدمع شافياً^(١)
 طوال الليالي، أو ترى الطرف داميًا
 ليكره لي أن أشرب الماء صافياً
 ويأتي المعنى أن يطيع اللواحيا
 به يشتقي من ظن أن لا تلاقيا
 وصحبي لدهر قد تقاضى المرازيا^(٢)
 فكيف بإهدائي إليه المراثيا!
 بحكم الليالي أن تحيوا المناديا^(٣)
 وخففت من صوتي، هنالك، شاكيا
 وراء ظلام الليل، والنجم ناويا
 وكان على عهد التفاوض حاليًا
 وأحسن هاتيك المرامي مراميًا
 وأكرم نادي ذلك الصبح ناديا
 تكاد لياليه تسيل غواليًا
 أباكي بها، أخرى الليالي، البواكيا
 ولم أتصفخ صفحة الدهر راضيًا
 شذاء، ولم أطرب إلى الطير شاديًا
 تطيب على مر الليالي تعاطيا
 مع الركب يعشى، أو مع الطيف ساريا!

(١) الأشافى: جمع الأشفى: المخرز أي الأداة التي يثقب بها.

(٢) المرازى: جمع المرزقة، أي النكبة أو الداهية العظمى.

(٣) بالعدوتين: منى العدو: ضفة النهر - العدو هي أرض المغرب عند أهل الأندلس.

فها أنا، والأرزاءُ تَقْرَعُ مَرورَةً
 أَحِنُّ، إِذَا مَا عَسَعَسَ اللَّيْلُ، حَنَّةً
 وَأُرْحِصُ أَعْلَاقَ الدُّمُوعِ صَبَابَةً،
 فَمَا بِنْتُ أَيْكَ، بِالْعَرَاءِ، مُرِنَّةً،
 وَتَنْدُبُ عَهْدًا قَدْ تَقَضَّى بِرَامَةٍ،
 بِأَخْفَقَ أَحْشَاءَ، وَأَبَا حَشِيَّةً،
 فَهَلْ قَائِلٌ عَنِّي لِوَادِ بِذِي الْعُضَا:
 وَعَلَّلُ بِرِيًّا الرِّندِ نَفْسًا عَلِيلَةً،
 فَكَمْ شَاقِنِي مِنْ مَنْظَرٍ، فِيكَ، رَائِقٍ،
 وَضَاحِكُنِي تُعْرُ الأَقَاحِ وَمَبْسِمٍ،
 وَدُونَ حِلْيِ تِلْكَ الشَّيْبَةِ شَيْبَةً،
 وَإِنَّ أَجَدَّ الْوَجْدِ وَجْدٌ بِأَشْمَطِ،
 وَتَهْفُو صَبَا نَجْدٍ بِهِ طِيبَ نَفْحَةٍ،
 فَقُلْ لِلْيَالِي الْخِيفِ: هَلْ مِنْ مُعْرَجٍ
 وَرَدَّدَ بِهَاتِيكَ الأَبَاطِحِ وَالرُّبَى
 فَمَا أُسْتَسِيغُ المَاءَ، يَعْدُبُ، ظَامئًا،
 وَلَوْلَا أَمَانٌ عَلَّلْتَنِي، عَلَى التَّوَى،

(١) المروة: الحجارة. يصف ما أنزل الدهر به من البلى فيقول بأن المصائب تفرع مروته أي تذيبه الآلام.

(٢) عسعس الليل: أظلم واشتدت حلكته - التراقي: جمع ترقوة: مقدم الحلق في أعلى الصدر حيث يترقى فيه النَّفْسُ.

(٣) الحشية: الفراش المحشو - وقوله: أبنا حشية أي أنه لا يجد الراحة لنبو فراشها بها.

(٤) البان: شجر اللبان، واحدته البانة، تشبه بها الأعطاف اللينة في المرأة - الأفاحي: واحدته الأفاحونة وهي من الزهور التي تبشر بمقدم الربيع.

أخو المجد لم يعدل عن التجدي، نازلاً
تلوذ برُكني حالي منه شاهقي،
يساجل طوراً كفه الغيث غادياً،
وتبأى العلى منه بأبيض ماجد،
ويحطمه ما بين درع ومغفر،
شريف لآباء، نمته، شريفة،
يسابق أنفاس الرياح سماحة؛
إذا نحن أثنينا عليها وجدتنا
كفى قومه علينا أن كان غاية
تبواً من رسم الوزارة رتبة
وأحرز في أخرى الليالي فضائلاً
مكارم نستضحى بها من ملمة
لقيت به، والليل رائش نبله،
وأروع يندى للطلاقة صفحة،
فيجمع بين الماء أبيض سلسلاً
أحن إليه حنة الثيب هجرت،
فيا أيها النائي مع النجم همة،
تري فرقد الليل السرى منه ثالثاً،
حنانك في ناء شكاً مس لوعة،

بأرض، ولم يشمخ مع العز ثاويًا
فتغشى كريماً حاملاً عنك حامياً^(١)
ويحمل طوراً درعه الليث عادياً
يجرّد دون المجد أبيض ماضيًا^(٢)
وإن كان غضب الشفرتين يمانياً
يطول العوالي بسطة والمعالي
ويحمل أوضاع الصباح مساعياً
نحلي صدوراً للعلى، وهوادياً^(٣)
لهم، وكفاه أن يكونوا مبادياً
تمنى، مراقبها، النجوم، مراقباً
تعدّ، على حكم المعالي، أواليًا
تنوب، ونستسقي الغمام غوادياً
أخافهم لا يخطيء الرأي رامياً
ويقدح زناداً للنباهة واريًا
يسخ، وبين الجمر أحمر حامياً
وقد ذكرت ماء العضاه صوادياً^(٤)
ومرقى خلال في الوزارة سامياً
وترعى به بدر الدجّة ثانياً
فسفر، من شوق إليك، القوافياً

(١) تلوذ: تلجأ، وتحتمي - الحالق: العالي ومثله الشاهق - حامياً: مدافعاً.

(٢) تبأى: تزهو، تفخر - الأبيض الماضي: السيف القاطع.

(٣) الهوادي: الأعناق جمع الهادي.

(٤) الثيب: التوق المسنة جمع الناب - الصوادي: جمع الصادي العطش.

وحَيَّا بِهَا أَذْكَى مِنَ الرَّوْضِ نَفْحَةً، وَأَرْهَفَ مِنْ لَذَنِ النَّسِيمِ حَوَاشِيَا
وَقَدْ نَدَبْتُ، مِنْ حَيْثُ لَمْ أُدْرِ، رُقْعَةً
وَإِنَّكَ لِلْعَذْبِ الْفُرَاتُ عَلَى الصَّدَى، وَإِنْ بِنْتَ، وَالْبَرُّ الْكَرِيمُ أَيَادِيَا
شَقِيقُ النَّدَى وَابْنُ النَّهْيِ وَأَبُو الْعُلَا؛ وَحَسْبُكَ بَيْتًا فِي الْمَكَارِمِ عَالِيَا

(٢٥٦)

وَقَفْتُ أَنْدُبُ رَسْمًا

أَقْوَى مَحَلًّا، مِنْ شِبَابِكَ، أَهْلًا، فَوَقَفْتُ أَنْدُبُ مِنْهُ رَسْمًا عَافِيَا^(١)
مَثَلِ الْعِذَارُ، هُنَاكَ، نُؤْيَا دَائِرًا، وَاسْوَدَّتِ الْخِيْلَانُ فِيهِ أَثَافِيَا^(٢)

(١) أقوى المكان: أقر من ساكنيه - الأهل: المأهول بالساكين - الرسم العافي: الأثر الدارس.
(٢) النؤي: حوض يحفر حول الخباء - الخيلان: جمع الخال، وهو الشامة - الأثافي: جمع أثفية، حجر الموقد.

فهرس المحتويات

المقدمة ٥

قافية الألف

- (١) خذها إليك ٩
(٢) أبرق بهجة ١٠
(٣) طيف آلم ١٠
(٤) مفتره عن لؤلؤ ١٢
(٥) لله نهر ١٢
(٦) من جياذ الماء ١٣
(٧) أسود وبيضاء ١٣
(٨) طود عدالة ١٤
(٩) قل للمريض ١٥
(١٠) يا ضاحكاً ١٦
(١١) لا تذكو ناره ١٦
(١٢) كفى اكتئاباً ١٦
(١٣) يوم رزء فادح ١٨

قافية الباء

- (١٤) عرفت قدره دولة ٢٣
(١٥) شابت نواصي الغصون ٢٦
(١٦) يطارده بارق ٢٧
(١٧) بدر تم ٢٨

٢٩	(١٨) حسبته ألفاً
٢٩	(١٩) طلعت شمساً
٣٠	(٢٠) تخيرته نجيباً
٣١	(٢١) انقض شهابا
٣٢	(٢٢) حسبي شجواً
٣٢	(٢٣) الشيب شين
٣٣	(٢٤) محراب العذار
٣٤	(٢٥) فهي الهلال
٣٤	(٢٦) نلتقي ونثوب
٣٤	(٢٧) تجد بي الصهفاء
٣٥	(٢٨) الروض وجه أزهر
٣٦	(٢٩) يهزني شباب
٣٦	(٣٠) ركبت دجلته
٣٨	(٣١) لهب يلاعب الريح
٣٨	(٣٢) الغمام الحاصب
٣٩	(٣٣) حديث يطيب
٣٩	(٣٤) المنبر والخطيب
٤٠	(٣٥) قهوة وحيب
٤٠	(٣٦) هل ساءه
٤١	(٣٧) حبذا عيد
٤١	(٣٨) أظلم قرن الشمس
٤٤	(٣٩) أنت طيب
٤٥	(٤٠) نار القرى
٤٦	(٤١) الأنس الندي
٤٧	(٤٢) دع عنك
٤٧	(٤٣) باد فانقضى
٤٩	(٤٤) يا ملك الملوك

- ٥٢ (٤٥) إنه لمبرّز
- ٥٢ (٤٦) أجدت وجدت
- ٥٣ (٤٧) أثمرت بالذهب
- ٥٤ (٤٨) دعاني النهى
- ٥٤ (٤٩) أسحب ذيول اللهو
- ٥٥ (٥٠) أحن مع الغروب
- ٥٦ (٥١) ثم الحساب

قافية التاء

- ٥٧ (٥٢) كيف أنس بالمنى

قافية الناء

- ٥٩ (٥٣) نشوة
- ٥٩ (٥٤) أرى به عزاً

قافية الجيم

- ٦١ (٥٥) لنا نهج

قافية الحاء

- ٦٣ (٥٦) إذا أعولت
- ٦٥ (٥٧) الظل والماء القراح
- ٦٥ (٥٨) برأسه ليل بهيم
- ٦٦ (٥٩) دمعي مطر توالى
- ٦٧ (٦٠) بين كلب وأرنب
- ٦٧ (٦١) تخايلت بهم الجياد
- ٦٩ (٦٢) كما سرى برق
- ٧٠ (٦٣) نفضت ذوائبها الرياح
- ٧١ (٦٤) عز تهادى

قافية الدال

- ٧٥ (٦٥) موتك للأسى ميلاد
- ٧٨ (٦٦) في النادي

٧٩	(٦٧) أجوب جيوب البيد
٨٠	(٦٨) يجد بي هواه
٨١	(٦٩) نار الندى
٨١	(٧٠) كأنه كوكب
٨٢	(٧١) مداد العذار
٨٢	(٧٢) وجه أنار قمراً
٨٢	(٧٣) أوفت على نهر
٨٣	(٧٤) كدت أشرب خده
٨٣	(٧٥) صلني برمانه
٨٣	(٧٦) أغازل منه الغصن
٨٤	(٧٧) بكى جفني
٨٤	(٧٨) من كفه
٨٥	(٧٩) أهوت تخر
٨٥	(٨٠) على نهج
٨٦	(٨١) قل لذات الخال
٨٦	(٨٢) مكاتي أبعده
٨٦	(٨٣) أين الوجع
٨٧	(٨٤) كلاهما سديد
٨٧	(٨٥) هضبة عصمة

قافية الرء

٩١	(٨٦) دعوت كبارا
٩٤	(٨٧) منصور اللواء
٩٨	(٨٨) ارتقى شرفاً
١٠٣	(٨٩) كما تهوى العلا
١٠٥	(٩٠) فاهناً بها
١٠٦	(٩١) رب يوم
١٠٧	(٩٢) الماء صفحة ضاحك

١٠٧	(٩٣) حلو السجية
١١١	(٩٤) لاح صبح الشيب
١١١	(٩٥) صروف الليالي
١١١	(٩٦) قد يبكي الخليل
١١٢	(٩٧) أقلب جفنأ
١١٣	(٩٨) بين الرعد والقطر
١١٣	(٩٩) جنة الخلد
١١٣	(١٠٠) صح الهوى
١١٤	(١٠١) أيكة خفاقة
١١٤	(١٠٢) تعلقته
١١٤	(١٠٣) جنيت روضأ
١١٥	(١٠٤) أفلاك تدار
١١٦	(١٠٥) ما شاء الهوى
١١٦	(١٠٦) يقبل ثغره
١١٧	(١٠٧) حمامة أيكة
١١٧	(١٠٨) رشفة
١١٧	(١٠٩) يسري في فروة
١١٨	(١١٠) فتاته مسك
١١٨	(١١١) ضيف طارق
١١٩	(١١٢) يجرحني طرفه
١٢٠	(١١٣) العيش مدام
١٢٠	(١١٤) زففتها بكرأ
١٢٠	(١١٥) لثمتها كلفا بها
١٢٠	(١١٦) لاذ به النسر
١٢١	(١١٧) فضح الغزالة
١٢١	(١١٨) بحر ليل طما
١٢٢	(١١٩) بت أناجيه

- ١٢٢ (١٢٠) زوار مع الليل
- ١٢٣ (١٢١) أيها الصب
- ١٢٣ (١٢٢) السهى والقمر
- ١٢٣ (١٢٣) كأنه مركب
- ١٢٤ (١٢٤) في هوى مثلها
- ١٢٤ (١٢٥) الفرس الناري
- ١٢٥ (١٢٦) ملأ المسامع محاسناً
- ١٢٦ (١٢٧) هي الظبي
- ١٢٦ (١٢٨) خمر الصبا
- ١٢٧ (١٢٩) شعلة نار
- ١٢٧ (١٣٠) نثرت ثمارا
- ١٢٨ (١٣١) أتتني به النار
- ١٢٨ (١٣٢) رقص القضيبي بها
- ١٢٩ (١٣٣) ومائة
- ١٢٩ (١٣٤) أروع، أمجد
- ١٣٠ (١٣٥) أحجمت عن لمام
- ١٣٠ (١٣٦) سد بلفظة
- ١٣١ (١٣٧) ارم الكريهة بالكريمة

قافية السين

- ١٣٣ (١٣٨) فانهض بأمل
- ١٣٦ (١٣٩) أوجعتني كربة
- ١٣٦ (١٤٠) واشوقي
- ١٣٦ (١٤١) تروق العين
- ١٣٧ (١٤٢) الساقى الأسود
- ١٣٧ (١٤٣) شهى الجنى
- ١٣٧ (١٤٤) معشوقة الحسن
- ١٣٨ (١٤٥) فرس أشقر

- ١٣٨ لولا الحياء (١٤٦)
 ١٣٨ شأن مثلي (١٤٧)
 ١٣٨ درسوا العلوم (١٤٨)

قافية الصاد

- ١٣٩ رب ذيل سحبتة (١٤٩)

قافية الضاد

- ١٤١ مضى فانقضى (١٥٠)

قافية العين

- ١٤٣ الله يعطي ويمنع (١٥١)
 ١٤٥ أقلب طرفي (١٥٢)
 ١٤٦ أذن الرحيل (١٥٣)
 ١٤٦ أشيم سنه (١٥٤)
 ١٤٧ شيد ورّفع (١٥٥)
 ١٥٠ إليكها غراء (١٥٦)

قافية الفاء

- ١٥٣ طرفه فاتن (١٥٧)
 ١٥٤ صقيل المحلى والحلى (١٥٨)
 ١٥٤ أرى الشمس مكسوفة (١٥٩)
 ١٥٥ رب يوم (١٦٠)
 ١٥٥ في منزل القصف (١٦١)
 ١٥٦ من أنجم السعد (١٦٢)

قافية القاف

- ١٥٧ ذكرك نفحة (١٦٣)
 ١٥٨ يا دوحة العلياء (١٦٤)
 ١٦١ أنفس الأعلاق (١٦٥)
 ١٦٣ أندب المجد والندى (١٦٦)
 ١٦٥ ثمار النارج (١٦٧)

- ١٦٥ (١٦٨) تخال خيلانه كواكب
- ١٦٦ (١٦٩) عندي لوعة
- ١٦٦ (١٧٠) تذوب عليها الحدق
- ١٦٧ (١٧١) ابتسمت عن فلق
- ١٦٧ (١٧٢) أحشاؤها تخفق
- ١٦٧ (١٧٣) لهوت بها
- ١٦٨ (١٧٤) لا هوادة
- ١٦٨ (١٧٥) لكل مرقة لواء
- ١٦٩ (١٧٦) يبوح بسر الليل
- ١٦٩ (١٧٧) من يوثق
- ١٦٩ (١٧٨) الصغيرة تجر عظيمة
- ١٧٠ (١٧٩) أترى غيرتك
- ١٧٠ (١٨٠) قل للحميم
- ١٧١ (١٨١) يا راكضاً

قافية الكاف

- ١٧٣ (١٨٢) سواك فعدلك
- ١٧٣ (١٨٣) نام مني ظالم
- ١٧٣ (١٨٤) أوجعت قلباً
- ١٧٤ (١٨٥) الماء يضحك
- ١٧٤ (١٨٦) يهتز ويضحك
- ١٧٥ (١٨٧) يندى نور ذكرك

قافية اللام

- ١٧٧ (١٨٨) يميل إلى مثله
- ١٧٧ (١٨٩) غازلته
- ١٧٩ (١٩٠) حسبي شجواً
- ١٨٠ (١٩١) مهلاً
- ١٨١ (١٩٢) ركبت إليه

١٨١	(١٩٣) سقياً لها
١٨١	(١٩٤) لو بلّ أبللت
١٨٢	(١٩٥) فسما واستزاد
١٨٢	(١٩٦) علقته
١٨٣	(١٩٧) ترنو بطرف كحيل
١٨٣	(١٩٨) والماء مبتسم
١٨٤	(١٩٩) فكأنه ريحانة
١٨٥	(٢٠٠) ماذا ثناك
١٨٦	(٢٠١) أرتاد مرتعاً
١٨٧	(٢٠٢) الليل طويل
١٨٨	(٢٠٣) ليكون أحسن
١٨٨	(٢٠٤) ربوة للفضل
١٨٩	(٢٠٥) للطل معنى ليس للمطر
١٩٠	(٢٠٦) الحسن صنو له
١٩٢	(٢٠٧) غمام النصر
١٩٤	(٢٠٨) بكى الدر
١٩٤	(٢٠٩) حسب الفتى حلية
١٩٥	(٢١٠) حطت العنوان

قافية الميم

١٩٧	(٢١١) يا غمام
١٩٧	(٢١٢) أرقّت أناجيه
١٩٩	(٢١٣) أرى صبوتي أحلى
١٩٩	(٢١٤) أفنانها نشاوى
١٩٩	(٢١٥) تحول رجوما
٢٠٠	(٢١٦) ريتاً الأحبة
٢٠٠	(٢١٧) بين النار والفحم
٢٠٠	(٢١٨) أحبه

- ٢٠١ بالحياء ملثّم (٢١٩)
- ٢٠١ أمسى هلالاً (٢٢٠)
- ٢٠٢ أوسعت الزمان ملاما (٢٢١)
- ٢٠٢ أصدع أحشاء الظلام (٢٢٢)
- ٢٠٤ وانتحينا مدامه (٢٢٣)
- ٢٠٥ أشكو إليها (٢٢٤)
- ٢٠٦ فانصاع ينساب (٢٢٥)
- ٢٠٧ وأشهر لوعة (٢٢٦)
- ٢٠٨ وسرى الهلال (٢٢٧)
- ٢٠٩ مل إلى أيقة (٢٢٨)
- ٢٠٩ على الغصن سلام (٢٢٩)
- ٢٠٩ ما راقني كمجدك (٢٣٠)
- ٢١٣ الشفيح الأكرم (٢٣١)
- ٢١٣ جاءت بها كريمة (٢٣٢)
- ٢١٥ رجال نجب (٢٣٣)
- ٢١٨ كم يد لك (٢٣٤)
- ٢١٩ أنجد في طرق المعالي (٢٣٥)
- ٢٢٠ كم منه لك (٢٣٦)
- ٢٢٣ لله درك فارساً (٢٣٧)
- ٢٢٣ ما ضره (٢٣٨)
- ٢٢٥ ملء يدي وفمي (٢٣٩)
- ٢٢٦ تنافس فيها الملوك (٢٤٠)

قافية النون

- ٢٢٧ سقياً لواديهم (٢٤١)
- ٢٢٨ العفاف من شيمي (٢٤٢)
- ٢٢٩ نمت خميلة (٢٤٣)
- ٢٢٩ كأنها مقلة (٢٤٤)

٢٣٠ (٢٤٥) البرق سوط خافق

٢٣٠ (٢٤٦) وشاق إلى تفاح لبنان

٢٣١ (٢٤٧) لا تقف تسألها

٢٣١ (٢٤٨) كنت ضنيناً

قافية الهاء

٢٣٣ (٢٤٩) تارة وأخرى

٢٣٣ (٢٥٠) قسوت قلباً

قافية الواو

٢٣٥ (٢٥١) أما لديك

قافية الياء

٢٣٧ (٢٥٢) على غير موعد

٢٣٧ (٢٥٣) تجسم النور نوراً

٢٣٨ (٢٥٤) نطت أمالي

٢٣٨ (٢٥٥) زمان تقضى

٢٤٢ (٢٥٦) وقفت أندب رسماً